

عبد الله سليمان الجريوع  
١٦  
٢٤٠٦

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية اللغة العربية  
قسم الدراسات العليا العربية  
فرع الأدب



# أثر الله في موتىك الشعر لله موسى

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب



٢٠٣١١٨

إعداد الطالب

عبد الله بن محمد العضيبي

إشراف:

الدكتور عبد الله بن سليمان الجريوع

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

١٥٩



” بسم الله الرحمن الرحيم ”

” شكر وتقدير ”

” رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ” صدق الله العظيم .

و بعد . . .

لا يسعني إلا أن أشكر جامعة أم القرى ممثلة في كلية اللغة العربية التي أتاحت لي فرصة الانتماء إليها لإكمال دراساتي العليا .  
 كما أخص بالشكر والعرفان استاذي الدكتور عبد الله بن سليمان الجربوع الذي رعى هذا البحث في كل خطوة من خطواته ، والذي كان بمتابعته المستمرة له ، دافعاً لي للاستمرار فيه حتى اكتمل بصورته النهائية ، فجزاه الله عني خير الجزاء على كل ما بذله من جهد ووقت .  
 كما أخص بالشكر أيضاً ، الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة ، على ما سوف يبذلونه من جهد ومتابعة في تقويم هذه الرسالة ، وما سيتفضلون به من توجيه وإرشاد سيكون محل عنايتي واهتمامي بإذن الله .  
 . . . . . والله وليّ التوفيق . . . . .

المقالة

” المقدمة ”

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد :

يعد العصر الأموي واحداً من أكثر عصور الأدب العربي ازدهاراً في نتاجه الشعري ، إذ عادت الحركة الشعرية إلى التوهج والتألق بعد الخفوت الملموس الذي أصابها في نهاية العصر الجاهلي وفي عصر صدر الإسلام . وقد كان الدور الأكبر في ذلك يعود إلى المتغيرات السياسية والاجتماعية التي طرأت على الحياة العربية في العصر الأموي ، والتي تمثلت في تغيير الأمويين نظام الخلافة بجعلها أمراً وراثياً فيهم بعد أن كانت تقوم على الشورى ، وفي انغماس بعض الأمصار الإسلامية في حالة من الترف واللهو ، إضافة إلى عودة العصبية القبلية إلى الظهور لتعيب بحياة العرب من جديد . لقد ساهمت هذه المتغيرات في خلق حركة شعرية نشطة خلفت لنا شعراً كثيراً ، وطرورت لنا أشكالاً وأغراضاً جديدة في الشعر لم تكن مألوفة من قبل . ففي العصر الأموي برز الشعر السياسي ، وازدهر الهجاء واتخذ لوناً جديداً لم يعرف في العصور السابقة ، وفيه نبغ أعظم شعراء الحب العذري والإباحي ، كما نشأ فيه الفن الخمري عند الوليد بن يزيد . ومن واقع هذا الثراء في النتاج الشعري للعصر الأموي تأتي أهمية دراستنا لهذا العصر دون غيره من العصور الأدبية الأخرى .

يقول طه حسين : " إن في الشعر العربي لهذا العصر كنوزاً خليقة  
أن تستكشف وأن تدرس على وجهها ، ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون " (١)  
ويعود اختياري لموضوع " أثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي "  
لأسباب عديدة لعل من أبرزها :

(١) كون الشعر الأموي نشأ ونظم في بيئة إسلامية ، فهو لهذا يعتبر  
أول شعر تأثر بشكل محسوس بالإسلام ، بجانب أنه لم يشك في صحته ،  
ولم يختلف في روايته كما هو الحال بالنسبة للشعر في عصر صدر  
الإسلام .

(٢) على الرغم من أن الشعر في العصر الأموي كان محل اهتمام  
الدارسين ، وكان مجالاً خصياً للكثير من الدراسات الأدبية  
المتنوعة التي عنت بالكشف عن ملامحه ، إلا أن الباحث يرى أنها  
قد أهملت جانباً مهماً لم تعط له الاهتمام المطلوب ، ويتمثل ذلك  
في دراسة الملامح الجديدة التي طرأت على مضمون الشعر في  
تلك الفترة من واقع تأثير الإسلام عليه ، لما يعطيه ذلك من دلالة  
على تفاعل الشاعر الأموي مع قيم الإسلام وتعاليمه ، ورغم أننا نلتقي  
ببعض الدراسات التي تعرضت لهذا الموضوع في بعض جوانبها ،  
إلا أن الباحث لا يكاد يجد دراسة قد أفردت نفسها لهذا الجانب .

(٣) إن بعض الدارسين يحاول التشكيك في وجود أثر إسلامي في  
الشعر الأموي ، والزعم بأنه جاهلي الشكل والمضمون ، وهذا ما

يفهم من قول بروكلمان " ولم يؤثر الإسلام تأثيراً عميقاً في شعراء العرب ، كما يريد النقاد العرب أن يقنعونا بذلك . فقد سلك شعراء العصر الأموي دون مبالاة في مسالك أسلافهم الجاهليين ، ولم تسد روح الإسلام حقاً إلا بعد ظهور العباسيين " (١) .  
فقد كنت أهدف إلى تفنيد هذا القول ، وإثبات بطلانه ، والتأكيد على أنه صادر عن قراءة ضيقة للشعر الأموي . وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة أبواب بين مقدمة وخاتمة .  
أما التمهيد فقد تناولت فيه المتغيرات السياسية والاجتماعية التي طرأت على الحياة العربية في العصر الأموي وأثرها على الحركة الشعرية آنذاك .  
أما الباب الأول فقد جعلته في فصلين ، خصصت الأول منه لدراسة العوامل المؤثرة التي ساعدت على بروز أثر الإسلام في الشعر الأموي عنه في عصر صدر الإسلام .  
أما الفصل الثاني فقد درست فيه تطور القصيدة العربية في العصر الأموي على هدي الإسلام ، وذلك من خلال دراسة بعض القصائد الشعرية الفريدة التي اتسمت ببروز الأثر الإسلامي فيها .  
وأما الباب الثاني وهو موضوع هذا البحث ، فقد كان في أربعة فصول :

(١) تاريخ الأدب العربي ١/٢٦٠ .

أما الفصل الأول فتناولت فيه الشعر السياسي عند شعراء الأحزاب السياسية من أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج .

وأما الفصل الثاني فكان عن الغزل بلونيه العذري والصريح، وتعرضت في الفصل الثالث لشعر الهجاء .

وأما الفصل الرابع والأخير في هذا الباب ، فقد تطرقت فيه إلى بعض الموضوعات الشعرية الأخرى التي لم تتح لي الفرصة لدراستها في ثنايا البحث أو كان إلمامي بها سريعاً ، وتمثلت في الفخر ، وشعر الصعاليك ، والزهد ، والوصف .

وأما الباب الثالث فقد تفرغت فيه لأثر الثقافة الإسلامية في الشعر الأموي .

وقد خصصت الفصل الأول للعقيدة والعبادات والأخلاق والمثل الإسلامية .

وجعلت الفصل الثاني للأحكام الفقهية ، والحدود الشرعية .

وأما الفصل الثالث فكان حول القصص القرآني .

وفي خاتمة البحث أوجزت القضايا التي تعرضت لها الدراسة ، والنتائج التي توصلت إليها .

أما مصادر هذا البحث فقد تمثلت في الدواوين والمجاميع الشعرية التي تخص شعراء العصر الأموي ، إضافة إلى بعض مصادر الشعر العربي القديمة كالآغاني والشعر والشعراء وغيرهما ، كما استفدت فيه من مصادر



المستطاع من بعض الدراسات الأدبية المختلفة التي تناولت الشعر في تلك الفترة .

ولعل من الطبيعي أن يمر مثل هذا البحث ببعض الصعوبات التي لا يمكن للباحث أن يجتازها إلا بالصبر والمثابرة . ولعل أهم ما لقيه منها هو عدم توفر بعض الدواوين والمجاميع الشعرية في الفترة الأولى من البحث بل إنني لم أعتز على بعضها إلا في فترة متأخرة ، ومن المعلوم ما يحدثه هذا من إعادة لكتابة بعض الفصول .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أشكر استاذي الدكتور عبد الله الجربوع المشرف على هذه الرسالة ، والذي أعطاني من جهده واهتمامه ووقته الشيء الكثير طوال فترة كتابة هذه الرسالة ، والذي كان بتوجيهاته السديدة دافعاً لي للاستمرار فيها حتى اكتملت فصولها ، فجزاه الله عنى كل خير .

وأخيراً فإنني أرجو أن يكون التوفيق قد حالني في فصول هذا البحث ، وإن لم يكن ذلك فعذري أنها تجربتي الأولى في عالم البحث العلمي الصحيح ، وقد اجتهدت فيها قدر استطاعتي ، والكمال لله عز وجل ، وهو وليّ التوفيق . ،،،

التعمير

## المتغيرات السياسية والاجتماعية وأثرها في الشعر الأموي

كانت الحياة العربية قبل الإسلام تقوم على النظام القبلي ، الذي تشكل فيه القبيلة كياناً مستقلاً عن سائر القبائل الأخرى في جميع شئونها السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية . ومن هنا كانت بحاجة إلى صوت يتكلم باسمها ويبرز مكانتها ، لهذا كان للشاعر مكانة كبيرة ، ومنزلة رفيعة في تلك المجتمعات القبلية ، فهو وسيلة الإعلام الوحيدة آنذاك ، والصوت الذي يعبر عن أفكار جماعته ، فيذيع مفاخرهم ، ويسجل انتصاراتهم ، ويحمي أعراضهم ويهجو خصومهم . مما جعل نبوغ شاعر في إحدى القبائل مصدر سعادة وفخر لها . ودافعاً طبيعياً لفرحتها تستحق عليه التهنئة .

يقول ابن رشيقي :

" كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ويتباشرون الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكورهم . وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج . " (1)

وهذا الاهتمام الذي توليه القبيلة شاعرها . قد يجعلها تتناقل قصيدته جيلاً بعد جيل . فقد كانت قبيلة تغلب تحفظ نونية شاعرهم عمرو بن كلثوم ، وترددتها في مجالسها ، حتى قال فيهم الشاعر :

أَلَيْسَ بِنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ      قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ  
يَزُورُنَهَا أَبَدًا مَدًّا كَانَ أَوْلَهُمْ      بِالرِّجَالِ لِشِعْرِ غَيْرِ مَسْئُومٍ (١)

وقد كان الشعر - بجانب دوره القبلي - سجلاً لأيام العرب ، وأعمالهم ومآثرهم ، ومستودعاً لإبداعاتهم الفكرية ، فهو أهم رموزهم الحضارية . قال أبو عمرو الجاحظ : " فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب ، وشكل من الأشكال . وكانت العرب تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها " (٢)

وقال ابن سلام : " وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون . . . قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه " (٣)

وقد أعطت المصادر الأدبية القديمة - فيما روته من أخبار - صورة أخذة للذور الذي كان يلعبه الشاعر في نفوس الأفراد والجماعات . فقد كان قادراً على أن يرفع من قيمة المرء مهما كان وضعاً . فالأعشى عند ما مدح المحلسق

(١) الأغاني ٥٤/١١ ، الممتع ص ٧٤

(٢) الحيوان ٧١/١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ٢٤/١ .

- وكان رجلاً فقيراً مغموراً - منحه شهرة عريضة لم يكن يحلم بها ، وحقق له ما كان يطمح إليه . فقد رووا أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به ، وكانت للمحلق امرأة عاقلة - وقيل : بل أم - فقالت له : إن الأعشى قدم ، وهو رجل مفوه ، محدود في الشعر ، ما مدح أحداً إلا رفعه ، ولا هجا أحداً إلا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير حامل الذكر ذوبنات ، وعندنا لقحة نعيش بها ، فلو سبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة ، ونحرت له ، واحتلت لك فيما تشتري به شراباً يتعاطاه ، لرجوت لك حسن العاقبة ، فسبق إليه المحلق ، فأنزله ونحله ، ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نخباً فيه سمن وجاءت بوطب لبن ، فلما أكل الأعشى وأصحابه ، وكان في عصابة قيسية قدم إليه الشراب ، واشتوى له من كبد الناقة ، وأطعمه من أطايبها ، فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه ، وذكر البنات ، فقال الأعشى : كهيت أمرهن ، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته :

أَرَقْتُ وَمَا هَذَا السَّهَادُ الْمُؤَرِّقُ      وَمَا بِي مِنْ سَقَمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس ، فوقف يستمع ، وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله ، إلى أن سمع :

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفَنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفَهَّقُ  
ترى القومَ فيها شَارِعِينَ ، وبينَهُمْ مع القومِ وُلْدَانٌ مِنَ النَّسْلِ دَرَدَقُ (١)  
..... فما أتمَّ القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه ، والأشراف  
من كل قبيلة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته ؛ لمكان شعر الأعشى  
فلم تص منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف (٢)  
وكانت العرب تتحاشى التعرض للشاعر؛ خوفاً من هجائه ، الذي قد  
يدفع بعضهم إلى البكاء . "ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء"  
وهذا من أول كرمها ، كما بكى مخارق بن شهاب ، وكما بكى علقمة بن علاثة  
وكما بكى عبد الله بن جدعان من بيت لخدّاش بن زهير (٣) .

ولم يكن الاهتمام بالشعر مقصوراً على الأفراد وقبائلهم . فقد كان ملوك  
العرب في الجاهلية يعتنون به أشد الاعتناء . فكان عند النعمان بن المنذر  
- على سبيل المثال - ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته  
بـه (٤) .

---

(١) رواية الديوان : ص ٢٢٥ " ودونهم من القوم " مكان " وبينهم

مع القوم " .

(٢) العمدة ٤٨/١ .

(٣) الحيوان ٣٦٤/١ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٥/١ .

وهذه المكانة الرفيعة التي كان يستأثر بها الشعر في نفوس العرب ساعدت - دون شك - على أن يكون النتاج الشعري لتلك الفترة غزيراً . فأبو الفرج يشير إلى أن حماداً الراوية كان يحفظ على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية (١) .

كما أن أبا تمام كان يحفظ من أشعار العرب أربعة عشرة ألف أرجوزة غير القصائد والمقطعات (٢) .

وعلى الرغم مما في هذه الأقوال من المبالغة ، إلا أنها تعطي تصوراً معيناً عن ازدهار الشعر في العصر الجاهلي .

ويؤكد ذلك أبو عمرو بن العلاء حين يقول : " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير " (٣) .

وفي العصر الأموي كان للمتغيرات السياسية والاجتماعية التي طرأت على الحياة الإسلامية آنذاك دور فعال في تنشيط الحركة الشعرية ، عما كان عليه الحال أيام عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين . إذ خفت صوت الشعر ، وزال سلطان الشاعر ونقوده . ولم يكن ذلك بسبب انشغال العرب بالجهاد - كما اعتقد ابن سلام (٤) ومن وافقه من الباحثين - (٥) ، ولا لوجود

(١) الأغاني ٧١/٦

(٢) الوفيات ١٢/٢ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ٢٥/١ .

(٤) نفسه ٢٥/١ .

(٥) انظر مثلاً : تاريخ الشعر العربي ص ١١٤ ، أدب الخوارج ص ١٤٠ .

موقف عدائي من الإسلام للشعر . وإنما حدث ذلك نتيجة طبيعية لتضافر عوامل عديدة من أهمها :

أولاً : موقف الشعر العدائي من الإسلام والمسلمين في بداية مراحل الدعوة الإسلامية . إذ اتخذه المشركون سلاحاً يهاجمون به الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ، مما جعل المسلمين ينظرون إليه بعين الكره فيما بعد ولهذا وجدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه ينشد الشعر في المسجد فلا يجد من يستمع إليه (١) .

ثانياً : إنشغال المسلمين بالقرآن الكريم ، وإقبالهم عليه . يتدبرون آياته ويستجلون أوامره ونواهيه ، ليطيعوا حياتهم على منهاجه المنير ، ومثلثه الرفيعة .

كما أن إعجازه البياني الذي يتناهى في السمو قد أشبع ميولهم الأدبية، وأرضى ملكاتهم اللغوية. والإعجاب بالبيان أحد دواعي اهتمامهم بالشعر . ولهذا نجد لبيد بن ربيعة الشاعر المخضرم يقول بعد إسلامه بفترة :  
" أبدلني الله بذلك القرآن " (٢) وعندما استنشده عمر بن الخطاب شعراً

---

(١) الأغاني ١٤٤/٤

(٢) الطبقات الكبرى ٣٣/٦ .



يقرأ سورة البقرة ويقول : " ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران " (١) . فهذا هو تأثير القرآن على أحد الشعراء الفحول فكيف يكون تأثيره على عامة الناس !

ثالثاً : إن الإسلام جاء يحمل قيماً وتعاليم جديدة ، أراد لها أن تحكم الحياة البشرية في جميع سلوكها . فغضّ من شأن بعض الأغراض الشعرية التي لا تتفق مع تعاليمه ، كالمديح الكاذب ، والهجاء والغزل الفاحش . فكان لابد للشعراء أن يستجيبوا لذلك . فمنهم من حاول الاستجابة فقصر شعره على ما يتفق مع تعاليم هذا الدين . والأغلبية آثرت الصمت لأن مفاهيمها الجاهلية في هذا الفن قد غلبت عليها . ومعلوم أن هذه الأغراض تمثل الواجهة العريضة للنتاج الشعري في العصر الجاهلي ، بل وفي سائر عصور الأدب العربي .

رابعاً : إن موقف الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - من الشعراء والشعراء لم يكن مشجعاً . فقد انتهى دورهم بفتح مكة ، ولهذا فقد أنزلوا عقوباتهم الصارمة بكل شاعر استعمل موهبته في أغراض تتنافى مضامينها مع تعاليم الإسلام .

---

(١) الشعر والشعراء ٢٨١/١ ، طبقات فحول الشعراء ١٣٥/١ .

فعمربن الخطاب حبس الحطيئة حين هجا الزبيرقان بن بدر ، (١)  
وهدد النجاشي الحارثي بقطع لسانه إن عاد إلى الهجاء (٢) ، كما حظر  
على الشعراء ذكر النساء والتشبيب بهن (٣) كما جعل حميد بن ثور الهلالي  
يلجأ إلى الرمز للتعبير عن ذلك .

وقد سار على نهجه عثمان بن عفان . فقد حبس ضابط البرجمي  
حين ترك للسانه العنان فرمى أم بعض بني جرول بن نهشل بالكلب (٤) ،  
وتركه في الحبس حتى مات فيه . كما توعد سويد بن كراع حين هجا قومه ،  
وأخذ عليه ألا يعود إلى ذلك (٥) .

أما علي بن أبي طالب فإنه نصح غالباً أبا الفرزدق الشاعر الأموي  
الشهير أن يعلم ابنه القرآن فهو خير له من الشعر (٦) .

ولم يقف تأثير المتغيرات السياسية والاجتماعية في العصر الأموي عند  
ازدهار الشعر فقط . وإنما أسهمت تلك العوامل في توجيه أغراضه ،

- 
- (١) الشعر والشعراء ٣٣٣/١ ، طبقات فحول الشعراء ١١٦/١ .
  - (٢) العمدة ٥٢/١ ، الشعر والشعراء ٣٣٨/١ .
  - (٣) الأغاني ٣٥٦/٤ .
  - (٤) طبقات فحول الشعراء ١٧٣/١ ، الشعر والشعراء ٣٥٧/١ . خزنة  
الأدب ٣٢٥/٩ .
  - (٥) الشعر والشعراء ٦٣٩/٢ .
  - (٦) معجم الشعراء ٤٨٦ .

وساعدت على ظهور بعض التيارات الشعرية ، وبروزها بشكل واضح .  
وتمثل ذلك في الشعر السياسي ، وتطور فن النقائض ، والغزل بلونيه  
العذري والصريح . ولابد لنا من وقفة أمام تلك المتغيرات ، وما صاحبها  
من شعور ساهم بلاشك في تنشيط الحركة الشعرية في العصر الأموي .

### أولاً : المتغيرات السياسية :

عند انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى لم يكن  
قد عين خليفة له للقيام بأمور المسلمين ورعاية مصالحهم من بعده ، بل  
ترك ذلك الأمر لهم ليختاروا من بينهم من يعتقدون كفاءته وأهليته لذلك .  
وبعد اجتماع السقيفة وما واكبه من جدال بين المهاجرين والأنصار حول  
اختيار الخليفة . استقر أمرهم على اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين وبايعوه  
بذلك .

وعندما أحس أبو بكر رضي الله عنه بدنو أجله ، كان لا يزال راسخاً في  
ذاكرته ذلك الاختلاف الذي حدث بين الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله  
عليه وسلم ، وقبل مبايعته ، وخاف أن يتكرر ذلك بعد وفاته لو ترك الأمر  
معلقاً . ولهذا فكر في أن يختار خليفة له . وقد وقع اختياره على  
الفاروق عمر بن الخطاب لفضله وسابقته ، فهو أحد الذين أعز الله بهم

الإسلام ، وهو أهل للقيام بذلك الأمر . وقبل اختياره عمد أبو بكر إلى  
استشارة بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان اللذين  
صوباً رأيه . فكتب عهده لعمر ذلك العهد الذي جاء فيه :  
\* بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر  
عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث  
يؤمن الكافر، ويوقن المرتاب الفاجر ، ويصدق الشاك المكذب : إنني  
استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا . فإنني لم آل الله  
ورسوله ، ودينه ، ونفسي ، وإياكم خيراً . فإن عدل فذاك ظني به وعلمي  
فيه . فإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب . والخير أردت . وما يعلم الغيب  
إلا الله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (١) . والسلام عليكم ورحمة  
الله وبركاته (٢)

وعند ما طعن عمر بن الخطاب سأله الصحابة أن يستخلف عليهم،  
وأشار عليه بعضهم أن يجعلها في ابنه عبد الله غير أنه رفض ذلك ، وسلك  
سبيلاً جديداً في اختيار خليفته . فلم يستخلف شخصاً بعينه اقتداءً بالرسول  
صلى الله عليه وسلم ، ولم يترك الأمر معلقاً اقتداءً بأبي بكر . وإنما اختار  
أصحاب الشورى الستة : عثمان ، وعلي ، وسعد ، وعبد الرحمن ، والزبير ، وطلحة

(١) سورة الشعراء ٢٢٧ .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٢٦ .

وهم الذين مات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وقال إنهم من أهل الجنة . وجعل عمر ابنه عبد الله مستشاراً لهم ؛ لكي يرجح كفة فريق على آخر في حالة تساوي الأصوات ، وأمرهم أن يناصروا من يولونه وأن يكونوا عوناً له ، وأن يتفقوا خلال ثلاثة أيام على واحد منهم . وحرصاً منه على عدم اختلاف كلمة المسلمين عهد إلى المقداد أنه إذا خالف واحد أو اثنان شدخ رأسيهما ، فإن تعادلا مالوا إلى الصف الذي مال إليه ابن عمر ، فإن لم يرضوه قبالى الصف الذي فيه عبد الرحمن بن عوف ، فإن رغب الباقون قتلوا . وقد استقر قرار أصحاب الشورى على تعيين عثمان بن عفان خليفة للمسلمين (١) .

وعقب أحداث الفتنة التي استشهد فيها عثمان أصبح علي بن أبي طالب خليفة له . بعد أن بايعه بذلك أغلبية المسلمين في المدينة .

والذى يتتبع الطريقة التي انتقلت بها الخلافة في عهد الراشدين يرى أنها وإن لم تلتزم طابعاً تنظيمياً معيناً، إلا أنها كانت تقوم على الشورى التي يدعو إليها الإسلام .

---

(١) الطبري ٢٢٩/٤ .

وبعد مقتل علي بن أبي طالب سنة . ٤ هـ . صارت الخلافة  
لمعاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل عنها الحسن بن علي حقناً لدماء  
المسلمين ، ولأنه وجد نفسه لا قبل له بمعاوية وجنده .

فكان وصول معاوية إلى الخلافة عن طريق القوة ، والدهاء ، والسياسة .  
وليس عن طريق الشورى كما كان الأمر في عهد الخلافة الراشدة .

وقد عمل معاوية على إلغاء نظام الشورى عندما قرر تعيين ابنه يزيد  
ولياً لعهدده - وهو المعروف بسوء أخلاقه - وقد أسهم بذلك في ازدياد  
نشاط حركة المعارضة ضد الأمويين تلك المعارضة التي تمثلت في ثلاثة  
أحزاب كبرى هي :

#### ١ - الزبيريون :

تزم هذا الحزب عبد الله بن الزبير الذي دعا إلى نفسه في عهد  
يزيد بن معاوية عام ٦٣ هـ . معبراً عن رفض أبناء الصحابة لجعل الخلافة  
وراثية مقصورة على أبناء الأمويين . وقد استطاع الزبيريون في فترة قصيرة من  
حكمهم أن يمدوا نفوذهم من الحجاز مركزهم الرئيسي إلى العراق ومصر وإلى  
الشام معقل الأمويين ، وكادوا يقضون على الدولة الأموية .

وقد ساعد على انتشار الدعوة الزبيرية ما عرف عن عبدالله بن الزبير من صلاح وتقوى وقيام بأمر الدين مما أعطاه حب المسلمين وتأييدهم . يقابل ذلك ما عرف عن يزيد من سوء أخلاقه ، وما حدث في تلك الفترة من حوادث جسام . ولا سيما مقتل الحسين بن علي ، واستباحة المدينة من قبل جيش يزيد بعد قتل عدد كبير من أهلها في موقعة الحرة ، وحصار مكة ورمسي الكعبة بالمنجنيق ، بجانب المعاملة السيئة التي كان يعامل بها ولاة بني أمية أهالي الولايات مما دفع هؤلاء إلى كره الأمويين ، والتفكير في الخلاص منهم بالانضمام إلى خصومهم . غير أن هذا الحزب لم يستمر طويلاً فقد توالى عليه النكسات تباعاً ، إذ قضى مروان بن الحكم على نفوذه في الشام بعد هزيمته لأنصار الزبيريين هناك في موقعة مرج راهط . ثم واصل عبد الملك جهود أبيه فألحق بمصعب بن الزبير هزيمة ساحقة بدير الجاثليق حيث لقي مصعب مصرعه . إذ لم يستطع جيشه الصمود في وجه الجيش الأموي ، فقد انهكته حروب الخوارج من جهة ، وقتاله ضد المختارين أبي عبيد الثقفي من جهة أخرى .

وقد وجه عبد الملك - عقب ذلك - الحجاج بن يوسف إلى الحجاز . حيث استطاع بعد حصاره لمكة أن يقضي على عبدالله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين للهجرة . وبمقتله انتهى هذا الحزب الذي حكم فترة تسع سنوات وعشر ليال (١) .

---

(١) مروج الذهب ٩٩/٣ .

والزبيريون أنكروا على معاوية خروجه على نظام الشورى ، وذلك بتوليته ابنه يزيد ولياً للعهد من بعده . وهم يرون أن الخلافة يجب أن تكون في قريش ، وأن الحجاز هو مركزها الطبيعي .

## ٢ - الشيعة :

وتقوم فكرة التشيع على أن علياً وأولاده من بعده . هم أولى المسلمين بالخلافة وأنها لا تخرج عنهم (١) .

والبذرة الأولى للتشيع كما يرى أحمد أمين " هم الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل بيته أولى الناس بأن يخلفوه وأول أهل البيت العباس عم النبي وعلي ابن عمه ، وعلى أولى من العباس . . . . . " (٢)

وقد كان مقتل الحسين بن علي في موقعة كربلاء ( - عاشوراء - ٦١ هـ ) نقطة تحول كبير في تاريخ الشيعة . فقد كان لهذه الصدمة العنيفة أثر قوي في إذكاء نار التشيع في نفوسهم زاد من حندة عدائهم للأمويين ، وساعد على توحيد صفوفهم وكانوا متفرقي الأهواء . كما كان سبباً في انتماء

---

(١) الملل والنحل ٢٣٤/١ .  
(٢) فجر الإسلام ص ٢٦٧ .



كثير من الفرس إلى هذا الحزب ، كما نقلت هذه الحادثة عقيدتهم السياسية من كونها نظرية فكرية إلى مجابهة مسلحة مع بني أمية (١) .

وقد كانت أول ردة فعل لهذه الحادثة المؤلمة ظهور حركة التوابين بقيادة سليمان بن سرد ، تلك الحركة التي اصطدمت في عين الوردة بجيش يقوده عبد الله بن زياد الذي أرسله مروان بن الحكم لاستخلاص العراق . وقد لحقت بالشيعة هزيمة ساحقة قتل على أثرها قائد هم (٢) .

ثم ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي - زعيم السبئية - السدي استغل ثورة التوابين لنيل أهدافه - فقد كان ذا طموح سياسي - فادعى أنه وزير محمد بن الحنفية مما جعل الشيعة تنضوي تحت لوائه . وقد استطاع أن ينتصر بهم على ابن زياد وأن يقتله مما زاد من تعلق الشيعة به . وهذا ما لم يرض عبد الله بن الزبير . إذ أرسل إليه جيشاً بقيادة أخيه مصعب بعد أن ولاءه العراق . وقد استطاع مصعب أن ينتصر على المختار وأن يقتله مع سبعة آلاف رجل من أنصاره (٣) .

- 
- (١) تاريخ الإسلام ٣٩٩/١ .
  - (٢) أنساب الأشراف ٢٠٤/٥ .
  - (٣) مروج الذهب ١٠٧/٣ .

وقد أسهمت هذه الحرب في إرهاب جيش الزبيريين مما سهل على عبد الملك بن مروان وجيشه الانتصار عليه في دير الجاثليق .

وفي عهد هشام بن عبد الملك خرج زيد بن علي الذي كانت تنازعه نفسه في الخلافة ، وذلك في عام ١٢٢ هـ . وقد حاربه يوسف بن عمر الثقفي ، فلما قامت الحرب بين الفريقين انهزم أصحاب زيد ، وبقي في جماعة يسيرة ، فأصيب بسهم في جبهته قضى عليه . (١)

وقد أعقب ذلك ظهور يحيى بن زيد بن علي في الجوزخان ببلاد خراسان سنة ١٢٥ هـ في عهد الوليد بن يزيد . وقد أرسل إليه نصر بن سيار - والي الأمويين على خراسان - قائده سلم بن أحوز المازني، فقتل يحيى في هذه المعركة بقرية يقال لها أرعونة (٢) .

وكانت هذه آخر الثورات الشيعية في العصر الأموي . ولعل السبب في قلة ثوراتهم يعود إلى أن أكثرهم كانوا يؤمنون بمبدأ التقية (٣) ويطبقونه في حياتهم .

---

(١) المصدر نفسه ٢١٨/٣ ، الطبري ١٨٠/٧ .

(٢) مروج الذهب ٢٢٥/٣ .

(٣) التقية : يراد بها المداراة ، كأن يحافظ الشخص على نفسه أو عرضه أو ماله بالتظاهر بعقيدة أو عمل لا يعتقد صحته ، فمن كان على دين أو مذهب ثم لم يستطع أن يظهر دينه أو مذهبه فيتظاهريغيره فذلك تقية . فجر الإسلام ص ٢٧٤ .

### ٣ - الخوارج :

تعود نشأة هذا الحزب إلى موقعة صفين التي حدثت بين علي ومعاوية ( ٣٧ هـ ) . فعندما أحس معاوية وجيشه بالهزيمة ، رفعوا المصاحف تحية لإيقاف القتال ، وقد قبل علي ذلك خضوعاً لموقف طائفة من جيشه . وعندما حكم الحكمان وتقرر اجتماعهما بدومة الجندل ، وانصرف علي ، خرجت عليه طائفة من جيشه وتنادوا : " لا حكم إلا الله سبحانه " ، وعابوا عليه تحكيمه للرجال (١) .

وكانت هذه الفئة هي البذرة الأولى لهذا الحزب الذي يعتبر أشد الأحزاب السياسية في العصر الأموي تطرفاً ، وأكثرها دموية ، إذ لم تقتصر معارضتهم على الأمويين فحسب ، بل كانوا يستحلون قتل كل معارض لأفكارهم . وهذا الغلو يرجع إلى طبيعتهم حيث كان أغلبهم من البدو . وقد كانت ثوراتهم في العصر الأموي سلسلة لا تنتهي ، سفك فيها كثير من الدماء المسلمة . وقد بدأها حوشرة الأسدى في عهد معاوية حين نزل بالنخيلة - بجوار الكوفة - فالتقى بجيش معاوية فلقى مصرعه (٢) .

---

(١) الطبري ٥٧/٥ .

(٢) الكامل ٢٣٩/٣ .

ثم تلا ذلك خروج فروة بن نوفل الذي استطاع في بداية أمره أن ينتصر على جيش الأمويين ، فندب له معاوية أهل الكوفة فوقع في أسرهم (١) .

وفي سنة ثلاث وأربعين خرج المستورد بن علفة . وقد أرسل إليه المغيرة بن شعبة - والي الكوفة - شيعة علي فاقتتلوا معه قتالاً شديداً انتهى بمقتل المستورد (٢) .

وفي سنة ثمان وخمسين خرج بالأهواز مرداس بن أدية في أربعين رجلاً ، فأرسل إليهم عبيد الله بن زياد جيشاً عليهم أسلم بن زرعة الكلابي في ألف رجل ، فلقومياتك فأنهزم أسلم وجيشه . فأرسل إليه ابن زياد جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل بقيادة عباد التميمي الذي استطاع أن يقضي على مرداس . وفي طريق عودته إلى البصرة تربص لعباد عبدة بن هلال الخارجي ونفر معه فقتلوه (٣) .

وقد استمرت ثوراتهم تتوالى بعد ذلك . وكان آخرها في عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة تسع وعشرين ومائة .

- 
- (١) الطبري ١٨٤/٥ .  
(٢) نفسه ١٨١/٥ .  
(٣) نفسه ٤٧١/٥ .

حيث دخل خوارج اليمن مكة والمدينة بقيادة أبي حمزة الخارجي وبلخ ابن عقبة اللذين كانا يدعوان لعبد الله بن يحيى الكندي زعيم الأباضية آنذاك، الذي كان قد استولى على حضرموت واليمن ، وقد جهز لهم مروان جيشاً فلقى الخوارج بوادي القرى فقتل بلخ، وفر أبو حمزة ومن معه إلى مكة فتعقبه الجيش وقتله بها . ثم سار قاصداً اليمن فاصطدم في الطائف بجيش الخوارج يقوده زعيمهم عبد الله بن يحيى، فلقى عبد الله مصرعاً، وانطلق جيش الأمويين حتى دخل صنعاء (١) .

والخوارج يرون ان الخلافة حق لكل مسلم عادل غير جائز . وجوزوا أن يكون عبداً أو حرّاً أو نبطياً . وهم يوجبون عزل الإمام أو قتله إذا غير سيرته أو عدل عن الحق (٢) .

وهذا الصراع الفكري الذي نشأ بسبب الخلافة ، وتحول بعد ذلك إلى صراع دوي بين الأمويين ومعارضيه من هذه الأحزاب، كان سبباً في وجود تيار شعري يتخذ من الأفكار السياسية التي كانت تتردد بين هذه الفئات المتحاربة مضامينه . وهو ما يعرف عند الدارسين بالشعر السياسي . لقد أدرك الأمويون في فترة مبكرة من حكمهم دور الشعر كوسيلة إعلامية هامة

---

(١) مروج الذهب ٢٥٧/٣ .

(٢) الملل والنحل ١٧٤/١ .

في ذلك العصر؛ لما لهذا الفن من مكانة كبيرة في قلوب العرب . فعملوا على اجتذاب الشعراء إليهم بالترغيب بالعطايا والهبات تارة ، وبالترهيب تارة أخرى . وقد استجاب لهم أغلب شعراء العصر الذين كانوا إما محترفين أقبلوا على مدح الأمويين رغبة في عطاياهم ، أو طامعين في نيل حظوة لهم خاصة ، أو لقبائلهم عامة في وقت احتدمت فيه العصبية القبلية بتحريض من الدولة .

وفي مقدمة هذه الفئة من الشعراء يقف جرير، والأخطل ، والفرزدق، وعدي بن الرقاع ، وعبدالله بن الزبير الأسدي ، والراعي النميري ، وأبو العباس الأعمى . وغيرهم ممن تظهر في أشعارهم معاني الاستجداء ، وطلب العال من الخلفاء .

ومن هؤلاء الشعراء من كانوا أصحاب موقف معارض للدولة، فأرادوا بددحهم للخلفاء أن يتجاوز هؤلاء عن هجائهم السابق لهم ، أو أن يتقوا شرهم . وأشهر شعراء هذه الفئة : عبدالله بن قيس الرقيات ، والكميت ابن زيد الأسدي .

وقد كان هؤلاء - والمحترفون منهم خاصة - بوقاً للأمويين يعمدون في أشعارهم إلى تحسين صورة الخلفاء أمام الرعية ، ويؤكدون من خلال تلك الأشعار أحقيتهم بالخلافة ، ويبررون لهم أفعالهم ، ويهاجمون أعداءهم بضراوة .

وقد سار ولاة بني أمية وقوادهم على نهج خلفائهم في اجتذاب الشعراء  
وإغرائهم بالأموال ؛ ليمجدوا بطولاتهم ، وليشيدوا بدورهم في دعم استقرار  
الدولة .

وقد كان للأحزاب السياسية المعارضة للأمويين شعراءؤها الذين  
سجلوا في أشعارهم أفكاراً حزبية ، ودافعوا عنها ، واتهموا من خلالها  
الأمويين باغتصاب الخلافة دون أدنى حق .

ولعل الزبيريين هم أقل الأحزاب السياسية في العصر الأموي حظاً  
من الشعر . فلا تكاد تجد شعراً يؤيدهم وينادي بأفكارهم إلا القليل  
ولم يعرف الأدب العربي شاعراً انتسب إليهم ، وأخلص لهم إلا عبيدالله  
ابن قيس الرقيات الذي لا أشك في أن انتماءه لقريش وحبها كان من  
أهم العوامل التي تفسر وقوفه مع الزبيريين واندفاعه إلى الدفاع عنهم .

وقد كان وراء هذا الفقر الشعري - إن جاز هذا القول - عاملان ، أولهما  
وهو الأهم فقصر الفترة التي عاشها هذا الحزب وهي تسع سنوات . وهي فترة لم  
تتح له - لقصرها - أن يجتذب إليه عدداً أكبر من الشعراء ممن قد تروق لهم  
نظريته السياسية فيعتنقونها .

وأما العامل الآخر فهو أن عبد الله بن الزبير رأس هذا الحزب لم يكن يعطي اهتماماً للشعر الذي كان من الممكن أن يسهم في الدعاية لحزبه، بل إنه كان ينفّر الشعراء من حوله بعدم اهتمامه بهم . ولم يكن ذلك نتيجة بخله - كما ذكر النعمان القاضي (١) -، وإنما كان ذلك اقتداءً منه بسنة الخلفاء الراشدين ، الذين كانت لهم مواقف مشابهة . وكان ابن الزبير حريصاً على السير على منهاجهم . وقد دفع ذلك الإهمال الشعراء إلى الابتعاد عنه ، والذهاب إلى خصومه الأمويين المذنبين كانوا يقدرون عليهم العطايا والهبات - كما علمنا - وقد عبر عن هذا عبد الله

ابن الزبير الأسدي حين قال : (٢)

أرى الحاجات عند أبي خبيب  
من الأعياص أو من آل حرب  
وقلت لصحبتى أدنو ركابي  
وما لي حين أقطع ذات عسرق  
نكدن ولا أمية في البلاد  
أغر كفرة الفرس الجواد  
أفارق بطن مكة في سواد  
إلى ابن الكاهلية (٣) من معاد

(١) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص ٥٠٤ .

(٢) الديوان ص ١٤٦ ، وهي تتسبب أيضاً لفضالة بن شريك .

(٣) الكاهلية لقب لعمة عبد الله بن الزبير .



ولولا أن مصعب بن الزبير كان كريماً كثيراً للبذل للشعراء ، لما وجد هذا الحزب من يتحدث عنه ، وينادى بأفكاره ، ويمدح رجالاته .

وفي شعر عبيد الله بن قيس الرقيات نلمس اعتداده بالقرشية ، ونصرته للزبيريين . ويتجلى ذلك في قصيدته الهمزية التي تعتبر في الحقيقة وثيقة تاريخية هامة للحزب الزبيرى .

فهو يبيدؤها بمقدمة طللية يحاول فيها إثارة الأمويين بالوقوف على مراتب أجدادهم ، ووصف ما ألم بها من الوحشة نتيجة انتقالهم إلى الشام . معبراً عن حسرته لما أصاب الأسر القرشية من انقسام بسبب الخلافة والحكم فيقول (١) :

أَفْقَرْتُ بَعْدَ عِيدِ شَمْسٍ كَدَاءُ      فَكَدَى فَاالرُّكْنَ فَاالبَطْحَاءُ  
فَمَنَى فَاالجَمَارُ مِنْ عِيدِ شَمْسٍ      مُقْفَرَاتٌ فَبِلَدَحٍ فِحِرَاءُ  
فَاالخِيَامُ الَّتِي بَعُضْفَانِ فَاالجُحُوفُ      فَمِنْهُمْ فَاالقَاعُ فَاالأَبْوَاءُ  
مُوحَشَاتٌ رَأَى تَعَاهِنَ فَاالسَّقَاءُ      يَأْقَارٌ مِنْ عِيدِ شَمْسٍ خَلَاءُ (٢)  
قَدْ أَرَاهُمْ وَفِي الْمَوَاسِمِ إِذْ يَغْتَدُونَ      حِلْمٌ وَنَائِلٌ وَبِهَاءُ  
وَحِسَانٌ مِثْلُ الدَّمَى عَيْشِيَّاتٌ      عَلَيْهِنَّ بَهْجَةٌ وَحَيَاءُ

.....

حَبَّذَا الْعَيْشُ حِينَ قَوْمِي جَمِيعٌ      لَمْ تَفَرَّقْ أُمُورَهَا الْأَهْوَاءُ

(١) الديوان ص ٨٧ .

(٢) تعاهن : اسم عين ماء سمي به موضع على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة .

ويعلن بعد ذلك تحيزه لقريش ، واعتداده بقرشيته ، ويهاجم كل  
الطامعين في منافستها على الحكم ممن يتمنون فناءها . وكأنه يخاطب  
بذلك الخوارج قائلاً (١) :

قَبْلَ أَنْ تَطْمَعَ الْقَبَائِلُ فِي مَلِكِ قُرَيْشٍ وَتَشْمَتَ الْأَعْدَاءُ  
أَيُّهَا الْمَشْتَهَى فَنَاءَ قُرَيْشٍ      بيد الله عُمُرُهَا وَالْفَنَاءُ  
إِنْ تَوَدَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ      لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لِحَيِّ بَقَاءُ  
لَوْ تَقْفَى وَتَتْرُكُ النَّاسَ كَانُوا      غنم الذئب غاب عنها الرعاءُ

وينتقل بعد ذلك إلى الافتخار بقريش ، وكأنه يبرر أحقيتها بالخلافة .  
فاستحقاقها ليس مجرد عاطفة وعصبية قبلية ، وإنما كان ذلك هو الوضع الطبيعي  
لها . فهو يقول (٢) :

نَحْنُ مَنَا النَّبِيُّ الْأَمِّيُّ وَالصَّدِيقُ مَنَا التَّقِيُّ وَالْخُلَفَاءُ  
وَقَتِيلُ الْأَحْزَابِ حَمْرَةٌ مَنَا      أَسَدُ اللَّهِ وَالسَّنَاءُ سَنَاءُ  
وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرٌ ذُو الْجَنَاحَيْنِ      هُنَاكَ الْوَصِيُّ وَالشُّهَدَاءُ  
وَالزَّبِيرُ الَّذِي أَجَابَ رَسُولُ اللَّهِ      فِي الْكُرْبِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءُ  
وَالَّذِي نَفَّصَ ابْنَ دَوْمَةَ مَا تَوَجَّهِيَ      الشَّيَاطِينُ وَالسُّيُوفُ ظَمَاءُ

(١) الديوان : ص ٨٨ .

(٢) نفسه ص ٨٩ ، ابن دومة : يعنى المختار الثقي .

ويشيد بالزبيريين ، مادحاً مصعب بن الزبير مديحاً يأخذ الصبغة  
الدينية فيقول (١) :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلَمَاءُ  
مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبْرَوْتُ وَلَا بِهِ كِبْرِيَاءُ  
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ هَمَّهُ الْإِتْقَانُ  
.....

ثم ينهي القصيدة بالهجوم على خصوم الزبيريين من الأمويين .  
حيث يدعو للثورة عليهم في نعمة واضحة . فيقول (٢) :

كَيْفَ نَوَمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا يَشْمَلُ الشَّامُ غَارَةً شَعْوَاءُ  
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعَذْرَاءُ  
أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمِيَّةٍ مُزَوَّرٌ وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ  
إِنْ قَتَلَى بِالطَّفِّ قَدْ أَوْجَعْتَنِي كَانَ مِنْكُمْ لَعْنٌ قَتَلْتُمْ شِفَاءُ

ونلمس هذه الثورة ضد الأمويين في قصيدته التي يرثي بها قتلى موقعة  
الحرة (٣) .

- 
- (١) نفسه ص ٩١ .  
(٢) نفسه ص ٩٥ .  
(٣) الديوان ص ٩٧ .

وقد استفاد ابن الرقيات من قدرته في فن الغزل فاستخدمه  
لأغراض سياسية . فأخذ يتغزل غزلاً فاحشاً في عاتكة زوجة عبد الملك بن  
مروان (١) وأم البنين زوجة ابنه الوليد (٢) . في عبث يقصد به إغاطة بني أمية  
ولاهانتهم .

وإذا كان حظ الزبيريين من الشعر والشعراء قليلاً ، فإن الصورة  
تختلف عند الشيعة والخوارج .

فقد عرف العصر الأموي عددًا غير قليل من الشعراء الذين أظهروا  
ولاءهم لآل البيت . ومن بينهم الكميث بن زيد الأسدي ، وكثير بن  
عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، وأيمن بن خريم ، وأبونميلة الأبار .

ويعتبر الكميث بن زيد أبرز شعراء الشيعة في هذا العصر على  
الإطلاق ، كما يعد ديوانه ( الهاشميات ) أنموذجاً متقدماً للأدب الشيعي  
ليس في العصر الأموي فحسب ، وإنما في مختلف العصور .

---

( ١ ) نفسه ص ١٢٨

( ٢ ) نفسه ص ١٢١ .

وهو يبدأ قصائد ديوانه بالحديث عن حبه لبني هاشم خلافاً لما جرت عليه القصائد القديمة في البدء ببياء الديار والوقوف على الأطلال. وهو يحاول من خلاله أن يثبت أحقية بني هاشم بالخلافة ، وأن الأمويين مغتصبون لها . وللوصول إلى هذا الغرض تفرع ديوانه إلى ثلاثة موضوعات كبرى أولها مدح بني هاشم ، وثانيها هجاء خلفاء بني أمية ، أما ثالثها فهو الموازنة بين جور بني أمية وعدل بني هاشم (١) .

ويستفيدا لكميت في هاشمياته من التطور الفكري الذي طرأ على العقل العربي فيعمد إلى الجدل العقلي في محاولته لإثبات حق بني هاشم ويظهر هذا جلياً في مناقشته لقضية ميراث النبي (٢) .

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن هذا الاتجاه العقلي جاءه عن تتلمذه على يد واصل بن عطاء إمام المعتزلة (٣) . وقد رأى بعض الدارسين (٤) ان الهاشميات في حقيقتها ليست مدائح لبني هاشم وإنما هي تقرير لنظرية الزيدية الشيعية التي كان ينتمى إليها الشاعر ، وتعبير عن أفكار إمامها زيد بن علي . وبهذا عللوا تلك الروح الخطابية التي تتسم بها .

---

(١) حياة الشعرفى الكوفة ص ٧١١ .

(٢) الهاشميات ص ٣٢ .

(٣) التطور والتجديد ص ٢٨٠ .

(٤) نفسه ص ٢٧٣ ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص ٦٠٨ .

أما الخوارج فإن من المؤكد أن جزءاً كبيراً من شعرهم قد ضاع أو أهمل . وترجع سهير القلماوى ذلك إلى ما أصابهم من الاضطهاد، إذ أنه دون في عصر كان فيه للشيعة سلطان فعلي أو معنوي قوي ، وان أكثر من دونـوه كانوا من الشيعة كأبى الفرج الذى لم يعط لهم اهتماما حقيقيا . (١)

ورغم احترامنا لرأيها وتقديرنا له . إلا أننا لا يمكن أن نسلم به كلياً كتفسير لهذه الظاهرة . فنحن نعلم أن أبا الفرج ليس هو الوحيد الذى كتب عن الخوارج . فهناك من المؤرخين غيره من أعطى لهم اهتماماً كبيراً . وهذا ما نجده في الكامل للمبرد ، وأنساب الأشراف للبلاذري ، وفتوح بن أعثم ، وغيرها من المصادر القديمة . وهذا ما يدفع إلى البحث عن تفسير آخر لذلك . وهو في اعتقادى يتلخص في أنهم كانوا فئة خارجة على المجتمع مما جعلهم مشردين يعيشون في أماكن خاصة بهم ، بعيداً عن أعين أعدائهم . شأنهم في ذلك شأن الصعاليك في العصر الجاهلي . وهذا ما جعل سبل الاتصال فيما بينهم وبين مجتمعهم قليلة . مما لم يساعد على وصول شعرهم إلى أيدي الرواة . إلى جانب أن هذا الشعر كان يحمل معتقدات خاطئة . مما دعا المجتمع الإسلامى إلى نبذ أفكاره وعدم قبولها وبالتالي لم يجد ما قالوه الاهتمام الكافي لحفظه . وهو بهذا يشبه

---

(١) أدب الخوارج ص ٥٠ .

شعر القرشيين في أثناء الدعوة الإسلامية إذ أهمل شعرهم بسبب ما يحمله من فكر مضاد للإسلام وهجاء للرسول (صلى الله عليه وسلم) وللمسلمين . وقبل ذلك كله كون الشعر عندهم لم يكن هدفاً بحد ذاته ، وإنما كان تعبيراً عن حالة نفسية يمر بها الشاعر ، فيطلق أبياته ويقف عند ذلك فليس هناك شاعر منهم يلجأ إلى إلقاء شعره بين الناس .

ولعل أشهر شعراء الخوارج في هذا العصر هم الطرماح بن حكيم وقطرى بن الفجاءة ، وعمران بن حطان ، والحصين بن عمرو العنبري .

وشعراء هذا الحزب ملتزمون بقضيتهم أشد الالتزام . فهم دون غيرهم من شعراء الأحزاب السياسية قد قصروا ملكاتهم الشعرية على عقيدتهم الحزبية مهما اختلفت الأغراض التي عبروا بها عن هذه الفكرة من مدح أو رثاء أو هجاء ، وندر أن يخرج من بينهم شاعر انطلق في مدح من لا ينتمي إلى مذهبهم بدافع الخوف ، أو بغرض التكسب أو نيل حظوة ، بل إنك تجدهم يهاجمون من يفعل ذلك . فعمران بن حطان يتهم الفرزدق بالنفاق حين رآه ينشد وحوله الناس فيخطبه قائلاً (١) :

---

(١) شعر الخوارج ص ١٧٦ .

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادِ لِيُعْطَى  
فَأَسْأَلُ اللَّهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ  
لَا تَقُلْ لِلْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ  
إِنَّ لِلَّهِ مَا بِأَيْدِي الْعِبَادِ  
وَأَرْجُ فِضْلَ الْمُقَسِّمِ الْعَوَادِ  
وَتُسْمِي الْبُخَيْلِ بِاسْمِ الْجَوَادِ

وفى شعرهم لانراهم يتحدثون عن مبادئهم السياسية بل يعبرون فيه عن مشاعرهم الذاتية والجماعية ، فيتدفقون حماساً للقتال في سبيل عقيدتهم ، ويمجدون قوادهم وأبطالهم الذين سقطوا شهداء في سبيلها ، ويتلهفون على اللحاق بهم ، ونيل الشهادة مثلهم ؛ لأنها الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الجنة هدفهم الأسمى . وكل ذلك في بساطة وعفوية لا نجد لها نظيراً في الشعر العربي في مختلف عصوره ، ودون أن يعمدوا إلى الحجج والبراهين لاشيات ما يقولونه لأنهم ليسوا بحاجة إلى ذلك لاقتناعهم الذاتي العميق به . وهذا ما يجعل قارئ شعرهم يحس بصدق أبياتهم . وهذا الصدق هو الذي دفع أحمد الشايب إلى أن يقول عن شعرهم إنه " أصدق صورة أدبية لمذهب ديني سياسي لا يشاركه في هذا الوصف شعر آخر " (١) .

---

(١) تاريخ الشعر السياسي ص ٢٠٤ .



ولعل ذلك يرجع إلى كون شعراء الخوارج هم " الزعماء أصحاب المذهب ، وهم المجاهدون حملة السيف ، وهم أنفسهم الشعراء ذوو الموهبة واللسان " (١) .

واتسم شعر الخوارج بأنه في أغلبه عبارة عن قصائد ومقطوعات قصيرة، فلا ترى لهم قصائد مطولة إلا قصيدتين لعمر بن الحصين العنبري .  
إحداهما في رثاء أبي حمزة الشاري (٢) ، والأخرى قالها في وقعة قديد (٣) .  
ويعود ذلك في رأيي إلى حياتهم التي كانوا مشغولين فيها بالجهاد في سبيل ميادئهم التي اعتنقوها . فلم تساعدهم على التفرغ لهذا الفن مما قد يتيح لهم إطالة قصائدهم وتجويدها . فهم يختلفون عن الشعراء المحترفين الذين تفرغوا للشعر ولم يشغلهم عنه شاغل . والخوارج في هذا يكادون يكونون صورة مكررة من شعراء الصعاليك في الجاهلية (٤) ، وشعراء الفتوح في عصر صدر الإسلام (٥) . حيث اتسمت أغلب أشعار هؤلاء بأنها مقطوعات قصيرة .

---

(١) نفسه ص ٢٠٥

(٢) شعر الخوارج ص ٢٤٧ .

(٣) نفسه ص ٢٥١ .

(٤) الشعراء الصعاليك ص ٢٥٩ .

(٥) شعر الفتوح الإسلامية ص ٣٠٦ .

## ثانياً : المتغيرات الاجتماعية :

طراً على المجتمع الإسلامي في العصر الأموي تغيير كبير في حياته أحدثه اتساع رقعة الدولة الإسلامية . فقد فتح العرب أرض فارس والسرور وعادت هذه الفتوح عليهم بالأموال الطائلة ، وأكسبتهم بعض العادات والتقاليد التي لم يألفوها من قبل في جزيرتهم . وتبع ذلك تغيير في نمط حياتهم ومعيشتهم اليومية . هذا الثراء والتطور المادي الذي انتشر في معظم الحواضر الإسلامية صاحبه اختلاط العرب بأهل الأمم التي افتتحوها بمالهم من تقاليد وأعراف خاصة بهم أثرت بلاشك في أسلوب الحياة الإسلامية في السنين اللاحقة . إلى جانب تلك الظروف السياسية التي واكبت ذلك العصر ، والتي أعقبت تغيير نظام الحكم ، وما صاحب ذلك من خروج على مبدأ الشورى التي كانت مبدأ أساسياً للحكم أثناء الخلافة الراشدة فأصبحت بعد ذلك وراثية أثناء حكم الأمويين . مما أوجد معارضة شديدة كانت دافعاً للأمويين إلى العمل بشتى السبل الكفيلة للإبقاء على قسوة دولتهم واستقرارها .

ولعل أبرز معالم التغيير التي طرأت على الحياة الاجتماعية تتمثل فيما

يلي :

- ١ - غلب طابع الترف على حياة المجتمع الإسلامي في الحواضر الإسلامية حيث دخلت إليه عناصر جديدة من أجناس مختلفة لم تنشأ في ظلال البيئة الإسلامية ، ولم تتمكن منها تعاليم الإسلام ومبادئه ، فظلت

خاضعة لتقاليد وعادات اكتسبتها في حياتها الماضية ، واستطاعت بفضل تفوقها الحضاري أن تنقل هذه العادات إلى الحواضر الإسلامية التي دخلتها . وقد ساعدها على ذلك وجود جيل جديد رأى نفسه يعيش حياة مترفة يتمتع فيها بقسط وافر من الرفاهية ، مما جعله يندفع إلى الأخذ بسبل اللهو وفي مقدمتها الغناء الذي كان منتشراً بشكل كبير في الحجاز ، وفي الشام ساعد على ظهوره وانتشاره فراغ كان يشعر به الحجازيون ، وحرص من السلطة على صرفهم إلى اللهو والتمتع بلذات الحياة . هذا الجيل لم يكن له من عمق الإيمان والعقيدة ما يجعله قادراً على السيطرة على شهواته كما كان الجيل السابق ، ولهذا فقد كان أكثر استعداداً للاستسلام لمغريات الحياة الجديدة ومفاتها .

وقد ظهرت على الشعر الأموي ملامح من حياة التحضر السني طرأت على المجتمع الإسلامي آنذاك . وقد كان الشعر أكثر صدقاً واقناعاً في تصويرها من تلك القصص التي تتردد في كتب ألفت بعد ذلك بفترة ، وبعض ما جاء فيها موضع شك لما فيه من الصالغات والدسائس المقصودة .

ولعل في تصوير شعراء الغزل للمرأة آنذاك ، ما يعطى أكبر دلالة على ذلك الترف الذي أصاب الحياة العربية . إذ أن المرأة كانت وما زالت أكثر إقبالا على مغريات الحضارة وأكثر استسلاماً لها ، والمرأة كما يصورها شعراء الحجاز تقيم في غرف تحف بها الحدايق ، وتجد من يخدمها من الجواري اللواتي كفينها أمورهما . خلاف ما كان عليه الحال قبل مجيء الأمويين إلى الحكم .

يقول عمر بن أبي ربيعة :

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ      وَرِيَانٌ مُلْتَفٌّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ  
وَوَالٍ كَفَّاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا      فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ (١)

ويقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

وَبَنَاتُ كَسْرَى فِي الْحَرِيرِ عَوَامِلٌ يَخْدُ مِنْهِنَّ  
مَتَعَطِّفَاتٌ بِالْبُرُودِ عَلَى الْبِغَالِ وَفُرْهِنَنْ (٢)

وهي تعني بزینتها أشد الاعتناء ، وتحرص على الظهور بمظهر حسن . فهي ترتدي ثياب الحرير ، والبرود اليمانية التي هي من أجود الملابس عند العرب .

(١) الديوان ص ٩٥ .

(٢) الديوان ص ٦٧ .

يقول ابن الرقيات :

تَتَقِي بِالْحَرِيرِ مِنْ وَهَجِ الشَّمْسِ وَخَزَّ الْعِرَاقِ وَالْأَسْتَارِ (١)

ويقول عمر بن أبي ربيعة :

فَقَامَتْ إِلَيْهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا كِسا آنَ مِنْ خَزِّ دِمَقْسٍ وَأَخْضَرِ (٢)

ويقول أيضاً :

لَقَدْ عَرَضَتْ لِي بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنِي لِحَيْنِي شَمْسٌ سَتَّرَتْ بِيَمَانِ (٣)

كما أنها تزين جيدها بمختلف الجواهر من در وياقوت وزبرجد .

يقول العرجي :

تَعَلَّقَ هَذَا الْقَلْبُ لِلْحَيْنِ مَعْلَقًا غَزَالًا تَحْلَى عَقْدَ دَرٍّ وَيَارِقًا (٤)

ويقول عمر :

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَافِيهِمَا شَرِقٌ بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ

وَزَبْرَجَدٌ وَمِنَ الْجَمَانِ بِهِ سَلْسُ النَّظَامِ كَأَنَّهُ جَمْرُ

وَبِدَائِدُ الْمَرْجَانِ فِي قَمَرِنِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالشَّدْرِ (٥)

(١) الديوان ص ٢٣ .

(٢) الديوان ص ٩٩ .

(٣) الديوان ص ٢٦٥ .

(٤) الديوان ص ١٦٣ .

(٥) الديوان ص ١٤١ .

وهي تستعمل مختلف العطور فتنتشرها على ملابسها ، وعلى جسمها  
وتبالغ في ذلك كل المبالغة .

يقول عمر :

وَتَضَوَّعَ الْمِسْكَ الذَّكِيُّ وَعَنْبَرٌ  
من جيبها قد شابه كافور (١)

ويقول أيضاً :

يُفُوِحُ الْقَرَنْفُلُ من جيبها  
وريحُ الْيَلَنْجُوجِ وَالْعَنْبَرِ (٢)  
وهي مولعة بشعرها ، فهي تكثر من تسريحه ، ودهنه ، بل وتطيبه  
أيضاً .

يقول ابن الرقيات يصف امرأة تحمل طفلاً :

يَبْكِي فَتَسْكِنُهُ بِمِرْدَتِهَا  
وعليه منها ماثلُ الْفَسْرِعِ  
مُعْدُودِنٌ جَمَعَتْ ذَوَائِبَهَا  
بِالْمِسْكِ حُقُّ مَجِيدَةِ الْجَمْعِ (٣)

ويقول عمر :

بِفَاحِمٍ مُكَرَّعٍ سَوْدٍ غَدَائِرُهُ  
تَشْنِي على المَتْنِ مِنْهُ وَارِدًا جَثَلًا (٤)

- 
- (١) الديوان ص ١٣٠ .
  - (٢) الديوان ص ١٧٣ .
  - (٣) الديوان ص ٦٥ .
  - (٤) الديوان ص ٣٥٧ .

ويقول أيضاً :

تَقُولُ يَا عَمَّتَا كُفِّي جَوَانِبَهُ      وَيَلِي بُلَيْتُ وَأَبْلَى جِيدِ الشَّعْرُ  
مِثْلُ الْأَسَاوِدِ قَدْ أَعْيَا مَوَاشِطَهُ      تَضَلُّ فِيهِ مَدَارِيهَا وَتَتَكَبَّرُ  
فَإِنْ نَشَرْتَ عَلَى عُمِدِ ذَوَابِهَا      أَبْصَرْتَ مِنْهُ فَتَيْتَ الْمِسْكَ يَنْثَرُ (١)

وامتد اعتناؤها إلى عيونها فهي تكثر من تكحيلها .

يقول العرجي :

كَأَنَّ نِعَاجَ الرَّمْلِ أَهَدَتْ عَيْونَهَا      إِذَا مَجْمَعَتْ أَشْفَارَهَا مِنَ الْمَرَاوِدِ (٢)

ويقول عمر :

يَوْمَ قَالَتْ وَدَمْعُهَا يَفْسِلُ الْكُحْلَ أُرِدَّتِ الْغَدَاةَ مِنَّا انْصِرَامًا (٣)

ويشير الشعر إلى أن الرجل - أيضاً - تبع المرأة في الأخذ بمعطيات الحضارة .  
فقد ارتدى الطيلسان والبرود الرقيقة وخلع عنه الثياب الخشنة .

يقول العرجي :

لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِي يَلْقَيْنَ مِنْ كَمَدٍ      وَعَنَّ آخِرَ لَيْلِي سَوْفَ يَنْصَرِمُ  
لَبِسْتُ سَاجِي عَلَى بُرْدِي مُنْطَلِقًا      تَحْتَ الشَّمَالِ وَفِيهَا قَطْقَطٌ شِيمٌ (٤)

ويقول عمر :

وَإِذْ أَنَا غَرَّ أَجَارِي دَدًا      أَحْوَلَذَةَ كَصَرِيحِ السَّكْرِ  
مِنَ الْمُسْبِغِينَ رِقَاقَ السُّبُرُودِ      أَكْسُو النَّعَالَ فُضُولَ الْأَزْرِ (٥)

- 
- (١) الديوان ص ٤٩٤ .  
(٢) الديوان ص ١٢٠ ، مجمعت : أرخت أشفارها للتكحل ، والمرود : الميل الذي يتكحل به .  
(٣) الديوان ص ٢٣٦ .  
(٤) الديوان ص ٩ ، الساج : الطيلسان الواسع المدور ، الشمال : الريح الباردة القاطط : المطر الخفيف ، الشيم : البارد .  
(٥) الديوان ص ١٧٦ .

كما يشير الشعراء إلى انتشار الغناء الذي كان أبرز وسائل اللهو  
عندهم .

يقول عمر :

قَدْ دَعَانِي وَقَدْ دَعَاهَنَّ لِلَّهِهِ شُجُونٌ مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْجَانِ  
فَاهْتَصَرْنَا مِنَ الْحَدِيثِ غُصُونًا      حَيْثُ لَا يَجْتَنِي لِعَمْرُكَ جَانِي  
ذَاكَ طَوْرًا ، وَتَارَةً أَبْعَثُ الْقَيْنَةَ وَهَنَا بِالْمُزْهِرِ الْحَنَانِ (١)  
ويقول أيضاً معبراً عن شغفه الشديد بالغناء واستماعه :

يَا أَهْلَ بَابِلَ مَا نَفِسْتُ عَلَيْكُمْ      مِنْ عَيْشِكُمْ إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ  
مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبَ لَيْلٍ بَارِدٍ      وَسَمَاعَ مَنْشَدَتَيْنِ لِابْنِ هِلَالٍ (٢)  
ويعصور العرجي مدى تأثير الغناء في أمثاله من الشباب اللاهي فيقول :

إِذَا دَعَتْ هَاجَ ذَا الْأَشْجَانَ مِنْطَقَهَا      كَأَنَّهَا قَيْنَةٌ غَنَتْ عَلَى عَوْدٍ (٣)  
وهكذا يظهر لنا من الأمثلة السابقة أننا أمام حياة جديدة لم تعرفها  
العصور السابقة لهذا العصر . شملت نمط حياة العرب اليومية من مظهر  
وملبس وغيرهما .

- 
- (١) الديوان ص ٢٩٠ .  
(٢) الديوان ص ٣٧٦ .  
(٣) الديوان ص ١٦٠ .



٢ - احتدمت العصبيات بين القبائل العربية ، وبلغت حدتها مدى لم تبلغه قبل ذلك . وقد كان وراء عودتها - إن صح أنها خمدت في عهد الخلافة الراشدة - دوافع متعددة أهمها :

أ - الدوافع السياسية :

كانت الحروب الداخلية التي حدثت عقب مقتل عثمان رضي الله عنه بين علي ومعارضيه بداية حقيقية لعودة العصبيات القبلية بعد أن خمدت جذوتها منذ عهد النبوة ، فقد ظهرت بواكيرها في هذه الحروب ، ففي وقعة صفين - على سبيل المثال - تجلّت بعض النزعات القبلية بين العدنانية والقحطانية . من ذلك ان رجلاً من قبيلة عك حض قومه على الاستبسال في القتال حتى لا تشمت بهم مضر<sup>(١)</sup> ، وعندما عقد معاوية الألوية في أحد أيام المعركة لرجال من مضر غمّ ذلك رجالاً من اليمن أرادوا ألا يتأمر عليهم إلا أحد منهم ، وعبر عن ذلك أحد شعرائهم . مما دفع معاوية إلى استرضائهم<sup>(٢)</sup> . وبعد ما استقر الفريقان على التحكيم واختار معاوية عمرو بن العاص استشار على رؤساء جيشه في اختيار الحكم وكان من رأيه أن يكون عبد الله بن عباس ، غير أن الأشعث أبي أن يكون الحكمان من مضر

---

(١) وقعة صفين ص ٣٠٢ .

(٢) نفسه ص ٤٢٤ .

واختار أبا موسى الأشعري ، ولما أبدى على تخوفه من أن يخدع عمرو صاحبه ، أجابه الأشعث بقوله " والله لأن يحكما ببعض ما نكره ، وأحدهما من أهل اليمن ، أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضرين " (١) .

وفي ظل حكم الأمويين رأى بعض خلفائهم أن إثارة العصبية القبلية وسيلة ناجعة لتقوية دولتهم ، وضمان استمرارها في كثير من الأوقات . فقيام العصبية القبلية بين القبائل وانشغالها بها لا يجعلها تفكر في معارضة الدولة والخروج عليها . وإنما يصبح جل اهتمامها التفوق على القبيلة الأخرى ، كما أن ذلك يجعل أمر اتحاد القبائل ضدها مستبعداً وذلك في حالة وجود معارضة عامة لها .

وقد كانت وسيلة الأمويين لإثارة العصبية تأتي عن طريق تقريب الخليفة أو الوالي لأفراد قبيلة ما ووضعهم في بعض المناصب الإدارية التي تعطي لقبيلتهم شيئاً من النفوذ السياسي . ويرجع هذا التقريب إما لعلاقة نسب أو مصاهرة بين الخليفة أو الوالي وتلك القبيلة ، أو لأنه وجد فيها قوة وإخلاصاً يجعلها قادرة على مساندة الدولة ودعمها عند الحاجة إلى ذلك .

---

(١) نفسه ص ٥٠٠ .

وقد كان هذا العمل كفيلاً بإثارة القبائل الأخرى التي ترى في ذلك استصغاراً لشأنها ، فيوغر صدورها ضد هذه القبيلة ، فتعمل بشتى الوسائل والسبل على زعزعة سلطانها ، فتشور العصبيات ، وتشتعل الخصومات بين القبائل .

وقد كان معاوية بن أبي سفيان - مؤسس الدولة الأموية - أول من نهج هذه الطريقة ، حيث قرب إليه القبائل اليمانية التي كانت تمثل أكثر أنصاره في الشام (١) . ومن سار على منواله من الخلفاء يزيد بن عبد الملك ، وابنه الوليد بن يزيد ، وقد كانا يقربان القيسية لمصاهرة يزيد لها (٢) .

وقد سار بعض ولاية بني أمية على نهج خلفائهم . فأسد بسن عبد الله القسري يعلن تحيزه لليمانية ، ويخطب في يوم الجمعة خطبة يعلن فيها تعصبه . مما كان سبباً في عزله من قبل هشام (٣) . كما فعل ذلك الجنيد بن عبد الرحمن الذي استعمله هشام بسن عبد الملك على خراسان سنة احدى عشرة ومائة ، فقد كان لا يستعمل في ولايته إلا مضمرباً (٤) .

- 
- (١) الأغاني ٢٠ / ٢٠٨ .
  - (٢) الطبري ٧ / ٢٣٤ .
  - (٣) نفسه ٧ / ٤٧ .
  - (٤) نفسه ٧ / ٦٩ .

ب - الدوافع الاقتصادية :

لقد كان خروج بعض القبائل العربية من جزيرتها إلى العراق بعد الفتح الاسلامي، دافعاً له دوره الملموس في إثارة القبائل الأخرى ضدها والتي كانت تسكن هناك قديماً، حيث شاركتها في مواطن الماء والكلأ . وما معارك قيس وتغلب التي وقعت في الجزيرة بالعراق في أوائل العصر الأموي (١) إلا دليل حي يؤكد أن العامل الاقتصادي كان من الأسباب التي ساعدت على نشوء الصراع القبلي آنذاك . ولا ننسى هنا دور الشعر كعامل له أهمية كبرى في إثارة العصبية فحينما يعمد الشاعر إلى هجاء إحدى القبائل ، وإبراز مخازيها ، مفتخراً بقبيلته فهو بذلك يشعل الأحقاد في قلوب أفرادها ليس ضده فحسب وإنما ضد قبيلته أيضاً " فلم يكن الشعراء عصفرة في كثرتهم الغالبة دعاة سلام ورسائل محبة وأخوة ، على ما نتصوره اليوم من مهمة الشاعر ، وإنما كانوا أبواق فتنة ودعاة شر ، دأبهم أن يقرعوا طبول الحرب ويحرسوا بين القبائل ، فإذا وقعت الواقعة طفقوا يهللون لها ويرقصون حول نيرانها جذلين متتهجين " (٢) .

(١) أنساب الأشراف ٣١٣/٥ .

(٢) العصبية القبلية ص ٣٧٦ .

وهذا التغيير الذي طرأ على الحياة الاجتماعية أسهم بدوره في دفع الحركة الشعرية في هذا العصر ، وأعطى لها طابعاً معيناً . حيث ظهرت على الساحة الشعرية بعض التيارات التي تتناسب مع هذا التغيير .

فالشعر الغزلي الصريح جاء تعبيراً عن عواطف وأفكار جيل جديد من شباب الحجاز الذي وجد نفسه يحيا حياة سهلة يتمتع فيها بضروب من الترف والنعيم ، هيأتها له الثروات الطائلة التي خلفها الآباء للأبناء ونمت في ظل الإسلام من خلال التجارة أو من رصيد الغنائم التي كان الخلفاء يوزعونها عقب الفتوحات الإسلامية ، أو جاءتهم عن طريق العطايا والهيئات التي كان يمنحها لهم الخلفاء الأمويون ، تلك الهيئات التي ظلت مستمرة طوال العصر الأموي ، ولم تتوقف إلا فترة بسيطة في عهد هشام بن عبد الملك حيث قطعها عنهم بعد خروج زيد بن علي عليه . غير أنها لم تلبث أن عادت بعد وفاته في عهد الوليد بن يزيد (١) . وقد كانت السلطة الأموية تقصد بذلك استرضاءهم ، وإلهاءهم عن التفكير في معارضتها والخروج عليها كما فعل عبد الله بن الزبير .

---

(١) الأغاني ٢٢/٧ .

وكان من الطبيعي أن يتجه شعراء هذا الجيل المتترف إلى الحديث عن المرأة ، وعلاقتهم بها ، ومغامراتهم معها . فهذا ما يتناسب مع طبيعة حياتهم . وقد ساعدهم على ذلك ما كانت تتمتع به المرأة من حرية في هذا المجتمع ، مما جعلها لا تتانع في لقاء الرجال والحديث معهم . كما كانت تفعل سكينه بنت الحسين التي كانت " تجالس الأجلة من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء " (١) .

ولعل ما دفع المرأة إلى ذلك هو شعورها الحاد بمنافسة العنصر الأجنبي - متمثلاً في الجواري - الذي كان يملك من التفوق الحضاري والجرأة ما كان يجعله قادراً على اجتذاب الرجال إليه بوسائله المختلفة ، ولعل الغناء الذي كان منتشرًا بشكل كبير آنذاك أحدها . هذا إلى جانب قلة الرجال في المجتمع حيث إن " كثيراً من الشبان خرجوا من وطنهم للغزو والجهاد ولم يعودوا ، إما لأنهم قتلوا في الفتح أو لأنهم آثروا الأرض الجديدة التي نزلوا فيها . . . ودائماً عقب الحروب تحدث مثل هذه الهزات الاجتماعية " (٢)

---

(١) نفسه ١٤٣/١٦ .  
(٢) التطور والتجديد ص ٢٢٥ .

وأبرز شعراء هذا اللون الشعري المتأثر بالحضارة الجديدة  
عمر بن أبي ربيعة ، والأحوص ، والعرجي ، وعبيد الله بن قيس  
الرقيات ، والحارث بن خالد المخزومي .

ويتم غزلهم بصراحته في تصوير العلاقة بين المرأة والرجل ،  
وهم من خلاله يصورون مغامراتهم معها ، ومطاردتهم لها حتى في  
موسم الحج ، وتنعكس فيه ملامح من حياة المرأة في عصرهم  
وما نعمت به من ترف في العيش .

وقد كان الغزل عندهم غرضاً بحد ذاته ، يشمل القصيدة  
كلها ، فلم يكن مجرد مطلع للقصائد كما كان عليه حال الغزل في  
الجاهلية ، بل إن هناك من الشعراء من قصر جميع شعره  
على هذا اللون ولم يتجاوزه ، إلى لون آخر كعمر بن أبي ربيعة  
والحارث بن خالد المخزومي .

وقد أجاب عمر بن أبي ربيعة سليمان بن عبد الملك عندما سأله  
" ما يمنعك من مدحنا ؟ قائلاً: إنني لا أمدح الرجال ، إنما  
أمدح النساء " (١)

---

(١) الأغاني ٧٤/١ .

وهذه الإجابة من عمر جاءت طبيعية ؛ لأنها تعبر عن أفكار شاب مترف لا يهمه التكسب بقدر ما يهمه التعبير عن عواطفه الذاتية . وقد كان المجتمع الحجازي مشغولاً بهذا الغزل فهو يردده ويتغنى به . ولعل هذا ما دفع جريراً إلى أن يجيب رجلاً من أهل المدينة سأله أن يسمعه من شعره : " إنكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب " (١) .

وقد كان الفقهاء لا يتخرجون من سماع هذا الشعر ، بل وإنشاده ، فعبد الله بن عباس سأل عمر بن أبي ربيعة أن يسمعه رأيته (٢) ، وسعيد بن المسيب - أحد التابعين - كان - كما تقول الرواية - ينشد الغزل في مسجد رسول الله (٣)

بل إن هناك من الفقهاء من نظم شعراً يتغزل فيه كعروة ابن أذينة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي ، غير أن غزلهم كان يتسم بعفته ، فلا نجد فيه تلك الصراحة التي كانت تميز شعر قرناتهم .

- 
- (١) الأغاني ٧٦/١ .  
(٢) نفسه ٧٢/١ .  
(٣) نفسه ٩٣/٥ .



وفي بادية الحجاز ونجد حيث ظلت الحياة الاجتماعية تحتفظ بطابعها البدوي بعيداً عن التأثير بالتيارات الحضارية القادمة من البلاد المفتوحة، نشأ لون غزلي آخر يختلف بطابعه عن الغزل الصريح ، حيث يتسم بعفته وطهارته وسموه وترفعه عن التناول الحسي للمرأة ، ويقصر فيه الشاعر العاشق كل شعره على امرأة واحدة يمنحها كل عواطف قلبه المشبوبة وهو ما عرف عند الدارسين بالغزل العذري نسبة إلى قبيلة عذرة التي اشتهرت بهذا اللون الذي جاء ليعبر عن نفوس صافية أشرفها الإسلام بقيمه ، وانغرست فيها تعاليمه . فكان نتاجها الشعري صدى لهذا التأثير واستجابة له . وكان من أبرز الأسماء الشعرية التي اعتنقت هذا اللون ، جميل بن معمر، وقيس بن ذريح ، وقيس بن الملوح وغيرهم .

كما ازدهر شعر الهجاء بعد أن شهد خفوتاً واضحاً في عهد الخلافة الراشدة ، حيث لم يتردد الخلفاء آنذاك في تعقب الهجائين ومعاقبتهم منعاً لهم من الاستمرار في التعرض لأعراض المسلمين والنيل منها . وقد كانت العصبية القبلية المشتعلة في هذا العصر - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - هي العامل الأكبر ، والأكثر فاعلية في تحريك هذا اللون الشعري

وجعله في واجهة الحركة الشعرية آنذاك . فالشاعر بصفته صوت  
القبيلة ، والناطق باسمها ، لا يجد مناصاً من أن يدافع عنها  
ويفتخر بها ، ويهاجم أي قبيلة تحاول أن تنافسها أو تنال منها  
فيحتدم بذلك الهجاء بين شعراء القبائل المختلفة .

فالنقائض الشهيرة بين جرير والفرزدق كان التعصب القبلي  
شرارتها الأولى ، وقصتها كما يرويها أبو عبيدة في مقدمة النقائض (١)  
هي أن بني جحيش تنازعوها مع بني الخطفي في غدير بالقاع - وهذا  
دافع اقتصادي - فأخذ بنو الخطفي يهجونهم ، فاستعان  
بنو جحيش - لعدم قوتهم الشعر - بغسان بن ذهيل السليطي  
الذي أخذته العصبية لبني عمه فهجا بني الخطفي ، وكان  
جرير آنذاك راعياً يرعى غنم أبيه ولم يقل الشعر بعد . فأراد أن  
يقف ضد غسان فمنعه قومه ، لأنهم رأوه غير ند له . غير أنه  
ما لبث أن أثبت مقدرته ، حيث نظم رجزاً في هجاء السليطي ،  
وكان أول شعر قاله ، ولحم بعدها التهاجي بينهما . ومالبت  
أن دخل بينهما شاعر ثالث هو البعيث المجاشعي الذي أشاد  
بشعر غسان والذي كانت تربطه بقوم السليطي صلة رحم .

---

(١) النقائض ٢/١ .

وقد كان ذلك دافعاً لجريير أن يهجوّه ، ثم لجج التهاجي بين  
جريير والبعيث . وقد كان جريير في هجائه لبني مجاشع مفحشاً  
في حديثه عن نسائهم ، ولما لم يكن البعيث ندماً لجريير ،  
فقد لجأت نساء بني مجاشع إلى الفرزدق - الذي كان آنذاك قد  
عاهد الله ألا يهجو أحداً أبداً ، وأن يقيد نفسه ولا يحل  
قيده حتى يحفظ القرآن - فأثرن حفيظته ، ففض قيسده  
واستجاب لهن ، وفتح بذلك باب النقائض بينه وبين جريير  
تلك التي استمرت فترة طويلة تقارب أربعين سنة (١) ، ولم تتوقف  
إلا بموت الفرزدق .

وهذا التعصب القبلي كان خلف نقائض أخرى . فزياد  
الأعجم مولى عبد القيس وشاعرهم يهاجي كعب الأشقري شاعر الأزد (٢)  
وليلي الأخيلية تهاجي النابغة الجعدي (٣) ، وغيرهم كثير .

غير أن العصبية لم تكن الدافع الوحيد لإثارة شعر الهجاء .  
فقد كانت هناك دوافع أخرى مختلفة تتسم بالطابع الشخصي . فينشأ  
الهجاء بين شاعرين لخصومة شخصية بينهما ، والأمثلة على ذلك

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٣٨٩/١ .

(٢) الأغاني ٢٨٧/١٤ .

(٣) نفسه ١٤/٥ .

كثيرة . فحكم بن معمر الخضري يهاجى ابن ميادة المسري  
لانتقاد هذا الأخير لشعره (١) ، وأرطأة بن سمهية يهاجى  
زميل بن عبد مناف لما وقع بينهما من لجاج تواعد على أثره زميل أرطأة،<sup>(٢)</sup>  
والحزين الكنانى يهجو عاصم بن عمرو بن عثمان لعدم إكـرام  
عاصم له (٣) ، وعبد الرحمن بن الحكم يهاجى عبد الرحمن بن حسان  
لأن هذا أقام علاقة مع امرأة ابن الحكم (٤) . فكل هذه الدوافع  
تحركها الخلافات الشخصية .

وينبغي أن أشير هنا إلى نقطة هامة . وهى أن استمرار  
الهجاء بين جرير والفرزدق لم يكن بدافع العصبية القبلية ، حيث  
إن العلاقة الفردية بينهما كانت تحمل أحياناً نوعاً من التعاطف  
فيما بينهما . فالفرزدق يتدخل لدى المهلب بن أبي صفرة لإعفاء  
جرير من قتال الأزارقة (٥) ، وجرير يتوسط للفرزدق عند خالد  
القسري الذي حبسه لهجائه له (٦) . فالواقع أن هجاءهما تحول  
مع مرور الزمن إلى لون من المنافسة الأدبية ، إذ شعر الاثنان أن

- 
- (١) نفسه ٢٨٣/٢  
(٢) نفسه ٣٧/١٣  
(٣) نفسه ٣٣٩/١٥  
(٤) نفسه ١١١/١٥  
(٥) نفسه ٣٤٤/٢١  
(٦) نفسه ٣٨٠/٢١

نقائضهما منحتهما شهرة واسعة . فكان أحدهما عندما يتهيأ  
لإلقاء قصيدته ، يتحلق حوله الناس ، ويقابلونه بالتصفيق  
والتهليل ، وبعد انتهاء منها يأخذون في ترديد أبياتها فسي  
انتظار نقيضتها .

كما أنه أصبح لوناً من اللهو والتسلية يقصد به إضحاك  
الناس ، وملء فراغهم . وهذا ما تؤكد تلك الصور الساخرة  
التي تحفل بها نقائضهما .

فلو أنه حمل في استمراره طابعاً جاداً كما كان عليه الهجاء  
المعروف عند العرب لشهرت معه السيوف لما تضمنه من قذف لنساء  
العشائر والأمهات والأخوات (١)

وخاتمة القول فلقد أسهمت المتغيرات السياسية والاجتماعية فسي  
العصر الأموي مساهمة فعالة في تنشيط الحركة الشعرية آنذاك . مما  
جعل هذه الفترة من أكثر عصور الشعر العربي ازدهارا . كما كان لهذه  
المتغيرات دورها في توجيه أغراض الشعر ، الأمر الذي ساعد على جعل  
بعضها في واجهة الحركة الشعرية آنذاك .

---

(١) العصر الاسلامي ص ٢٥٠ .

## الباب الأول

# أثر الإسلام في الشعر الأموي

الفصل الأول : العوامل المؤثرة

الفصل الثاني : تطور القصيدة

العربية في الشعر

الأموي على هادي

الإسلام.

### العوامل المؤثرة

لعل من المفيد قبل أن نقف على أثر الإسلام في الشعر الأموي، أن نلم بتلك المرحلة التي سبقت نشأة الدولة الأموية ، وامتدت أربعين سنة عقب الهجرة النبوية ، وتعارف الباحثون على تسميتها بعصر صدر الإسلام . وذلك لكي نعرف المدى الذي بلغه أثر الإسلام في نتائجها الشعري . فمن المعلوم أن تلك الفترة قد شهدت عدداً غير قليل من الشعراء المخضرمين الذين اعتنقوا الإسلام . وكان منهم من لازم الرسول صلى الله عليه وسلم إبان الدعوة الإسلامية وشارك إلى حواره في غزواته ضد المشركين . إما بلسانه كحسان بن ثابت ، أو بلسانه وسيفه معاً كعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك . ولتسليماً بما يملكه الشعراء من رهافة في الحس ، وقدرة على التأمل ، فمن المؤكد أن هذه الفئة المؤمنة من الشعراء قد تأثرت بمعطيات هذا الدين ومفاهيمه ، وظهر أثر ذلك في شعرها . فما هي ملامح ذلك الأثر ؟

إن ما يظهر من خلال الدراسات التي تيسر الاطلاع عليها والتي تناولت شعر تلك الفترة من هذا الجانب . هو إجماعها على أن الأثر الإسلامي ظل محدوداً ، وانحصر في نطاق ضيق يتمثل أغلبه في

استخدام الشعراء لبعض الألفاظ والتعابير الدينية ، أو اقتباسهم المباشر لبعض الآيات القرآنية . أما استلهاهم للقيم والتعاليم الجديدة - وهو الأهم - فقد كان نادراً لا يتجاوز عند أغلب الشعراء أبياتاً قليلة تتناثر في قصائد يسودها الطابع الجاهلي .

فالدكتور يحيى الجبوري في دراسته لشعر المخضرمين يصل إلى أن أثر الدين في شعرهم كان " وفقاً على استعمال ألفاظ وتعابير دينية ، أو ذكر أحداث ومناسبات إسلامية ، أو تضمين آيات قرآنية ، وكل هذا يدخل في باب النقل من تعاليم الإسلام لا الإبداع وابتكار المعاني المستوحاة من هدي الإسلام وتعاليمه ، فكان من المؤمل أن يستفيد الشعراء من أسلوب القرآن ، في التذكير والوعد والوعيد والمحااجة ، وسوق الأمثلة ، والقصص ، وغير ذلك . " (١)

ويتناول الجبوري شعر حسان فيرى ان قصائده تكون " مفصلة في ذكر فنون الجاهلية ، من فخر وحماس وهجاء ووصف ، فإذا ما تناولت أمراً إسلامياً نجد همّ الشاعر أن يذكر الرسول أو الكتاب أو الجهاد أو الضلالة

---

(١) شعر المخضرمين ص ٣٤٩ .



أو الهدى ، ثم سرعان ما يتخلص إلى معان جاهلية عامة ، من فخر وعصبية وحسن بلاء ، فكأن الدين يأتي ذكره استهلالاً لقصائد أو ختاماً لها ، أو المرور بالمعنى الديني مرّاً سريعاً في بيت أو أبيات" (١)

ويؤكد د . عبد القادر القط ما توصل إليه الجبوري ، وذلك في دراسته لشعر حسان بن ثابت ، فهو يرى أنه كان متأرجحاً " بين الأسلوب الجاهلي في صورته ولغته ومعانيه ، وأسلوب لا يمكن أن نسقيه إسلامياً بالمعنى الصحيح ، وإنما يستخدم الشاعر فيه بعض الألفاظ القرآنية والمعاني الدينية ويتحلل فيه من المعجم الشعري الجاهلي مؤثراً البساطة التي قد تنتهي أحياناً إلى النظم والركاكة . ذلك لأن الشاعر شأنه في ذلك شأن سائر الشعراء المسلمين حينذاك لا يصدر في دفاعه عن الإسلام ، وهجائه للمشركين عن تصور ديني واضح المعالم، بل يخلط بين وقائع الحروب والأحداث الشخصية ، ومعان دينية يسيرة لاتعين على الاهتداء إلى أسلوب فني جديد ، يختلف عن الأسلوب الجاهلي" (٢)

---

(١) نفسه ص ٣٥٠

(٢) في الشعر الاسلامي والأموي ص ٤٦ .

وفي دراسته لشعر كعب بن مالك يشير د . عبد الله الجريـوع إلى أن أثر الإسلام على شعره كان ضئيلاً " فأغلب شعره سرد تاريخي لأحداث الفترة ووقائعها ، وذكر مفصل لأسماء من شاركوا فيها . ولم يحدث في شعره أي تطور نتيجة لتأثير الإسلام وتعاليمه إلا في حدود ضيقة . ولم يوفق في التخلص من المفاهيم الغنية الموروثة فقد استمد منها مادته وظلت الصورة القديمة للهجاء والمديح والفخر والرثاء هي الشائعة في شعره " (١)

ومن خلال دراسة قصيدة الرثاء الإسلامي (٢) عند حسان شاعر الرسول نخرج بما يؤكد تلك النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة .

إن مجموع ما قاله حسان من رثاء في الإسلام - فيما صحت نسبته إليه بلغ ثلاث عشرة قصيدة وست عشرة مقطوعة ، عدد أبياتها أربعة وأربعون ومائتا بيت . قالها في رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي رثاء أصحابه أبي بكر وعمر وعثمان وحمزة وغيرهم من الصحابة ، وفي رثاء

---

(١) مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي العدد الخامس ص ٢٨٧ .  
(٢) جاء اختيار الرثاء موضوعاً للدراسة لكونه أحد الأغراض الشعرية التي كتب لها الاستمرار طوال ذلك العصر لعدم تنافيه مع القيم الإسلامية . وكذلك لأنه من أكثر الأغراض قبولاً للتغيير في ظل هذا الدين الحنيف ، نتيجة للرؤية الجديدة التي يحملها الإسلام للموت الذي هو محور قصيدة الرثاء .

قتلى مؤتة ، وقتلى الرجيع ، وثلاثة أبيات يرثي بها ابنته . ويبدو التأثير الإسلامي في حوالى تسعين بيتاً منها . أي ما يمثل ٣٦٫٨٪ تقريباً . وهي نسبة ضئيلة لأن الجزء الأكبر منها لا يعد وأن يكون ألفاظاً ومصطلحات دينية ، أو سرداً لأحداث تاريخية . وكل ذلك أثر سطحي لا يعتد به .

ولعل في تحليلنا لقصيدتين قالهما الشاعر في فترتين متفاوتتين ما يؤكد لنا صدق ذلك .

فأطول قصائده في رثاء حمزة - ١٩ بيتاً - وقد قالها في أعقاب غزوة أحد - ٣ هـ ، حيث نجد الشاعر يبدؤها بالوقوف على الأطلال على عادة الجاهليين ، وذلك في الأبيات من ١ - ٣ . ثم ينتقل بعد ذلك إلى تأبين حمزة ، فيعتمد على المفاهيم الجاهلية في تقدير الأفراد ، فهو يشيد بكرمه وشجاعته ورفعته نسبه ، ولا يختلف عن ذلك إلا وصفه لحمزة بالشهيد في البيت التاسع .  
يقول حسان: (١)

دَعَّ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا      وَأَبُكَ عَلَيَّ حَمَزَةَ ذِي النَّائِلِ  
المالئ الشيزى إذا أعصفت      غبراء في ذي السنة الماحل (٢)

(١) الديوان ص ٢٢٠

(٢) الشيزى : جفان تعمل من خشب الشيز.

والتاركِ القرنَ لدى لبيدِهِ      يعثرُ في ذي الخُصرِ الذَّابِلِ (١)  
واللابسِ الخَيْلِ إذا أَحجَمَتْ      كاللَّيْثِ في غاباتهِ الباسِـلِ  
أبيضَ في الذُّرَّةِ مِنْ هاشِمِ      لم يَمِرْدُ وَنَ الحَقِّ بالباطِلِ  
ما لِشَهِيدِ بَيْنَ أَرماحِكُمْ      شَلَّتْ يَدَا وَحْشِيٍّ مِنْ قاتِلِ

وبصور في البيت الحادي عشر ما أحدثه موت حمزة ، فقد أظلمت الأرض  
لفقده ، وأسود نور القمر . وهذه الصورة التي يرسمها حسان جاهلية  
بحته ، فهو يقول (٢) :

وإنَّ امرأَ غُودِرَ في أُلَّةِ      مطرُورةٍ مارِنةٍ العامِـلِ (٣)  
أظلمتِ الأرضُ لِفَقْدِ إنهِ      واسودَّ نورُ القَمَرِ النَّاصِلِ

ويدعوه في البيت الثاني عشر بدخول الجنة ، قائلاً : (٤)

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ في جَنَّةِ      عالِيَةِ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ

أما الأبيات الأخيرة ١٣- ١٩ فهو يعود فيها إلى الإشادة بشجاعة  
حمزة في الإسلام ، وما أنزله بالمشركين في قتاله لهم في غزوة بدر  
ذاكراً في البيت الأخير أن جبريل كان وزيراً له في قتاله ، قائلاً : (٥)

.....

أرَدَاهُمْ حَمَزَةً في أُسْرَةٍ      يَمْشُونَ تَحْتَ الحَلَقِ الذَّائِلِ  
غَدَاةَ جِبريلَ وَزيرُ لَهُ      نَعَمَ وزيرُ الفَارِسِ الحَامِلِ

(١) القرن : الذي يقاوم في القتال ، اللبد : لبس السرج ، وذو الخصر :  
الرمح . السنان الذابل : الرقيق الشديد .

(٢) الديوان ص ٢٢٠ .

(٣) الألة : الحرية ، مطرورة : محدودة ، مارنة : لينة .

(٤) الديوان ص ٢٢١ .

(٥) الديوان ص ٢٢١ .

ومن بين قصائد الشاعر في رثاء عثمان مختار قصيدة مؤلفة من - ١٦ بيتاً - يفترض أنها قيلت في سنة ٣٥ من الهجرة أي في فترة متأخرة ، كانت الأحداث فيها قد هدأت ، وإن كان هناك استمرار لها في شكل فتوحات ، إلا أن الشاعر كان بمعزل عنها . كما يفترض أن الفترة التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت فرصة مواتية لحسان للتأمل والتفكير ، والاستجابة بسرعة للمثل والمبادئ التي جاء بها الدين الحنيف . كما أنها كانت كافية لإبراز المعاني الدينية وتضمينها في شعره . وكان يتوقع منه أن يتخلص من بعض المفاهيم الموروثة ، يستبدل بها متطلبات العهد الجديد .

وكما أن مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه كان حدثاً عظيماً أحدث جرحاً عميقاً في وحدة المسلمين ، وردهم إلى جاهليتهم الأولى . وكان جديراً بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتفاعل مع هذا الحدث ويسخر له كل مواهبه ، ويطوع له كل ملكاته ، وذلك بشحذ هم المسلمين ، ودعوتهم إلى جمع الشمل ، والاحتكام إلى القرآن والسنة ، ونبذ الخلاف وتحذيرهم من الفرقة والشتات التي يستفيد منها أعداء الإسلام .

إننا بإلقاء نظرة سريعة على أطول قصائده في رثاء عثمان نجد أن حسان رضي الله عنه يستهلها " الأبيات ١ - ١١ " بتقرير موقف تاريخي حدث أثناء الحصار لدار عثمان رضي الله عنه وهو أن آل حزم ظلوا يسقونه الماء في غفلة من الرقباء . وهو يعني بذلك على الأنصار تخاذلهم عن نصره الخليفة وعدم وفائهم بعهدهم له عند مبايعتهم إياه بالخلافة بينما يشيد بمن وقفوا معه .

وفي البيتين الثاني والثالث عشر ينتقل إلى تأبين عثمان فلا يتحدث عنه باعتبار خليفه عادلاً ، ولا عن دوره في فترة الدعوة المحمدية وما قام به من نصره للرسول صلى الله عليه وسلم بالنفس والمال ، بل يسير على المفاهيم الجاهلية . فلا زال للنسب عنده دور كبير في تقدير عثمان ، مع أن الإسلام قد غض من التفاخر بالأنساب ، وجعل الفضل بالدرجة الأولى للمتقين " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (١) . والرسول صلى الله عليه وسلم أكد على هذا في حجة الوداع بقوله " وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى " (٢)

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .  
(٢) مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٠٩ .

يقول حسان (١) :

غَدَرُوا بِأَبِيخَ كَالِهَلَالِ مُبَرَّرٍ      خَلَصَتْ مَضَارِبُهُ بِزَنْدٍ وَارٍ  
مِنْ خَيْرِ خِنْدِفٍ كُلِّهَا بَعْدَ الَّذِي      نَصَرُوا إِلَهَ بِهِ عَلَى الْكُفَّارِ

ويظهر أثر الإسلام واضحاً في شطر البيت الأخير من القصيدة حين يذكر الشاعر أن بني عمرو بن عوف قد كتبوا مع الأبرار لوقوفهم مع الخليفة في أزمته ، قائلاً (٢) :

حَاشَا بَنِي عَمْرٍو بِنِ عَوْفٍ إِيْتَهُمْ      كُتِبَتْ مَضَاجِعُهُمْ مَعَ الْأَبْرَارِ

إن الشاعر في قصيدته السابقتين يخضع للمفاهيم الجاهلية التي ظلت تحكم شعره ، أما تأثره بالإسلام فقد كان مقصوراً في أبيات محدودة .

وضالة الأثر الإسلامي ومحدوديته في شعر صدر الإسلام يجعل الدارس في حيرة ، ويدفعه إلى التساؤل بحثاً عن الأسباب التي قصرت بشعراء الدعوة الإسلامية عن الاستجابة لمتطلبات العهد الجديد .

(١) الديوان ص ٢١٤ .

(٢) الديوان ص ٢١٥ .

إن هذه الفئة المؤمنة من الشعراء وهم الفئة التي عاصرت مراحل الدعوة منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وشاركوا في صنع أحداثها ، وامتد بهم العمر بعد ذلك فترة شهدت العديد من التحولات المهمة والخطيرة في حياة الإسلام والمسلمين . ومع كل ذلك لم يستطيعوا أن يتمثلوا بشعرهم تعاليم الإسلام ومثلها العليا ، فقلت العناصر الدينية في أشعارهم ، وظل سلطان الموروث الجاهلي شائعاً فيها ، وصعب عليهم تطويع مواهبهم وتسخير قدراتهم الفنية لخدمة الأهداف الإسلامية السامية . ولعل ذلك يعود لأسباب من أهمها :

أولاً : إن شعراء هذه الفترة كانوا من فئة المخضرمين الذين اكتمل نضجهم العقلي والفني في العصر الجاهلي مما جعل مفاهيم ذلك العصر ترسخ في أذهانهم ، وتنعكس على فنهم ، وكان من الصعب عليهم آنذاك أن ينفصلوا عنها بعد أن ألقوها دهرًا طويلاً امتزجت فيه بعقولهم ، وبعضهم أدرك الإسلام متأخرًا وقد تقدم به العمر .

ثانياً : إن عصر صدر الإسلام كان فترة انتقال قصيرة بين الجاهلية والإسلام . ومثل هذه الفترة لا تساعد أبداً على بروز الظواهر الجديدة . فالنفوس في حاجة إلى الاستقرار ، والأذهان في حاجة إلى تقبل أكثر لمتطلبات العهد الجديد .



يضاف إلى ذلك أن هذه الفترة كانت مليئة بالأحداث المتتابعة ، فالمسلمون يخرجون من غزوة ليدخلوا في أخرى . وهذا لم يتيح لشعرائهم الفرصة لمراجعة النفس والتأمل فيما حولهم ، ومحاولة استيعاب تعاليم الإسلام بشكل يتيح لها أن تتمكن من نفوسهم وتنعكس بالتالي على شعرهم . كما أنهم كانوا مشغولين بمتابعة ما يدور حولهم ، وهذا - أيضاً - لم يساعدهم على التعبير عن قيم الإسلام وتضمينها في شعرهم بصورة ملموسة .

ثالثاً : إن بعض الأغراض الشعرية التي كتب لها الاستمرار في ظل الإسلام - كالهجاء والفخر مثلاً - كان الهدف من استخدامها في معركة الدعوة الإسلامية هو الوقوف ضد استغلال قريش للشعر في محاولتها النيل من الرسول وأصحابه ، ولذا كان لابد لشعراء الرسول أن يخاطبوا المشركين ويفاخروهم بمفاهيم الجاهلية التي يؤمنون بها ، فليس طبيعياً أن يعيروهم بالكفر وهم غير مقتنعين بالإسلام . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه حساناً إلى ذلك الاتجاه بقوله " اهجم واثت أبا بكر يخبرك أي بمعاب القوم " (١)

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢١٧/١ .

غير أننا لا ينبغي أن نغفل عن نقطة هامة وهي أن الإسلام قد ألقى بعض الأغراض الشعرية التي تتناقض مع قيمه ومفاهيمه ، كالشعر الذي يتغنى بالخمرويصف مجالسها ، والغزل الفاحش الذي يتحدث عن المرأة تحت تأثير الغريزة الجنسية مما يجعل أبياتـه تصويراً حسياً بحتاً ، وكالهجاء الذي يتناول أفراد الجماعة المسلمة ليزرع بذور الشقاق بينهم ، أو المدح الكاذب الذي كان الدافع له هو الحصول على منافع شخصية وأطماع ذاتية .

وقد انعكس ذلك على شعر تلك الفترة فتلاشت بعض الأغراض الشعرية أو كادت ، وتضاءل شأن أغراض أخرى . إما لاستجابة الشعراء للتعاليم التي جاء بها الإسلام ، أو خوفاً من الموقف الصارم الذي اتخذته الخلفاء الراشدون من كل شاعر لا يتورع عن التعامل مع الأغراض الشعرية التي تتنافى مع هذا الدين .

وعلى الرغم من أن العصر الأموي لم يكن على تلك الصورة المثالية في الالتزام الديني الذي كان يتسم به عصر الخلافة الراشدة ، حيث عادت إلى أفق الحياة العربية بعض النزعات الجاهلية التي حاربها الإسلام والتي تمثلت في أبرز صورها في عودة العصبية القبلية ، وفي انتشار اللهو والمجون في الحواضر الإسلامية بسبب ضعف الوازع الديني

وبدافع الترف الذي أصاب الحياة الإسلامية عقب الفتوحات وما عادت به من ثروات طائلة . فإن ذلك لم يمنع من أن يظهر أثر الإسلام على مختلف الأغراض الشعرية ، ولم يكن ذلك محصوراً في استخدام الألفاظ والمصطلحات الإسلامية ، أو الاقتباس من القرآن - وهي أبرز ملامح التأثير في الفترة السابقة - وإنما أصبحت المثل الإسلامية تمثل ركيزة في الفكرة الشعرية .

ولا نكاد نقف عند شاعر من شعراء العصر إلا ولمسنا في شعره بعض الملامح الإسلامية ، وإن كان ذلك متفاوتاً بينهم بحسب استعداد الشاعر النفسي لذلك . وقد شمل ذلك - كما أشرنا - مختلف الأغراض الشعرية بما فيها تلك التي لا تتفق في مدلولها مع قيم الإسلام ، مما قد يوحى بافتقارها إلى الروح الإسلامية .

فقد أصبح الهجاء - أحياناً - يعتمد على القيم والمثل الجديدة ، حيث استفاد منها الشعراء فعمدوا إلى توظيفها في قصائد هم للنيل من مهجويهم إما بتجريد هم منها ، أو بوصفهم بما يتنافى معها . وقد كان هذا اللون من الهجاء مصدر قوة لجريه ضد خصميه الفرزدق والأخطل .

كما أن الغزل هو الآخر تأثر بالمفاهيم الجديدة . فنشأ  
الغزل العذري في بادية الحجاز ونجد ، وهولون جديد من الغزل  
يتسم بالعفة والنقاء في تصوير علاقة الرجل بالمرأة بعيداً عن الحسية  
التي كانت تحكم الغزل قبل ذلك . ويرى كثير من الباحثين (١) أنه  
نشأ تحت تأثير الإسلام على شعرائه .

وقد هيأ لانعكاس الروح الإسلامية في نفوس شعراء تلك الفترة  
عوامل مختلفة ترتبط بنشأتهم كما ترتبط بالبيئة المحيطة بهم ، وبالظروف  
السياسية التي واكبت عصرهم . وهذه العوامل يمكن حصرها فيما  
يلي - :

١ - إن شعراء هذه الفترة قد نشأوا في ظل الإسلام ، وتربوا في  
ضوء تعاليمه مما أتاح لمفاهيم هذا الدين التي صاحبته منذ  
طفولتهم المبكرة أن تمتزج في نفوسهم وتستقر فيها . وبالتالي  
ساعد ذلك على ظهورها في شعرهم .

ولعل الفرزدق أصدق مثل على ذلك . فهذا الشاعر  
على الرغم مما اتسمت به حياته من عدم التزام بالسلوك الديني  
المطلوب - كما تشير المصادر الأدبية - (٢) فإننا نجد في شعره

---

(١) انظر مثلاً : العصر الاسلامي ص ٣٥٩  
الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ص ٤٢ .  
(٢) انظر مثلاً الأغاني ٢١ / ٣٦٠ ، ٣٦٣ .

ما يدل على أثر قوي للإسلام عليه (١) وعلى ثقافة إسلامية عميقة تكونت لديه بفضل نشأته . كما أن له قصيدة فريدة يهجو بها إبليس ، ويصور فيها محاولاته لإغواء الإنسان المسلم وهي قصيدة تتم عن روح إسلامية حقة .

٢ - معرفتهم بالقرآن الكريم بما يحتويه من التعاليم والقيم ، ولما له من قيمة دينية لدى الإنسان المسلم .

وهناك ما يشير إلى أن بعض الشعراء كان حافظاً له أو حاول أن يفعل ذلك . فالفرزدق قيد نفسه في فترة من حياته وآلى ألا يفك قيده إلا بعد أن يحفظه (٢) ، والكميت كان حافظاً له (٣) . كما أن أعشى همدان كان في أول حياته منشغلاً به (٤) ولا نعدم أن يكون هناك شعراء آخرون فعلوا ذلك . فقراءة دواوين جرير ، وعمر بن أبي ربيعة ، والأحوص وغيرهم تؤكد أن هؤلاء الشعراء كانوا على علم ودراية بآيات القرآن الكريم وأحكامه .

---

(١) انظر كتاب : أثر الإسلام في شعر الفرزدق للدكتور مصطفى عبد الواحد .

(٢) الأغاني ٢١/٢٨٣ ، النقااض ١/١٢٧ .

(٣) خزنة الأدب ١/١٤٤ .

(٤) الأغاني ٦/٣٤ .

٣ - إن الشعراء كانوا يعيشون في بيئة إسلامية نشأ أفرادها في ظل الإسلام ، وانفرست فيهم تعاليمه التي اتخذوها منهجاً لحياتهم . فكان لابد للشعراء أن يسايروا فكر هذا المجتمع وأن يتماشوا معه بإبراز المفاهيم الجديدة التي جاء بها هذا الدين ، وأن يظهر أثر ذلك بارزاً في أشعارهم .

ومن هنا فقد كان جريبر يعمد إلى جعل المعاني الدينية عنصراً أساسياً في هجائه للأخطل والفرزدق . فهو في ذلك ينظر للمجتمع الإسلامي من حوله ، وهو على إدراك تام بأن تعبيره للفرزدق بالفسق والمجون ، وتعيينه للأخطل بالنصرانية سينقص من قدرهما في نظر الجمهور المسلم .

كما أن الأخطل الشاعر النصراني الذي كان يعتز بدينه ، والذي كان يدخل على عبد الملك بن مروان والصليب يتدلى من عنقه ، ولحيته تنفض خمراً (١) ، لم يستطع الانفلات من تأثير الإسلام فانعكست بعض الملامح الإسلامية في شعره (٢) . وذلك من واقع تأثير المجتمع المسلم من حوله .

(١) نفسه ٢٩٩/٨ .

(٢) حول الملامح الإسلامية في شعر الأخطل انظر كتاب الأخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمه الفنية للدكتور فخر الدين قباوة

كما كان للحياة الدينية السائدة في العصر الأموي تأثيرها المؤكد على الشعراء . فهذه الفترة لم تكن بعيدة عن الالتزام الديني كلياً ، ولم يكن الجميع منغمسين في حياة اللهو . فقد انتشرت في بعض الحواضر الإسلامية حركة زهد ونسك وتكشف ووعظ ، من خلال بعض التابعين الذين أرادوا لسبب أو لآخر أن ينهجوا في حياتهم نهج الرعيل الأول من الصحابة ، وذلك بالإعراض عن الحياة الدنيا ومغرياتهما ، والتمسك بمبادئ هذا الدين تطلعاً لحياة الآخرة ، وما أعدّه الله لهم فيها من نعيم مقيم . ومنهم الحسن البصري ، ومطرف بن عبد الله الشخير<sup>(١)</sup> ، ويزيد بن أبان الرقاشي<sup>(٢)</sup> ، وصلة بن أشيم<sup>(٣)</sup> وغيرهم .

وقد كان لهذه الفئة المتدينة - والوعاظ منهم خاصة - تأثيرها على الشعراء من خلال استماعهم لهم ، فالفرزدق كان على صلة وثيقة بمجلس الحسن البصري<sup>(٤)</sup> - واعظ العراق الشهير - وعندما قال قصيدته في هجاء إبليس عرضها عليه<sup>(٥)</sup> . وكأنما هو قد قالها تحت تأثير مواعظ الحسن . كما أن جريراً - كما تقول الرواية - كان يجالس ابن سيرين التابعي الجليل<sup>(٦)</sup>

(١) المعارف ص ٤٣٦ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٧٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ١١ / ٣٠٩ .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٣٦٣ .

(٤) العقد الفريد ٥ / ٣٨٣ .

(٥) الأغاني ٢١ / ٣٠٤ .

(٦) العقد الفريد ٥ / ٣٨٣ .

فهذه الفئة وجدت أصداءها داخل نفوس الشعراء ، مما أسهم في بعث المعاني الدينية في قصادهم .

يقول شوقي ضيف : " فالشعر الأموي كتب في ظلال نفسية جديدة آمنت بربها ، واستشعرت حياة تقية سالحة ، فيها نسك وعبادة ، وفيها تقوى وزهد . وليس معنى ذلك أن كل الشعراء كانوا ناسكين زاهدين وإنما معناه أن الحياة الروحية الجديدة لم تنفصل عن حياتهم الفنية، بل أثرت في كثير من جوانبها وطورتها ، وظهور هذا التطور في صور مختلفة " (١)

٤- كان العصر الأموي فترة قلق واضطراب سياسي ، إذ شهد صراعاً قوياً بين السلطة - ممثلة في الأمويين - وبين المعارضة بأحزابها الثلاثة من زبيريين وشيعة وخوارج . وقد كان مبعث هذا الصراع هو وصول الأمويين إلى الحكم عن طريق القوة - لا الشورى - ، وتكريسهم لإلغاء هذا المبدأ الإسلامي بتحويلهم الخلافة إلى أمر وراثي فيهم . وقد كانت أحزاب المعارضة ترى أن الأمويين ليسوا أكفاء لهذا المنصب وأن هناك من هو أجدر بها منهم . وبما أن الخلافة هي منصب ديني وجد في ظل الإسلام يخضع لأسس دينية ، ومن واقع إدراك الشعراء لهذه الحقيقة ذاتياً أو بتوجيه أحزابهم ، فقد كانوا حريصين على توظيف العناصر الدينية في جميع الأغراض الشعرية التي أرادوا من خلالها التعبير عن فكرهم الحزبي ، أو في تأييد وجهة نظر الحزب في الخلافة .



يروى عن عبد الملك بن مروان أنه قال مخاطباً الشعراء  
الذين يمدحون بني أمية : " يا معشر الشعراء ، تشبهوننا  
مرة بالأسد الأبحر ، ومرة بالجبل الأوعر ، ومرة بالبحر الأجاج . أأقلتم  
فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم :

نهاركمُ مكابدةٌ وصومٌ      وليكم صلاةٌ واقترأُ  
وليتم بالقرانِ وبالتزكَّى      فأسرعَ فيكم ذاك البلاءُ  
بكى نجدٌ غداةً غدٍ عليكم      ومكةُ والمدينةُ والجواءُ  
وحقّ لكلِّ أرضٍ فارقوها      عليكم لا أبالكُم البكاءُ (١)

فالخليفة الأموي كان يدرك تماماً أن اضفاء الصفات الدينية  
عليه وعلى الأمويين سيعمل على تحسين صورتهم أمام الرعية ،  
وسيوحي بجدارتهم بإمامة المسلمين . ومن هنا عمد إلى  
توجيه الشعراء إلى هذا الاتجاه .

هذه هي مجمل العوامل التي كانت - في اعتقادي -  
خلف بروز الأثر الإسلامي على شعر العصر الأموي . وهي كما  
ظهر ترتبط بنشأة الشعراء ، كما ترتبط بالمجتمع المحيط بهم ،  
وبالظروف السياسية التي واكبت عصرهم . والقول بوضوح أثر الإسلام  
على شعر تلك الفترة لا يعنى بتاتا أن الروح الإسلامية كانت هي  
الغالبة على المضمون الشعري آنذاك .

فهذا ما لا يتفق مع الواقع أبداً . فالشعراء الأمويين  
- من دون شك - قد اطلعوا بشكل أو بآخر على تجارب  
سابقهم من الجاهليين والمخضرمين الذين كانوا يمثلون  
بالنسبة لهم أنموذجاً يحتذى فى عالم الشعر . وهذا ما  
تؤكداه المصادر القديمة . فالفرزدق كان من بين الرواة  
المعدودين (١) . وفى شعره ما يدل على اطلاعه على قصائد  
القدامى ، وانكيايه عليها ، وإعجابه بها (٢) . كما أن  
هناك ما يدل على معرفة شعراء آخرين بالشعر القديم  
كالطرماح (٣) ، وجربير (٤) ، وجميل (٥) ، وذو الرمة (٦) . وقد  
ساعد ذلك على استمرار المفاهيم القديمة لديهم . يضاف إلى  
ذلك أن طابع العصر الأموي - كما أشرنا من قبل - لم يكن  
على صورة من المثالية والالتزام الدينى ، وإنما كان فى بعض  
جوانبه ترسيخاً لبعض المفاهيم القديمة .

- 
- (١) البيان والتبيين ٣٢١/١
  - (٢) الديوان ١٥٩/٢
  - (٣) الأغاني ٣٦/١٢ ، الشعر والشعراء ٥٨٩/٢
  - (٤) الأمالي ١٧٩/٢
  - (٥) الأغاني ٩١/٨
  - (٦) نفسه ٨٨/٦ .

ومن هنا فان ديوان الشعر العربي في العصر الأموي لم ينفصل عن التقاليد الشعرية الجاهلية ، فظلت لها قيمتها الملموسة فيه . مما يجعلنا نطالع نسبة كبيرة من القصائد الشعرية التي يغلب عليها الطابع الجاهلي . غير أن ذلك لا يمنع أبداً من القول ببروز الملامح الإسلامية في شعر ذلك العصر ، وأنها لم تنتظر إلى العصر العباسي لتظهر فيه ، كما يحاول إفهامنا بعض الباحثين .

يقول بروكلمان " ولم يؤثر الإسلام تأثيراً عميقاً في شعراء العرب كما يريد النقاد العرب أن يقنعونا بذلك . فقد سلك شعراء العصر الأموي دون مبالاة في مسالك أسلافهم الجاهليين . ولم تسود روح الإسلام حقاً إلا بعد ظهور العباسيين " (١)

إن ما يقوله بروكلمان رأي يفتقر إلى الإنصاف ويجانب الواقع ، وهو لا يمكن أن يصدر إلا عن قراءة ضيقة لشعر العصر الأموي .  
فما الذي يمكن أن يقوله الدارس عن شعر الخوارج الذي تسوده الروح الإسلامية ؟ وماذا يمكن تفسير شعر الزهد والتوبة الذي يضمه النتاج الشعري للعصر ؟ هل هناك عقيدة غير الإسلام كانت تقف خلف ذلك ؟ إن الواقع يؤكد أن الإسلام وضع بصماته بوضوح على شعر تلك الفترة ، وانعكس ذلك جلياً لا في المضامين الشعرية فحسب ، وإنما امتد إلى لغة الشعر وصوره الفنية .

---

(١) تاريخ الأدب العربي ١/٣٦ .

” ” الفصل الثاني ” ”

---

((\*) ” تطور القصيدة العربية في الشعر الأموي ( \* ))

على هدي الإسلام

---

## تطور القصيدة العربية في العصر الأموي

### على هدي الإسلام

جاء الإسلام والشعر يحتل في نفوس العرب مكانة كبيرة ، ومنزلة رفيعة فهو علمهم الذي " لم يكن لهم علم أصح منه " (١) ، وهو ديوانهم وسجل مفاخرهم الذي خلد آدابهم وعلومهم وأخلاقهم . وليس أدل على مكانته في نفوسهم مما يذكر عن احتفاء القبيلة العربية بنبوغ شاعر بين أبنائها (٢) . فالشاعر منهم كان نجماً لامعاً يحترمه القاضي والداني ، ليس لأنه فقط يحمي أعراضهم ، ويدافع عن أحسابهم ، ويخلد مآثرهم ، ويشيد بذكورهم ولكن أيضاً لأن العرب أمة شاعرة تطرب للشعر وتتذرع المواهب الأدبية ، ولهذا احتل الشاعر منزلة كبيرة في قومه لما لشعره من وقع كبير في نفوسهم .

وقد ساعد ذلك على وجود حركة شعرية نشطة لم يصل إلينا منها إلا القليل (٣) والقارئ للشعر الجاهلي يجد أن شعراءه قد طرقتوا مختلف الأغراض الشعرية من مديح وفخر وهجاء وغزل وحكمة وثناء ووصف . وكثيراً ما كانت بعض هذه الأغراض تتداخل في القصيدة الواحدة . فقد بيدوها الشاعر بالغزل أو الوصف ثم تجده ينتقل إلى المديح أو الفخر أو أي موضوع آخر يريد التعبير عنه .

(١) طبقات فحول الشعراء ٢٤/١ .

(٢) العمدة ٦٥/١ .

(٣) قال أبو عمرو بن العلاء " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير " طبقات فحول الشعراء ٢٥/١ ، وانظر

الخصائص لابن جني ٣٨٦/١ .

والمضمون الشعري في القصيدة الجاهلية مثل عواطف وقيم المفاهيم السائدة ، وكانت القصيدة تبعاً لذلك معبرة عن واقع الحياة الجاهلية . ولما جاء الإسلام أبطل كثيراً من نزعات الجاهلية ومعتقداتها ، وحمل معه كثيراً من المتغيرات الدينية والاجتماعية التي أحدثت في الحياة العربية تحولاً كبيراً . . . وانقسم العرب عند ظهور الدعوة إلى فريقين . فريق يناصر الدعوة ويؤيدها، وفريق يعارضها ويحارب أتباعها . والذي يعنينا من هذه الخصومة هو الشعر . فقد كان أحد أسلحتها ، إذ نشب صراع أدبي كان بين شعراء النبي صلى الله عليه وسلم وشعراء قريش ومن وقف بجانبها يناصرها من الأعراب . فحينما أغرت قريش شعراءها وشعراء القبائل المجاورة لها بهجاء الرسول والنيل منه ومن دعوته وأتباعه، حينئذ اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم للرد على أعدائه بنفس سلاحهم . فدعا شعراء الأنصار لحماية أعراض المسلمين والدفاع عنهم وعن عقيدتهم .

ويلاحظ على الشعر في تلك الفترة أنه ظل في مجمله جاهلياً . إن من حيث الشكل أو المضمون، حتى عند شعراء المسلمين الذين عارضوا خصومهم بمثل أقوالهم وعيروهم بالمثالب والأيام والوقائع . والرسول صلى الله عليه وسلم كان يدرك أبعاد هذا اللون من الهجاء ووقعه في نفوس المشركين . لذا وجه حسناً هذه الوجهة وقال له : " اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك " (١)

ونظراً لارتباط الشعر بالمتغيرات الكثيرة والأحداث المتتالية التي مرت على الجزيرة في ذلك العصر . فقد تعرض شعر هذه الفترة بصورة أكبر للطمس والضياع ولم يصل إلينا منه إلا القليل . ومع ذلك فإن في هذا القليل الذي وصل إلينا منسوباً إلى عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين من بعده، ما يجعل الدارس يسلم بأن القصيدة الشعرية في ذلك العصر قد طرأ عليها بعض التطور تبعاً لما أحدثه الإسلام في النفوس، وما غرسه من قيم روحية واجتماعية ظهر أثرها على الشعر . لقد تمثل هذا الأثر الديني بإدخال عناصر إسلامية على شكل القصيدة ومضمونها . كما اقتصر الشعراء على النظم في الموضوعات التي تتمشى وطبيعة الحياة الدينية الجديدة . وتطورت اللغة الشعرية بفعل الإسلام، وأكسبت تعابير جديدة من القرآن والفاظاً لم تكن معروفة من قبل . كما ظهر على القصيدة في عصر صدر الإسلام تأثر الشعراء بالمعاني الدينية، وهذا وإن كان ضئيلاً ومحدوداً إلا أنه كشف عن قدرة الشاعر، وأظهر تفاعله مع واقع الحياة الدينية الجديدة . ولمزيد من الكشف عن هذا الأثر الديني الذي أصاب القصيدة العربية منذ بداية الدعوة وحتى نهاية العصر الأموي .

يحسن بنا أن نقوم بتتبع سريع للقصيدة من خلال بعض الأغراض الشعرية انطلاقاً من العصر الجاهلي ومروراً بعصر صدر الإسلام حتى نصل إلى العصر الأموي . حيث سنقف أمام بعض النصوص الشعرية الفريدة التي يغلب عليها الطابع الإسلامي إن لم يكن يسودها؛ لكي نحاول من خلال تحليلنا لها الكشف عن المدى الذي وصلت إليه القصيدة العربية في تطورها على هدي الإسلام .

### المديح

يعتبر المديح أحد الموضوعات الشعرية التي ترك لنا فيها شعراء العربية عبر العصور نتاجاً ضخماً ، ويرجع ذلك لكونه طريقة التكسب الأولى عند بعض الشعراء. كما أنه كان الوسيلة الإعلامية الوحيدة للدعاية الشخصية في تلك الأزمنة التي لم تكن تعرف وسائل الإعلام الحديثة ، مما كان يدفع كثيراً من ذوي الرفعة والجاه إلى بذل الأموال بسخاء للشعراء لكي يشيدوا بهم ، فيرضوا غرورهم ويعلوا قد رهم ويكسبهم حمداً وذكرأً حسناً بين قومهم وبين القبائل الأخرى : ومن خلال نظرة في تلك القصائد المنسوبة إلى العصر الجاهلي والتي كان المديح موضوعها الأساسي ، يتضح لنا أن الأفكار الشعرية التي كان الشعراء يضمنونها قصائدهم لا تخرج عن التفني بنسب الممدوح العريق ، وحسبه الرفيع ، وشجاعته الفذة ، والإشادة بأمجاد قبيلته وانتصاراتها ، والحديث عن جوده وعن ناره التي يؤمنها المحتاجون في الليالي الباردة ، وما إلى ذلك من الخصال التي كانت محل تقدير القوم واعتزازهم في العصر الجاهلي .

وقد سارت القصيدة في عصر صدر الإسلام على منوال ذلك النهج القديم وإن ظهر عليها أثر إسلامي فهو ضئيل لا يذكر . إذ أن التركيز كان منصباً على الأفكار القديمة في النظر إلى الممدوح . وهذا ما يظهر لنا في هذه الأبيات التي قالها حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح الرسول صلوات الله وسلامه عليه .



يقول حسان :

والله ربي لا تفارق ما جيداً      عفا الخليفة سيد الأجداد  
متكرماً يدعو إلى رب العُلالاً      بذل النصيحة رافع الأعماد  
مثل الهلال مباركاً ذا رحمةٍ      سمح الخليفة طيب الأعواد  
إن تتركوه فإن ربي قسارٌ      أمسى يعود بفضل العواد (١)

وكما نرى في الأبيات السابقة ، فان حسناً لا يزال خاضعاً للمفاهيم الجاهلية في تقدير الأفراد . فهذه الخصال وإن كتب لها الاستمرار في ظل الإسلام إلا أنه أضاف إليها ما هو أهم كالوصف بالتقى ، والصلاح والزهد ، وحب الجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما إلى ذلك من الصفات التي أوردها القرآن الكريم في حديثه عن المؤمنين .

ويلاحظ أن شعر المديح كان قليلاً في عهد النبوة والخلافة الراشدة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده لم يكونوا راغبين في المديح ؛ لأن فيه من مظاهر الأبهة والتعظيم والكبرياء الكاذب ما ينهى عنه الإسلام .

أما في عصر بني أمية فإن خلفاءه كانوا على قناعة تامة بأن الشعر هو الصوت الداعي الأول الذي يساعد هم في توطيد حكمهم ، فدفعوا مع ولائهم في الأمصار الإسلامية الأموال الطائلة إلى الشعراء بسخاء منقطع النظير ، وقد روهم أعظم تقدير فاندفع هؤلاء في مدحهم والإشادة بهم .

وقد ظهر على شعرهم المدح بالمضامين الإسلامية كالتقى ، والصلاح ، والعدل ، وإقامة فرائض الدين ، وبناء المساجد ، والجهاد في سبيل الله ، والإشادة بضربهم على أيدي العابثين بأمن الدولة . وغير ذلك من المعاني التي استحدثها الإسلام وصارت أساساً يقوم به الأفراد . والدارس لقصيدة المديح في العصر الأموي يدرك بأن من أهم الأسباب التي دفعت الشعراء خصوصاً المحترفين منهم إلى تضمين المعاني الدينية ، والتأكيد عليها ، وإضائها على الخلفاء والولاة ، إنما يعود إلى الصراع الحاد الذي نشب بين الأمويين وبين خصومهم السياسيين من زبيريين وشيعة وخوارج . مما جعل الخلفاء حريصين على أن ينسبهم الشعراء إلى هذه المعاني الدينية التي صبغ خصومهم السياسيون دعوتهم بها .

وتكشف قصيدة كثير عزة التي قالها في مدح عمر بن عبد العزيز عن المدى الذي بلغته قصيدة المديح من التطور على هدي الإسلام . فالشاعر بعد مقدمته الطليية القصيرة ينجح في سائر أبيات القصيدة الاثني والعشرين في التخلص من تلك المفاهيم القديمة الموروثة عن العصر الجاهلي ، والتي كان الشعراء المداحون يلحون على ترديدها في قصائد هم . وكانت تدور حول التغني بشجاعة الممدوح ، والإشادة بجوده وكرمه ، والثناء على عراقة نسبه ، وما إليها من مفاهيم كانت تخضع لنمط تفكير الإنسان العربي في الجاهلية . وقد استطاع الشاعر أن يستبدل بها مفاهيم جديدة استقاها من الإسلام .

فهو في قصيدته يتناول شخصية الخليفة عمر بن عبد العزيز المنفردة بين خلفاء بني أمية بما عرف عنها من التزام ديني من جانبين رئيسين : أما أولهما

فهو الحديث عن زهد الخليفة ، وإعراضه عن الدنيا مع كل ما تظهره من مقائنها التي تغري الإنسان بالإقبال عليها والتمتع بها ، وإدراكه بأنها دار الفناء ؛ رغبة منه في دار البقاء . هذا على الرغم من كونه الخليفة الذي لا يمنعه مانع سوى الله من الوصول إلى ما يرغبه بفضل ما يمتلكه من السلطة . أما الثاني فهو إشادته بتقوى الخليفة ، والثناء على حرصه على إقامة الحق والعدل حتى أمسى المسلمون وهم راضون عن ولايته .

ولاشك أن هذه المعاني التي يرددها الشاعر ، والتي تتحدث عن الاستقامة وصدق التدين والتقوى والصلاح والإعراض عن الدنيا ومباهجها والأخذ بأسباب الآخرة والزهد والعدل والحق ، هي معان جديدة تولدت في ظل الإسلام وعلى ضوء تعاليمه ، ولم تكن معروفة من قبل . يقول كثير عزة (١)

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف  
وأظهرت نور الحق فاشتد نوره  
وعاقبت فيما قد تقدمت قبله  
وصدقت بالفعل المقال مع الذي  
تكلمت بالحق المبين وإنما  
إلا إنما يكفي الفتى بعد زيفه  
وقد لبست لبس الهلوك ثيابها  
وتومض أحياناً بعين مريضة  
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما  
وقد كنت من أجبالها في مفتح  
وما زلت تواقاً إلى كل غايية

برياً ولم تقبل إشارة مجرم  
على كل لبس بارق الحق مظلم  
وأعرضت عما كان قبل التقدم  
أثيت فأمسى راضياً كل مسليم  
تبين آيات الهدى بالتكلم  
من الأود البادي ثقاف المقوم  
ترأى لك الدنيا بكفٍ ومعصم  
وتبسم عن مثل الجمان المنظم  
سقتك مدوفاً من سمام وعلقم  
ومن بحرهما في مزيد الموج مفعم  
بلغت بها أعلى البناء المقدم

لطالب دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ  
وَأَثَرَتْ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مُصَمِّمٍ  
أَمَّا مَلِكٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمٍ  
سِوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمٍ  
بَلَغَتْ بِهِ أَهْلَ الْمَعَالِي بِسُلْمٍ  
مَنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ  
بِأَخْذٍ لِدِينَارٍ وَلَا أَخْذٍ دِرْهَمٍ  
وَلَا السَّفْكَ مِنْهُ ظَالِمًا مَلءَ مِحْجَمٍ  
لَكَ الشُّطْرَ مِنْ أَعْمَا رَهْمٍ غَيْرِ نُدْمٍ  
مُغِذٌ مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمٌّ زَمٌّ  
وَأَعْظَمُ بِهَا أَعْظَمُ بِهَا ثُمَّ أَعْظَمُ

فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ  
تَرَكْتَ الَّذِي يَغْنَى وَإِنْ كَانَ مُوْنِقًا  
وَأَضْرَرْتَ بِالْفَانِي وَشَمَرْتَ لِلَّذِي  
وَمَالِكَ إِذْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ  
سَمَا لَكَ هُمْ فِي الْفَوَادِ مَوْرُقٌ  
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا  
يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي  
وَلَا بَسَطِ كَفٍ لَا مَرِيءٍ غَيْرِ مَجْرَمٍ  
وَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَسْلُومُونَ لِقَسَمُوا  
فَعَشِيتَ بِهِ مَا حَجَّ لِلَّهِ رَاكِبٌ  
فَأَرْبِحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايَعِ

## الرثاء

يقصد بالرثاء بكاء الموتى مع تأبينهم بذكر محامدهم ومحاسنهم . ولعله أكثر موضوعات الشعر صدقاً لأن الشاعر وهو يرثي عزيزاً فقد ه بعد أن عايشه عمراً ، فكأنما هو يرثي نفسه لشعوره بأنه سيؤول إلى نفس المصير مما يغلف قصيدته بعاطفة حزينة .

وقد عرف الشعر العربي منذ أقدم عصوره بدءاً بالعصر الجاهلي هذا الفن . وقد كانت قصيدة الرثاء عند شعرائه تقوم على نذب المييت ، والتحسر عليه ، وإظهار الجزع والمرارة من القدر الذي يهلك الأوصاب والأحبة ، وكانوا يقفون في تأبينهم للميت أمام ما كان يتسم به من مناقب فاضلة هي محط أنظار الناس في ذلك الوقت كالكرم ، والشجاعة ، والوفاء ، والحمية ، بالإضافة إلى عراقة نسبه .

وكان هؤلاء لا يجدون سبيلاً لتعزية أنفسهم إلا بالتأسي ، وطلب السقيا لقبر الميت .

ومع مجيء الإسلام كان من المتوقع أن يظهر على الرثاء شيء من الاختلاف عما كان عليه في العصر الجاهلي . كأن يعمد الشعراء في قصائدهم إلى المزوجة بين العناصر البارزة قديماً والتي ظلت لها قيمتها في الإسلام ، وبين عناصر يستقونها من قيم هذا الدين وتعاليمه . غير إن شيئاً من ذلك لم يحدث ، فظلت قصيدة الرثاء تسير على نمطها الجاهلي . أما العناصر الإسلامية فقد كانت قليلة أو بالأصح نادرة ، إن لم تكن منعدمة في كثير من القصائد .

ويرجع ذلك الى أن شعراء عصر صدر الإسلام ظلوا أوفياءً للتقاليد التي ألفوها في الجاهلية .

فهذا كعب بن مالك يرثي حمزة بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - الذي استشهد في غزوة أحد . فنراه يثني على نسبه ، وكرمه ، وشجاعته وهي معايير جاهلية بحتة .

يقول كعب :

قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُوَابَةِ هَاشِمٍ	حيث النبوة والندى والسؤدد
والعاقِرُ الكُومُ الجَلادُ إِذَا غَدَتُ	ريحٌ يكادُ الماءُ منها يَجَمَدُ
والتَّارِكُ القَرْنَ الكَمِيَّ مَجَدَّلاً	يَوْمَ الكَرِيهَةِ والقَنَا يَتَقَصَّدُ
وتراه يَرِفُلُ فِي الجَدِيدِ كَأَنَّهُ	ذو لِبْدَةٍ شَتْنُ البَرَاثِنِ أَرِيدُ (١)

ونراه يرثي جعفر بن أبي طالب فيعيد نفس المعايير القديمة قائلاً :

قَرْمٌ عَلَا بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ	قَرَعًا أَشَمَّ وَسُودَدًا مَا يُنْقَلُ
قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ إِلَاهُهُ عِبَادَةٌ	وعليهم نزل الكتاب المنزل
فَضَلُوا المَعاشِرَ عِزَّةً وَتَكْرُمًا	وتغمدت أحلامهم من يجهل
لا يُطَلِقُونَ إِلى السَّفاهِ حُبَاهُمُ	ويرى خطيبهم بحق يفصل
بيضُ الوجوهِ تَرى بَطونَ أَكْفِهِمُ	تندى إذا اعتذر الزمانُ المحل (٢)

وإن كنا نجد عندهم بعض الملامح الإسلامية كطلبهم للميت الرحمة ، والصلوات ، وتعزيتهم أنفسهم بأن مصيره إلى جنان النعيم . وهذا ما يظهر في قول حسان يرثي حمزة رضي الله عنه :

(١) السيرة النبوية ١٥٧/٢ ، ذو لبدته : يعني أسدا . شتن : غليظ .  
البراثن للسباع بمنزلة الأصابع للناس . الأريد : الأغبر خالطه السواد .  
(٢) نفسه ٣٨٦/٢ .

وَأَسْوَدَ نَوْرَ الْقَمَرِ النَّاصِلِ  
عَالِيَةَ مَكْرَمَةِ الدَّاخِلِ (١)

كَرَامُ الدَّاخِلِ وَالْمُخْرَجِ  
لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ (٢)

وفي العصر الأموي أصاب القصيدة تطور آخر ، حيث اتسمت ببروز العناصر الإسلامية بشكل يفوق ما كانت عليه في عصر صدر الإسلام ، بينما تضاءلت فيها المفاهيم الجاهلية ، إن لم تكن تلاشت أحياناً ، كما يظهر واضحاً في قصائد الرثاء عند الخوارج .

ف نجد شعراء هذا العصر قد عبروا عن أحزانهم بكثير من المعاني

الإسلامية الجديدة .

فهذا عمران بن حطان يعبر في هذه الأبيات التي يخاطب بها زوجته عن إيمانه بحتمية الموت ، وأنه أمر لا مفر منه ، وقضاء قضاء الله على جميع البشر فهو يقول :

ثُمَّ أَطْلُبِي أَهْلَ أَرْضٍ لَا يُمُوتُونَ  
إِلَّا بِرُوحُونَ أَفْوَاجًا وَيَغْدُونَ  
تُدْنِي سَرِيرًا إِلَى لَحْدٍ يَمْشُونَ  
وَقَبْلَ مَوْتِهِمْ مَاتَ النَّبِيُّونَا  
مِنْ حَادِثٍ لَمْ يَزَلْ يَأْجَمُرُ يُعِينَا  
وَمَا نَعَاهُ بِذَاتِ الْغُصْنِ نَاعُونََا (٣)

إِنْ كُنْتِ كَارِهَةً لِلْمَوْتِ فَارْتَحِلِي  
فَلَسْتُ وَاجِدَةً أَرْضًا بِهَا بَشَرٌ  
إِلَى الْقُبُورِ فَمَا تَتَفَكَّرُ أَرْبَعَةً  
يَا جَمْرٌ قَدْ مَاتَ مِرْدَاسٌ وَإِخْوَتُهُ  
يَا جَمْرٌ لَوْ سَلِمَتْ نَفْسٌ مَطَهَّرَةٌ  
إِذَنْ لَدَامَتْ بِمِرْدَاسٍ سَلَامَتُهُ

(١) الديوان ص ٢٢١

(٢) السيرة النبوية ١٣٨/٢ .

(٣) شعر الخوارج ص ١٦٠ .

كما نرى في أبيات وضاح اليمس التي يرثي بها أباه وأخاه التزامه بالصبر على قضاء الله ، وإيمانه بأن الموت هو مصير كل الأحياء مهما طالت بهم الحياة ، وإن الناس متساوون أمام هذا المصير المحتوم ، كما نلمس عنده إيمانه بالبعث حيث يوفى الناس حقوقهم ، فهو يقول :

سَأَصْبِرُ لِلْقَضَاءِ فَكُلُّ حَيٍّ سَيَلْقَى سَكْرَةَ الْمَوْتِ الْمَذُوقِ  
فَمَا الدُّنْيَا بِقَائِمَةٍ وَفِيهِمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ ذُو عَيْنٍ رَمُوقِ  
وَالْأَحْيَاءِ أَيَّامٌ تُقَضُّ يَلْفُ خَتَامُهَا سَوْقًا بِسُوقِ  
فَأَغْنَاهُمْ كَأَقْدَمِهِمْ إِذَا تَقَضَّتْ مَدَّةُ الْعَيْشِ الرَّقِيقِ  
كَذَلِكَ يُبْعَثُونَ وَهُمْ فَرَادَى  
لِيَوْمٍ فِيهِ تَوْفِيَةُ الْحُقُوقِ (١)

وفي رثائه لعمر بن عبد العزيز يتحدث قطرب النحوي عن الأجر الذي سيناله الناس نتيجة مصابهم الجلل في الخليفة ، فيقول :

أَمَّا الْقُبُورُ فإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ  
جَلَّتْ رَزِيقَتُهُ فَعَمَّ مَصَابِيهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ (٢)

وفي رثائه لزوجته أم حرزة نجد جريراً يدعو لها بالصلوات والرحمة من الله والملائكة والأبرار والصالحين ، قائلاً :

صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تَخَيَّرُوا وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ  
وعَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكَ كَلَّمَا نَصَبَ الْحَجِيجُ مُلْبِدِينَ وَغَارُوا (٣)

ويتكرر هذا الدعاء في كثير من قصائد الرثاء ، وهذا ما يبده لنا في هذه الأبيات :

(١) الأغاني ٦ / ٢٢٩

(٢) الكامل ٤ / ٢٩

(٣) الديوان ٢ / ٨٦٤



- صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَقْعُودَةٍ  
فَصَلَّى عَلَيَّ قَبْرِيهِمَا اللَّهُ إِنَّمَا  
صَلَّى إِلَاهُهُ عَلَيْكَ مِنْ ذِي حَفْرَةٍ  
صَلَّى إِلَاهُهُ عَلَيَّ أَمْرِي غَادَرْتُهُ  
سَابِكِيكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ إِنِّي  
فَدَامَتْ عَلَيْكَ بِالسَّلَامِ تَحِيَّةً
- إِذْ لَا يَلِائِمُكَ الْمَكَانُ الْبَلَقَعُ (١)  
خَلَّافَهُ مِنْهَا عَلَيَّ سُنَّةَ الرَّسَلِ (٢)  
خَلَّتِ الدِّيَارُ لَهُ فَهِنَّ قَفَارُ (٣)  
بِالشَّامِ فِي جَدَثِ الضَّرِيحِ الْمَلْجَدِ (٤)  
رَأَيْتُ يَدَ الْمَعْرُوفِ بَعْدَ الْكُشَلِّ  
مَلَائِكَةُ اللَّهِ الْكِرَامِ وَصَلَّتْ (٥)

وقد برزت بوضوح فكرة الجنة التي سيثاب بها الفقيد ، إن مات وهو مستمسك  
بدين الله ، أو شهيداً في سبيله .

وهذا ما عبر عنه الفرزدق في رثائه للجراح بن عبد الله الحكمي الذي

- استشهد في أذربيجان ، فهو يقول :
- لَقَدْ صَبَرَ الْجِرَاحُ حَتَّى مَشَتْ بِهِ  
فَأَصْبَحَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ مُحَمَّدٌ  
جَزَوْا بِالسَّرِيرَاتِ الَّتِي فِي قُلُوبِهِمْ  
إِلَى الْغُرْفَةِ الْعَلْيَا رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
- إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ السَّيْفِ الصَّوَارِمِ  
أَخُوهُمْ وَمَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ فَهُوَ سَالِمٌ  
جَزَاهُمْ بِهَا مُحْصِي السَّرَائِرِ عَالِمٌ  
مُقِيمًا وَلَا مِنْهَا هُوَ الدَّهْرُ رَائِمٌ (٦)

- 
- (١) شعر الخوارج ص ١٩٤ .  
(٢) ديوان الفرزدق ١٤٧/٢ .  
(٣) ديوان جرير ٧١٩/٢ .  
(٤) شعر اسماعيل بن يسار ص ٣٢ .  
(٥) شعر الكميت بن زيد الأسدي ١٤٧/١ .  
(٦) الديوان ٢٥١/٢ .

ويرثي عبد الرحمن بن جمانة الباهلي أبا قتيبة بن مسلم الباهلي فيقول :

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قُتِيْبَةً لَمْ يَسِيْرَ      بِجَيْشٍ إِلَى جَيْشٍ لَمْ يَعْلُ مِنْبِرًا  
وَلَمْ تَخْفِقِ الرَّايَاتُ وَالنُّقُومُ حَوْلَهُ      وَقُوفٌ وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرًا  
دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ      وَرَاحَ إِلَى الْجَنَّاتِ عَفَاً مَطْهَرًا  
فَمَا رُزِيَّ إِلَّا سَلَامٌ بَعْدَ مُحَمَّدٍ      بِمِثْلِ أَبِي حَفْصٍ فَبِكَيْهِ عَبَّهْرًا (١)

ويرثي الفرزدق . من مات من قومه مع ابن الأشعث ، ومن مات أيام الطاعون .

فيصور مساجد هم التي خلت منهم فهي كالبلاقع ، فيقول :

فَإِنَّ أَبَاكَ قَوْمِي يَا نَوَّارُ فَإِنِّي      أَرَى مَسْجِدَ يَهُمُّ مِنْهُمْ كَالْبَلَّاقِعِ (٢)

وهذه الصورة الشعرية الجديدة نجد لها مثيلاً عند هشام بن عقبة - أحد

أخوة ذي الرمة - وذلك في رثائه لأخيه أوفى ، فهو يقول :

خَوَى الْمَسْجِدُ الْمَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ : وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمَهُ قَدْ تَضَعَّعُوا (٣)

وقد استلهم شعراء العصر الأموي المقاييس الإسلامية في تقدير الأفراد كالتقوى ،

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحب الجهاد . . . الخ ليجعلوها منطلقاً

أساسياً لهم في تأبين موتاهم والبكاء عليهم . وهذا ما سيتجلى لنا من خلال

دراسة قصيدة عمرو بن الحصين العنبري ، والتي تعتبر نموذجاً متقدماً للدلالة

على ما بلغته قصيدة الرثاء من تطور نتيجة تأثرها بالإسلام .

(١) الطبري ٥٢١/٦ .

(٢) الديوان ٣٩٤/١ .

(٣) حماسة أبي تمام ٣٨٩/١ .

فبعد مقدمة القصيدة التي يوظف فيها الشاعر الغزل لخدمة موضوعه ، نجده يدعوره أن يلحقه برفاقه ، وأن يمنحه الشهادة مثل هؤلاء الفتية الذين صبروا نفوسهم على الجهاد في سبيل عقيدتهم ، قائلاً (١) :

يَا رَبِّ اسْلِكْنِي سَبِيلَهُمْ      ذَا الْعَرْشِ وَأَشَدُّدِ بَالْتَقَى أَزْرِي  
فِي فَتْيَةٍ صَبَرُوا نَفُوسَهُمْ      لِلْمَشْرِفِيَةِ وَالْقَنَا السُّمْرِ

ثم يتوقف بنا أمام حياتهم التي تمثل صورة رائعة للإنسان المؤمن ، فقد كان هؤلاء أوفياء للذم إذا عقدوها ، أعفاء في العسر واليسر ، متحفزين لعمل الصالحات ، ناهين عن المنكر ، قائلاً :

تَاللَّهِ أَلْقَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ      حَتَّى أَكُونَ رَهِينَةَ الْقَبْرِ  
أَوْفَى بِذِمَّتِهِمْ إِذَا عَقَدُوا      وَأَعَفَّ عِنْدَ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ  
مَتَأْهُونَ لِكُلِّ صَالِحِيَةٍ      نَاهُونَ مِنْ لَأَقَوْا عَنِ الزُّكْرِ

ويصف مجالسهم ، ويتحدث عن حالتهم فيها . فقلوبهم ترتجف لذكر الله ، وتنطلق آهاتهم عند ذلك ، فتخالهم لخشوعهم في يوم الحشر العظيم فيقول :

صَمْتُ إِذَا اخْتَضَرُوا مَجَالِسَهُمْ      وَزَنْ لِقَوْلِ خَطِيبِهِمْ وَقَرِ  
إِلَّا تَجِيثُهُمْ فَإِنَّهُمْ      رَجَفُ الْقُلُوبِ بِحَضْرَةِ الذِّكْرِ  
مَتَأْهُونَ كَأَنَّ جَمْرَ غَضًّا      لِلْمَوْتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ يَسْرِي  
تَلْقَاهُمْ إِلَّا كَأَنَّهُمْ      لَخْشُوعِهِمْ صَدَرُوا عَنِ الْحَشْرِ  
فَهُمْ كَأَنَّ بِهِمْ جَوَى مَرَضٍ      أَوْ مَسَّهُمْ طَرْفٌ مِنَ السَّحْرِ

(١) شعر الخواج ص ٢٤٧ .

ويعود إلى الحديث عن حياتهم الدينية ، فهم قليلو النوم خوفاً من عقاب الله ،  
يظل الفرد منهم يقوم ليله إلى الفجر يتلو آيات القرآن الكريم ، ويكثر من  
الصوم في الأيام الحارة غير مبال بما يحسه من الظم ، مبتعداً عن الملذات  
لا يخضع لأهواء نفسه ، وما تدعوه إليه من الأمور السيئة .

يقول العنبري :

فيه غواشي النوم بالسكّر	لا ليّهم ليلٌ فيلبسهم
حذر العقاب فهم على ذعر	إلا كذا خلساً وأوننة
قوام ليلته إلى الفجر	كم من أخ لك قد فُجعت به
أي الكتاب مفرح الصدر	متأوهاً يتلو قوارع من
م الخوف جيش مشاشة القدر	نصب تجيش بنات مهجتيه
تراك لذته على قدر	ظمان وقدة كل هاجرة
رغب النفوس دعا إلى المزي	تراك ما تهوى النفوس إذا
عف الهوى ذامرة شزر	ومبراً من كل سيئة

وكما نرى فأكثر هذه الصفات التي ذكرها الشاعر هي انعكاس لمعاني آيات

القرآن الكريم في وصفها للمؤمنين .

## الهجاء

الهجاء أحد الفنون الشعرية التي شغلت حيزاً كبيراً من النتاج الشعري عبر عصور الأدب العربي المختلفة .

وللهجاء ذوافع متعددة فمنها القبلي الذي يكون نتيجة للنزاع بين القبائل على الماء والكلاء ، أو تبعاً للمواجهات الحربية بينها فيرفع الشاعر صوته مفتخراً بقبيلته ، ومسداً سهام لسانه على القبيلة الأخرى . ومنها الشخصي الذي تحركه المناقرات الفردية بين الشعراء . وبعد الإسلام عرف العرب الهجاء الديني والسياسي .

وهناك ذوافع أخرى غير أنها قليلة الشأن لا تقاس بما ذكرنا . (١)

والهجاء إما مادي يقوم على تناول الأعراض وذكر العورات كالتعمير بالقصر والدمامة والعور وما إلى ذلك .

وإما معنوي وهو الذي يعنى بالخصال التي يكره الناس أن يوصفوا بها كوضاعة النسب والجبن واليخل .

والهجاء تعبير من الشاعر عن عاطفة الغضب في نفسه تجاه من يقف منه موقفاً لا يرضاه .

والقيم النبيلة التي جاء بها الإسلام تحمل في مضمونها رفضاً للهجاء بما يدعو إليه من التنازع والشقاق بين الناس ، وهذا ما تعبر عنه الآيات الكريمة في قوله عز وجل " إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ، يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم

---

(١) انظر كتاب الهجاء للدكتور محمد سامي الدهان .

ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تتابزوا بالألقاب  
بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون" (١)

كما عبر عن ذلك صراحة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: " من

قال في الإسلام هجاءً مقذعاً فلسانه هدر " (٢)

غير أن قصيدة الهجاء ظلت موجودة في المجتمع الإسلامي في المدينة  
إبان الدعوة المحمدية . وكان ذلك شيئاً طبيعياً لأن قريشاً عمدت إلى سلاح  
الشعر لمحاربة المسلمين والنيل من أعراضهم ، فلم يجد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مناصاً من أن يطلب من شعراء الصحابة أن يردوا عليهم فيقول  
لحسان بن ثابت رضي الله عنه : " اهجهم . أو هاجهم وجبريل معك " (٣)  
ويقول له : " اهجهم كأنك تنضحهم بالنبل " (٤) .

وقد كانت قصائد حسان ورفاقه تسير على النهج الجاهلي في الهجاء  
والذي كان يقوم على القذف في الأعراض ، والطعن في الأنساب والأحساب ،  
وذكر الأيام ، والتعبير بالمثالب والألقاب ، ووصمهم بكل ما لا يليق من جبن  
وخبث وما إلى ذلك من الصفات الذميمة التي كانت تتردد على ألسنة الشعراء  
في العصر الجاهلي . (٥)

(١) الحجرات ١٠ ، ١١ .

(٢) العمدة ١٧٠/٢ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ٢١٧/١ .

(٤) نفسه ٢١٧/١

(٥) روى أبو الفرج في الأغاني "كان يهجوهم يعني قريشاً ، ثلاثة نفر من الأنصار  
يجيبونهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وكان  
حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم ، وبالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم  
بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه ، ويعلم أن  
ليس فيهم شيء شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم  
قول حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا  
وفقهوا الإسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة" الأغاني ٢٣١/١٦

يقول الدكتور محمد محمد حسين عن الهجاء في هذه الفترة أنه " ظل كما كان جاهلياً في صميمه ، معتمداً على الأنساب، والتعبير بضعف العصبية ، وخمول الذكر ، والعجز عن حماية الجار ، والاستسلام للمهاجمين من الأعداء ، والقعود عن الثأر ، إلى أمثال هذه الخصال التي تصور المثل الجاهلية ، ولم يتأثر بالمثل الدينية إلا قليلاً " (١)

فهذا حسان بن ثابت يهجو أحد المشركين فيقول :

لثيمٌ وابنُ ذي جدٍّ لثيمٌ	تشبهَ بالأكارمِ عبدَ شمسٍ
حدِيثٌ في الأمورِ ولا قديمٌ	ومالكٌ حينَ تنتقدُ المعالي
بشجعٍ حيثَ تختَطِرُ القرومُ	وتنفيكُمُ هَصبُ عن أبيها
هناك السُّرَّ والحسبُ الصِّمِمْ (٢)	وعمرانُ بنُ مخزومٍ فدعها

ويخاطب كعب بن مالك عبد الله بن الزبعرى فيقول :

أُنباكَ في القومِ إلا هَجِينَا	سألتُ بكِ ابنَ الزبَعْرَى فلمْ
مَقِيمًا على اللؤمِ حينًا فحينًا	خبِيثًا تطيفُ بكِ المُدِيَّاتُ
كِقَاتِكَ اللهُ جَلْفًا لِعِينَا	تَجَسَّتْ تَهْجُو رَسولَ المَلِيكِ
نَقِيَّ الشَّيَابِ تَقِيًّا أَمِينَا (٣)	تَقولُ الخَنَائِمُ تَرْمِي بِهِ

ولاشك أن غلبة العناصر الجاهلية على هجائهم أمر يفرضه واقع تلك الفترة، فشعرهم موجه إلى قوم جاهلي العقيدة ، لا يؤمنون بالإسلام ، فكان لا بد للشعراء أن يخاطبهم بمفهومهم .

(١) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ١٩٣ .

(٢) الديوان ص ١١٧ .

(٣) السيرة النبوية ١٦١/٢ .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يواجه الشعراء هذا الاتجاه ، فقد كان يقول لحسان : "أهجمهم ، وائت أبا بكر يخبرك - أي بمعائب القوم" (١) وقد خفت شعر الهجاء في الفترة الباقية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الفتح لانتهاه الأسباب الداعية إليه ، واستمر الأمر كذلك أثناء حكم الخلفاء الراشدين ، واتخذ هؤلاء موقفاً صارماً من الهجائيين وصل إلى حد السجن والتعزير . (٢)

وفي العصر الأموي وبفعل بعض العوامل السياسية والاجتماعية ، عادت قصيدة الهجاء لتتبوأ مرة أخرى مكانة ذات شأن في الحركة الشعرية آنذاك . ورغم احتفاظها بكثير من المفاهيم الجاهلية ، فقد ظهرت عليها بعض الملامح الإسلامية . وهذا شيء طبيعي لأن شعراءها نشأوا في ظل تعاليم الإسلام ، فعرفوا كل ما يتنافى مع هذا الدين فاستفادوا منه في هجائهم . فهذا جرير نجده عند هجائه للفرزدق يعيره بالفسق ، وارتكاب المحرمات ، والتعدي على حدود الله ، والركض في المواخير خلف القاسقات ، فيقول :

إنَّ الفرزدق حين يدخلُ مَسْجِدًا      رَجَسٌ فليس طَهُورُهُ بطَهُورِ  
إنَّ الفرزدق لا يبالي محرماً      ودم الهدى بأذرعٍ ونُحُورِ (٣)

(١) طبقات فحول الشعراء ٢١٧/١ .

(٢) انظر ص ٨ من هذا البحث .

(٣) الديوان ٨٥٧/٢ .



وما كان جاراً للفرزدق مُسَلِّمٌ  
ليأمنَ قرداً يعلهُ غيرَ نائمٍ  
أتيتَ حدَّ ودِّ اللهِ مذ أنتَ يافعٌ  
وشبتَ فما ينهاك شيب اللهازمِ  
تتبعُ في المأخورِ كلَّ مُرِيبيَّةٍ  
ولست بأهلِ المحصناتِ الكرائمِ (١)  
وهذا الحزين الكناني يهجو أحدهم ، فيصمه بالنوم عن التقوى ، وبالفحش  
والكذب ، فيقول :

لعمرك ما عمرو بن عمرو بما جيدٍ  
ولكنه كزُّ اليديينِ بخيلٍ  
ينامُ من التقوى ويوقظه الخنا  
فيخبطُ أثناء الظلامِ يجولُ  
فلا خيرَ في عمرو لجارٍ ولا لسهٍ  
ذمَّامٌ ولكن للثامِ وصولُ  
مواعيدُ عمرو ترهاتٌ ووجهُ  
على كلِّ ما قد قلتُ فيه دليلُ  
جبانٌ وفحاشٌ لثيمٌ مذممٌ  
وأكذبُ خلقِ الله حين يقولُ (٢)

ويهجو الفرزدق أحد أبنائه فيتهمه بالعقوق ، والعصيان لأوامره ويحذره من  
عقاب الله في ذلك ، قائلاً :

أأنَّ أُرعشتَ كفاً أبيك وأصباحتَ  
يداك يد السيثِّ فإنك جاذبُه  
إذا غلبَ ابنُ بالشبابِ أباً له  
كبيراً فإنَّ اللهَ لا بدَّ غالبُه  
رأيتُ تباشيرَ العقوقِ هي التي  
من ابنِ امرئٍ ما إن يزال يُعاتبُه  
ولما رآني قد كبرتُ وإنني  
أخو الحيِّ واستغنى عن المسحِ شاربه  
أصاخَ لِغُربانِ النعيِّ وإنَّه  
لأزورُ عن بعضِ المقالةِ جانبُه (٣)

(١) الديوان ١٠٠١/٢  
(٢) ديوان أشعار الموالبي ١٦٢/١  
(٣) الديوان ١٠٥/١

والهجاء بالنصرانية ، والسخرية من طقوسها الدينية ، والتعبير بدفع الجزية ،  
وشرب الخمر ، وأكل لحوم الخنازير ؛ كانت أحد الملامح الجديدة التي ترددت  
في هجاء شعراء العصر الأموي وبخاصة جرير الذي كان يلح على ترديد هذه  
المعاني في هجائه للأخطل ، كما في قوله :

يا ذا العباءة إنَّ بشرًا قد قَضَى      أَلَا تَجُوزُ حَكُومَةَ النَّشْوَانِ  
قبح الإله من الصليب إِلَهَهُ      واللابسين برانس الرهبانِ  
والتابعين جرجسًا وبنيسَهُ      والتاركين مساجدَ الرحمنِ  
والذابحين إذا تقارب فضحهم      شهبَ الجلودِ خسيصة الأثمانِ (١)

هذه هي بعض ملامح التجديد في مضامين قصيدة الهجاء في العصر  
الأموي . وتعتبر قصيدة الفرزدق في هجاء إبليس نصاً فريداً لم نجد له مثيلاً  
في الشعر العربي قديمه وحديثه . فالشاعر لا ينطلق في قصيدته من رغبة  
دنيوية أجبره عليها الدفاع عن نفسه أو عن قبيلته ضد من ينافسهما ، وإنما  
كان منطلقه دينياً بحثاً فهو يدافع عن عقيدته . وعدوه فيها هو عدو كل فرد  
مسلم ، وليس الفرزدق هو الوحيد الذي يعاني من محاولات إبليس لإغوائه  
وإنما البشرية جمعاء . وبهذا يخرج النص من كونه تعبيراً عن هم ذاتي  
إلى مجال أرحب يحتوي هموم الجماعة المؤمنة . والشاعر في بداية القصيدة يعلن  
أنه قد قرر التوبة عن مسلكه القديم الذي كان ينتهجه في حياته ، وذلك بشتمه  
للمسلمين بسية القول ، فقد شفى الله صدره وأنار بصيرته بآيات القرآن الكريم ،  
ويؤكد تصميمه على الابتعاد عن ارتكاب الأوزار خوفاً من لقاء يوم معلوم فيقول (٢)

(١) الديوان ١٠١٥/٢

(٢) الديوان ٢١٢/٢ .

لَيْمَنَ رَتَاجٍ قَائِمٍ وَمَقَامٍ  
وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي سَوْءِ كَلَامٍ  
دُرُوءٍ مِنَ الْإِسْلَامِ ذَاتِ حُومٍ  
عَشَا بَصْرِي مِنْهُنَّ ضَوْءُ ظَلَامٍ  
رَهِينَةَ أَوْزَارِ عَلِيٍّ عِظَامٍ  
إِذَا كَانَ يَوْمُ الْوَرْدِ يَوْمِ خِصَامٍ  
وَرَائِي وَدَقَّتْ لِلدَّهْرِ عِظَامِي  
عَشِيَّةً غَبَّ الْبَيْعِ نَحْيِي حَمَامٍ  
وَمَا كَانَ يُعْطِي النَّاسَ غَيْرَ ظَلَامٍ

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي  
عَلَى تَسَمٍّ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا  
أَلَمْ تَرَنِي وَالشَّعْرُ أَصْبَحَ بَيْنَنَا  
بَيْنَ شَفَى الرَّحْمَنِ صَدْرِي وَقَدْ جَلَا  
فَأَصْبَحْتُ أَسْعَى فِي فَكَاكِ قِلَادَةٍ  
أَحَازِرُ أَنْ أَدْعَى وَحَوْضِي مُعَلَّقٍ  
وَلَمْ أَنْتَهَ حَتَّى أَحَاطَتْ خَطِيئَتِي  
لِعَمْرِي لِنِعَمِ النَّحْيِ كَانَ لِقَوْمِهِ  
بِتَوْبَةٍ عَبْدٍ قَدْ أَنْابَ فُؤَادُهُ

ثم يأخذ الفرزدق في هجاء إبليس ، فيعلن فراره إلى الله بعد أن استسلم  
لأبي الجن دهرًا طويلًا ، كان يذلل له فيه سبل الشر والمعصية ويعدده بالخلود  
والبقاء ، قائلاً :

فَلَمَّا أَنْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِي  
مَلَّاقٍ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِي  
وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقَاءَ لِسَامٍ  
عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامٍ  
أَبُو الْجِنِّ إِبْلِيسُ بَغِيرِ خَطَامٍ  
يَكُونُ وَرَائِي مَسْرَّةً وَأَمَامِي (١)  
سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامٍ

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حِجَّةً  
فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَقُنْتُ أَنَّ نِي  
وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ التِّي كُنْتُ خَائِفًا  
حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لِأَجْتَهِدَنَّهَا  
أَلَا طَالَ مَا قَدَيْتُ يَوْضِعَ نَاقَتِي  
يُظَلُّ يُمْنِي عَلَى الرَّحْلِ وَارِكًا  
يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ وَأَنَّه

(١) الوارك : المعتمد على وركه .

ويعد هذا يتوقف الفرزدق أمام مخازي إبليس ومكايده عبر القرون ، فيسرد لنا قصصاً عن ذلك استمدتها من القرآن الكريم .

فهذه قصة فرعون وغرقه في اليم ، بعد عصيانه الله ومحاولته للحاق

بموسى ومن آمنوا معه .

فَقُلْتُ لَهُ هَلَّا أُخِيكَ أَخْرَجْتِ  
رَمَيْتَ بِهِ فِي الْيَمِّ لَمَّا رَأَيْتَهُ  
فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ الْمَوْجُ طَامِئًا  
يَمِينُكَ مِنْ خَضِرِ الْبَحْرِ طَوَامٍ  
كَفَرَقَةَ طَوْدِي يَذْبُلِ وَشَمَامٍ  
نَكَصَتْ وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَكْرَامٍ

وهذه قصة نبي الله صالح وناقته التي عقراها أهل الحجر بعد أن سول لهم

الشیطان ذلك .

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ الْحِجْرِ وَالْحِجْرُ أَهْلُهُ  
فَقُلْتُ اعْقُرُوا هَذِي اللَّقُوحَ فَإِنَّهَا  
فَلَمَّا أَنَاخُوهَا تَبَرَّتْ مِنْهُمْ  
وَأَخِيرًا يَتَوَقَّفُ أَمَامَ مَا حَدَثَ لِأَدَمَ وَزَوْجِهِ عِنْدَ مَا أَغْوَاهُمَا إِبْلِيسُ فَأَخْرَجَهُمَا مِنَ  
الْجَنَّةِ .

وَأَدَمَ قَدْ أَخْرَجْتَهُ وَهُوَ سَاكِنٌ  
وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ أَنَّكَ نَاصِحٌ  
فَظَلَّ يَخِيطَانِ الْوَرِاقَ عَلَيْهِمَا  
وَزَوْجَتَهُ مِنْ خَيْرِ دَارٍ مَقَامٍ  
لَهُ وَلِهَا إِقْسَامٌ غَيْرُ إِثْمَامٍ  
بِأَيْدِيهِمَا مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامٍ

فهؤلاء جميعاً زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، ثم تبرأ منهم  
كما فعل مع قرون أخرى .

فَكَمْ مِنْ قَرُونٍ قَدْ أَطَاعُوا أَصْحَابَهُ  
أَحَادِيثَ كَانُوا فِي ظِلَالِ غَمَامٍ  
ثم يؤكد الفرزدق رفضه لمودة إبليس ، بل وإعلانها حرباً شعواءً عليه ،  
فيقول :

وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسَ بِالْمَرْءِ أَيْتَفِي  
رِضَاهُ وَلَا يِقْتَادُنِي بِزِمَامِ  
سَأُجْزِيكَ مِنْ سَوَاءَاتِ مَا كُنْتَ سَقْتَنِي  
إِلَيْهِ جُرُوحاً فِيكَ ذَاتِ كِلَامِ  
تُعَيِّرُهَا فِي النَّارِ وَالنَّارُ تَلْتَقِي  
عَلَيْكَ بِزُقُومٍ لَهَا وَضِرَامِ

ويؤكد في نهاية القصيدة على توقفه عن الهجاء وعصيانه إبليس ، قائلاً :  
وإنَّ ابنَ إبليسَ وإبليسَ ألبنَا  
لهم بعدَاب النَّاسِ كُلِّ غَلَامِ (١)  
هُمَا تَفْلَانِي فِيَّ مِنْ فَمَوِيهِمَا  
على النَّابِجِ العَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ  
فالفرزدق الذي تتحدث عنه الروايات التاريخية وأشعار جرير فتصفه بالفسق ،  
نجد في القصيدة السابقة وقد تجلّى في شعره أثر الإسلام واضحاً . ولحم  
يكن ذلك لولا نشأته الإسلامية ، واستيعابه لمبادئ الإسلام ، وتفهمه  
لتعاليمه النيرة .

---

(١) ألبنا : سقيا ، أي عذبا كل فرد من الناس .

الباب الثاني

# أثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي

الفصل الأول : الشعر السياسي

الفصل الثاني : الغزل

الفصل الثالث : الهجاء

الفصل الرابع : موضوعات أخرى

أعني بالشعر السياسي ذلك اللون " الذي يتعاطى شئون الحكم تأييداً أو تفنيداً ، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرباً أو سلم " (١) .

ومن المعلوم أن هذا اللون الشعري ليس غرضاً بحد ذاته ، وإنما هو أغراض متعددة ، فقد يكون مديحاً أو هجاءً أو فخراً أو غزلاً أو رثاءً . غير أن هذه الأغراض تصب جميعها في نبع واحد هو انتماء شاعرها السياسي بغض النظر عن حقيقة هذا الانتماء وصدقه .

ومعظم الباحثين (٢) يعتقدون بأن الشعر السياسي ليس وليد العصر الأموي ، وإنما وجد هذا الفن الشعري قبل ذلك في العصر الجاهلي ، إذ كانت كل قبيلة عربية تمثل كياناً مستقلاً له نظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي الخاص به . فهي أشبه ما تكون بالدولة الصغيرة . وقد كانت لهذه الدولة مصالحها التي تصطدم أحياناً بمعارضة من القبائل الأخرى قد تصل إلى الصدام الحربي . وقد كان الشعر يسهم خلالها بدوره المرسوم له في ذلك المجتمع القبلي ، وذلك بتأييد القبيلة ومهاجمة خصومها . وهو ما يمكن أن نسميه شعراً سياسياً .

ولما جاء الإسلام وحد بين القبائل العربية ، وجعلها كياناً واحداً يخضع لنظام معين هو الخلافة الإسلامية ، وقد كان ذلك سبباً في حدوث نقلة كبرى للشعر السياسي في ظل حكم الدولة الأموية ، إذ نشأ صراع حاد بين الأمويين وأحزاب المعارضة السياسية أسهم فيه الشعر بدور واضح .

---

(١) أدب السياسة في العصر الأموي ص ٨ .  
(٢) نفسه ص ٨ ، تاريخ الشعر السياسي ص ٤٠ . ، أدب الخوارج ص ١٤ .  
تاريخ الشعر العربي للكفراوي ص ٨٢ .

وقد كان الباعث لهذا الصراع هو الخلافة الإسلامية ، التي هي منصب

وجد في ظل الإسلام يخضع لضوابط دينية .

يقول ابن خلدون :

" الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخرية والدينية  
الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة  
فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا  
به " (١) .

ولما كان هذا المنصب - كما ذكر ابن خلدون - يخضع للدين ، فقد كان

حتمياً على شعراء الأحزاب المختلفة - بما فيها الحزب الحاكم - أن يعمدوا  
إلى إعطاء مضامينهم الشعرية التي يعبرون من خلالها عن فكرهم الحزبي بعداً

دينياً يتناسب مع حقيقة القضية التي يعالجونها . وهذا ما يتضح للباحث من

خلال دراسة الشعر الذي خلفه لنا هذا الصراع السياسي . فقد استلهم الشعراء

الأفكار والمثل الإسلامية الجديدة ، وجعلوها ركيزة أساسية يتحركون في إطارها

لتأييد أحزابهم ومهاجمة خصومها . وهذا ما سنعرض له في الصفحات التالية .



١ - شعر الأمويين :

كانت السلطة الأموية تواجه منذ بداية حكمها معارضة شديدة لها ، وقد زاد من حدة هذه المعارضة تغيير معاوية بن أبي سفيان لنظام الحكم الإسلامي بجعله الخلافة أمراً وراثياً في أسرته ، بعد أن كانت تقوم على الشورى الإسلامية أثناء الخلافة الراشدة .

وقد كانت المعارضة بأحزابها الكبرى من شيعة ، وزبيريين ، وخوارج تنهم الأمويين باغتصاب الخلافة دون أدنى حق لهم فيها ، وكان شعراؤها ينالون من سلوك خلفائهم ، ويظهرونهم في صورة لا تتناسب مع مركزهم الديني . ومن هنا فقد كان خلفاء بني أمية حريصين على توجيه الشعراء الذين يمدحونهم عن رغبة أو رهبة إلى استخدام العناصر الإسلامية في مدائحهم لهم ؛ وذلك لتحسين صورتهم في عيون الرعية ، وإظهارهم في صورة من المثالية الدينية تتفق مع منصبهم ، ولتبرير وصولهم إلى سدة الحكم ، وتفنيد ما يدعيه خصومهم . وقد عبر عن ذلك عبد الملك بن مروان ، وعاتب الشعراء الذين اعتمدوا على المثل الجاهلية عند مدحهم للأمويين ، ودعاهم إلى التعامل مع المثل الإسلامية الجديدة التي تتناسب مع مكانة الأمويين الدينية .

جاء في الأغاني عن عبد الملك بن مروان أنه قال : " يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخز ، ومرة بالجبل الأعر ، ومرة بالبحر الأجاج . أأقلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم :

نهاركم مكابدةً وصومٌ  
وليلكم صلاةً واقترأُ  
وليتم بالقرآن وبالتركسي  
فأسرع فيكم ذاك البلاءُ  
بكي نجدُ غداةً غدٍ عليكم  
ومكةُ والمدينةُ والجواءُ  
وحق لكل أرضٍ فارغوها  
عليكم لا أبالكم البكاءُ" (١)

ولم يتردد الشعراء - والمحترفون منهم خاصة - في الاستجابة لذلك إرضاءً لنزعةٍ ممدٍ وحيهم وطمعاً في إعطياتهم . فكان مدحهم بجانب ترديده لبعض العناصر التقليدية القديمة كالإشادة بكرم الممدوح ، وشجاعتهم ، ووفائهم . وما إلى ذلك من مثل كانت تتردد عند شعراء العصر الجاهلي ، يحمل صبغة دينية ساعد الشعراء على تمثلها نشأتهم الإسلامية الأولى ، ومعرفتهم بالقرآن الكريم ، واستيعابهم لمعانيه ، بالإضافة إلى تأثير المجتمع الإسلامي المحيط بهم . فهم تارة يصورون الخلافة حقاً للأمويين - دون غيرهم - لأن الله اختارهم لها ، وفضلهم على الناس في ذلك .  
قال جرير :

زُورُوا يَزِيدَ فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ  
وَاسْتَبَشِرُوا بِمَرِيحِ النَّبْتِ مَحْبُورِ (٢)  
وقال الأخطل :  
تَمَّتْ جُدُودُهُمُ وَاللَّهُ فَضَّلَهُمْ  
وَجَدُّ قَوْمِ سِوَاهُمْ خَامِلٌ نَكِيدُ  
هُمُ الَّذِينَ أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُمْ  
لَمَا تَلَاكَتْ نَوَاصِي الْخَيْلِ فَاجْتَدُوا (٣)

(١) الأغاني ٢٠ / ٣١٠ ، وانظر لعبد الملك قصة مشابهة مع عبيد الله بن قيس الرقيات في نفس المصدر ٧٩ / ٥ .  
(٢) الديوان ١ / ١٤٧ .  
(٣) شعر الأخطل ٢ / ٤٤٢ .

وقال الأحموص الأنصاري :

إِمَامٌ أَتَاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يُثِيبْ      عَلَى مُلْكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دَمًا  
تَخَيَّرَهُ رَبُّ الْعِبَادِ لِخَلْقِهِ      وَلِيًّا وَكَانَ اللَّهُ بِالنَّاسِ أَعْلَمًا  
فَلَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَدْعُ مُسْلِمًا      لِبَيْعَتِهِ إِلَّا أَجَابَ وَسَلَّمًا (١)

وتارة أخرى يصورون الحكم الأموي وكأنه أمر محتوم قدره الله فلا بد من نفاذه .  
وهم يتأثرون في ذلك بالنزعة الجبرية التي انتشرت بين فرق المتكلمين آنذاك .  
وليس من المستبعد أن الدولة الأموية كانت تدعمها وتساعد على انتشارها ؛  
لأنها تفضي بالناس إلى الاعتقاد بأن الحكم الأموي قدر مقدور أراد به الله لهذه  
الأمّة ، فلا مناص من التسليم به والإذعان له ، وليس هناك داع للتمرد عليه  
والثورة ضده ، مهما اتصف حكامه بالجور والتالم ؛ لأن ذلك يعد اعتراضاً على  
الإرادة الإلهية التي قدرت لهم ذلك .

وتتردد هذه الفكرة كثيراً عند جرير ، فهو يقول مادحاً عبد الملك بن مروان :

اللَّهُ طَوَّقَكَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَى      وَاللَّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلُ  
إِنَّ الْخِلَافَةَ بِالذِّي أَبْلَيْتُمْ      فَيْكُمْ فَلَيْسَ لِمُلْكِهَا تَحْوِيلُ (٢)

ويقول أيضاً :

يَجْزِيكَ رَبُّكَ حَسَنَ قَرْضِكَ إِنَّهُ      حَسَنُ الْمَعُونَةِ وَاسِعُ الْمُتَقَرِّضِ  
وَاللَّهُ قَدَرٌ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً      خَيْرَ الْبَرِيَّةِ وَأَرْثَهَاكَ الْمُتَرْضِي  
أَعْطَاكَ رَبُّكَ مِنْ جَزِيلِ عَطَائِهِ      مُلْكًا كَعُوبِ قَنَاتِهِ لَمْ تَرْضَ (٣)

(١) الديوان ص ١٩٦ .

(٢) الديوان ٩٤/١ .

(٣) نفسه ٦٢٠/٢ .

ويقول- أيضاً- من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك :

إِنَّ الْوَلِيدَ هُوَ الْإِمَامُ الْمُصْطَفَى      بِالنَّصْرِ لَزْلِوَاؤُهُ وَالْمَغْنَمِ  
ذُو الْعَرْشِ قَدَّرَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً      مُلِكْتَ فَأَعْلُ عَلَى الْمَنَابِرِ وَأَسْلَمَ (١)

ويستفيد أعشى تغلب من هذه النزعة فيبرز بها ما يقوم به الخلفاء من أعمال  
الظلم والتعسف فيقول :

أَمِنْ حُزَّةٍ بِالْفَخْذِ مِنْكَ تَبَاشَرْتَ      عُدَاكَ فَلَا عَارٌ عَلَيْكَ وَلَا وَزْرُ  
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَرَحَ حَسَّهُ      لَكَالْدَّهْرِ لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ (٢)

وقد أضحى الشعراء على خلفاء بني أمية كثيراً من الصفات الإسلامية التي تظهرهم  
في صورة من المثالية والالتزام الديني تتطلبها مكانتهم . وهم يضيفونها على  
جميع الخلفاء ، دون تفریق بينهم ، فالصفات التي يضيفونها على عمر بن عبد العزيز  
تتردد - أيضاً - في مديح يزيد بن عبد الملك على الرغم مما في سيرتهما من  
اختلاف لا يخفى على الدارسين . وتمثل ذلك في حديثهم عن عدل الخلفاء  
باعتبار العدل من أبرز القيم الإسلامية المرتبطة بالحكم ، والتي ينبغي للحاكم  
المسلم أن يكون متصفاً بها .

يقول الفرزدق من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبد الملك :

كَشَفْتَ عَنِ الْأَبْصَارِ كُلِّ عَشَائِبَهَا      وَكُلِّ قَضَائٍ جَائِرٍ أَنْتَ عَادِلُهُ  
وَقَدْ عَلِمَ الظُّلْمُ الَّذِي سَلَّ سَيْفَهُ      عَلَى النَّاسِ بِالْعُدْوَانِ أَنْكَ قَاتِلُهُ  
وَلَيْسَ بِمُحْيِي النَّاسِ مَنْ لَيْسَ قَاضِيًا      بِحَقٍّ وَلَمْ يَبْسِطْ عَلَى النَّاسِ نَائِلُهُ

(١) الديوان ٧٠/١ .

(٢) الصبح المنير في شعر أبي بصير ص ٢٨٩ .

فَصَبَحَ صُلبُ الدِّينِ بَعْدَ التَّوَائِبِ عَلَى النَّاسِ بِالْمَهْدِيِّ قَوْمَ مَايْلَهُ  
حَمَلَتَ الَّذِي لَمْ تَحْمِلِ الأَرْضُ وَالَّتِي عَلَيْهَا فَأَدَيْتَ الَّذِي أَنْتَ حَامِلُهُ  
إِلَى اللَّهِ مِنْ حَمَلِ الأَمَانَةِ بَعْدَ مَا أُضِيعَتْ وَغَالَ الدِّينَ عَنَّا غَوَايِلُهُ  
جَعَلْتَ مَكَانَ الجُورِ فِي الأَرْضِ مِثْلَهُ  
من العدل إذ صارت إليك محاصله (١)

ويقول جرير مادحاً هشام بن عبد الملك :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى بِعَدْلٍ  
أَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ  
وَبَارَكَ فِي مَسِيرِكُمْ مَسِيرًا  
فِيَارَبِّ البَرِيَّةِ أَعْطِ شُكْرًا  
وَتَقْنَا بِالنَّجَاحِ إِذَا بَلَّغْنَا  
عَطَاءُ اللَّهِ مُلْكَكَ النَّصَارَى  
أَحَلَّ الحِلَّ وَاجْتَنَبَ الحَرَامَا  
وَزَادَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ تَمَامًا  
وَبَارَكَ فِي مَقَامِكُمْ مَقَامَا  
وَعَافِيَةً وَأَبْقِ لَنَا هِشَامَا  
إِمَامَ العَدْلِ وَالْمَلِكِ الهِمَامَا  
وَمَنْ صَلَّى لِقَبْلَتِهِ وَصَامَمَا (٢)

كما أشادوا بتنفيذ الخلفاء لأحكام الله سبحانه ، وإقامتهم للفرائض الشرعية  
وتحدثوا عن ورع الخلفاء وتقواهم ، وأثنوا على حرصهم على أداء الواجبات  
الدينية .

يقول جرير من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان :

لَوْلَا الخَلِيفَةُ وَالقرآنُ نَقَرُوهُ  
مَقَامَ للنَّاسِ أَحكامَ وَلَا جَمْعُ  
أَنْتَ الأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ لِاسْرَفٍ  
رَفِيمًا وَلَيْتَ وَلَا هِيَابَةَ وَرَعٍ

(١) الديوان ٩٠/٢

(٢) الديوان ٢٢٤/١

وَأَرَى الزَّيَادِ مِنَ الْأَعْيَاصِ فِي مَهْلٍ      فَالْعَالَمُونَ لَمَّا يَقْضِي بِهِ تَبَّعُ  
مَا عَدَّ قَوْمٌ بِإِحْسَانٍ صَنِيعَهُمْ      إِلَّا صَنِيعَكُمْ فَوْقَ الَّذِي صَنَعُوا  
أَنْتَ الْمُبَارَكُ يَهْدِي اللَّهُ شِيعَتَهُ      إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ  
يَا آلَ مَرْوَانَ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ      فَضْلاً عَظِيماً عَلَى مَنْ دِينَهُ الْبِدْعُ (١)

وفي قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، يتغنى نابغة بني شيبان بما اتصف به الخليفة من بر وتقوى ، فهو - كما يقول - يحيي ليله في ركوع وسجود ، وبكاء وابتهاج ، وقراءة خاشعة للقرآن ، ويمتدح عدله ، ووفاءه بالعهود خشية من الله . وهذه القصيدة تظهر يزيد في صورة تتناسب مع ما كان عليه الرعييل الأول من الصحابة ، ولا تتفق مع تلك الصورة التاريخية التي تعطيها المصادر القديمة حول سيرة يزيد . (٢)

أُعْطِيَ الْحَيَاءَ وَالْعَفَافَ مَعَ الْجُودِ      وَرَأْيًا يَفُوقُ رَأْيَ الرَّجَالِ  
وَحَبَاهُ الْمَلِيكَ تَقْوَى وَبِرًّا      وَهُوَ مِنْ سَوْسِ نَاسِكٍ وَصَّالِ  
يَقْطَعُ اللَّيْلَ آهَةً وَإِنْ حَابَبًا      وَابْتِهَالًا لِلَّهِ أَيُّ ابْتِهَالِ  
تَارَةً رَاكِعًا وَطَوْرًا سَجُودًا      ذَا دُمُوعٍ تَهَلَّ أَيُّ انْهَالِ  
وَلَهُ نَحْبَةٌ إِذَا قَامَ يَتَلَوُّ      سَوْرًا بَعْدَ سُورَةِ الْأَنْفَالِ  
عَادِلٌ مُقْسِطٌ وَمِيزَانٌ حَقٌّ      لَمْ يَحِفْ فِي قَضَائِهِ لِلْمَوَالِي  
مُوفِيًا بِالْعَهْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ      وَمَنْ يَعْفُو يَكُنْ غَيْرَ قَاتِلِ  
مُحْسِنٌ مُجْمَلٌ تَقِيٌّ قَسْوِيٌّ      وَهُوَ أَهْلُ الْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ (٣)

(١) الديوان ١/٢٩٥ .

(٢) حول سيرة يزيد الالهية انظر الطبري ٧/٢٢ ، البيان والتبيين ٢/١٢٣ ، الأغاني ١٥/١٢٢ .

(٣) الديوان ص ٦٨ .

ويقول عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد بن عبد الملك :

صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ      وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجُمُعَا  
عَلَى الَّذِي سَبَقَ الْأَقْوَامَ ضَاحِيَةً      بِالْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَتَّى صَاحَبَاهُ مَعَا  
هُوَ الَّذِي جَمَعَ الرَّحْمَنُ أُمَّتَهُ      عَلَى يَدَيْهِ وَكَانُوا قَبْلَهُ شِيعَا  
عَدْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَنَقْدَهُ      وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعِ بَعْدَهُ تَبَعَا  
إِنْ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ      مُلْكٌ عَلَيْهِ أَعَانَ اللَّهُ فَارْتَفَعَا  
لَا يَمْنَعُ النَّاسَ مَا أُعْطِيَ الَّذِينَ هُمْ      لَهُ عِبَادٌ وَلَا يَعْطُونَ مَا مَنَعَا (١)

ويقول عبد الله العبلي يمدح هشام بن عبد الملك وبنو مروان :

إِنَّكُمْ مَعَشَرُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا      أَنْ تَفُوزُوا بِدُرِّهَا الْمَحْشُودِ  
لَمْ يَرَ اللَّهُ مَعَشَرًا مِنْ بَنِي مُرَّةٍ      وَإِنْ أَوْلَى بِالْمَلِكِ وَالتَّسْوِيدِ  
قَادَةُ سَادَةِ مُلُوكٍ بِحَارٍ      وَبِهَا لَيْلٌ لِلْقُرُومِ الصَّيْدِ  
أَرْحَبُونَ مَا جِدُونَ خَضْمُونَ      مِنْ حِمَاةٍ عِنْدَ أَرْدَادِ الْجُلُودِ  
يَقْطَعُونَ النَّهَارَ بِالرَّأْيِ وَالْحَزْمِ      وَيُحْيُونَ لَيْلَهُمُ بِالسَّجُودِ (٢)

وقد استفاد شعراء البلاط الأموي من عقيدة (المهدية) التي كان يقول

بها الشيعة . فوصف بعضهم الخليفة الأموي بالمهدي المنتظر، ولم يكن ذلك

من منطلق التقليد فحسب ، وإنما هو كما ذكر الدكتور أحمد الحوفي :

" نوع من مقابلة الدعوى يمثلها ، فإذا كان شعراء الشيعة ، أودعاة السفينانية

يتوقعون مجيء إمام منهم يملأ الأرض عدلا ، فإن شعراء البيت مرواني الأموي

لا يتوقعون مجيئه فحسب ، بل يقررون أنه هو الخليفة القائم ، وبهذا يوقعون

(١) الشعراء الشاميون ص ٥٩ ، الأغاني ٢٩٩/١ .

(٢) الأغاني ٣٠٦/١١ .

اليأس في قلوب الشيعة وقلوب الذين يميلون إلى عقيدتهم في رجعة الإمام  
ويوثقون دعاة السفينية ، فتضعف قوة هؤلاء وهؤلاء ، وتقترح حماستهم ، وتهدأ  
ثوراتهم " (١)

فالفردق يمدح سليمان بن عبد الملك فيشير إلى أنه هو المهدي الذي  
أخبرت به الكتب السماوية ، مشيداً بعدله الذي كان فيه خير المسلمين فيقول :

أَنْتَ الَّذِي نَعَتَ الْكِتَابُ لَنَا	فِي نَاطِقِ التَّوْرَةِ وَالزُّبَيْرِ
كَمْ كَانَ مِنْ قَسٍّ يَخْبِرُنَا	بِخِلَافَةِ الْمُهْدِيِّ أَوْ حَبْرٍ
جَعَلَ إِلَهَ لَنَا خِلَافَتَهُ	بِرِّ الْقُرُوحِ وَعِصْمَةِ الْجَبْرِ
كَمْ حَلَّ عَنَّا عَدْلُ سُنَّتِهِ	مِنْ مَغْرَمٍ ثَقُلَ وَمِنْ إِصْرٍ (٢)

وفي قصيدة لجرير يمدح بها هشام بن عبد الملك ، يصفه فيها بالمهدي الذي  
يفزع إليه الناس عند حاجتهم ، كما أنه هو الإمام الذي استبشر المسلمون  
بحكمه لإقامته فرائض الدين وواجباته فيهم .

يقول جرير :

إِلَى الْمُهْدِيِّ نَفَزَ إِنْ فَرَعْنَا	وَنَسْتَسْقِي بِغُرْتِهِ الْغَمَامَا
وَحَبْلُ اللَّهِ تَعَصَّمَكُمْ قَوَاهُ	فَلَا نَخْشَى لِعُرْوَتِهِ انْقِصَامَا
رَضِينَا بِالْخِلَافَةِ حِينَ كُنَّا	لَهُ تَبِعًا وَكَانَ لَنَا إِمَامَا
تَبَاشَرَتْ الْبِلَادُ لَكُمْ بِحُكْمِ	أَقَامَ لَنَا الْفَرَائِضَ وَاسْتَقَامَا (٣)

(١) أدب السياسة في العصر الأموي ص ١٦٢ .

(٢) الديوان ١/٢٦٤ .

(٣) الديوان ١/٢٢٥ .



وقد يجنح شاعر كالفرزدق في إشادته الدينية بالخلفاء إلى المبالغة .  
وذلك لعدم التزامه لجانب الصدق ؛ لكونه محترفاً ينصب اهتمامه في الحصول  
على مزيد من العطايا والهبات التي يغدقها الخليفة عليه ، ولأن ذلك يجد  
قبولاً واستحساناً لدى الخليفة الذي يرى فيه دحساً لما تقوله الأحزاب المعارضة  
عن بعد الخلفاء الأمويين عن الالتزام بأمر الدين وتنفيذ تعاليمه .

فهو يمدح يزيد بن عبد الملك فيسمو به إلى مصاف الأنبياء ، فيزعم أنه  
لو كان هناك نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن يزيد هو النبي  
المختار .

يقول الفرزدق :

ولو كَانَ بَعْدَ الْمُصْطَفَى مِنْ عِبَادِهِ	نَبِيٌّ لَهُمْ مِنْهُمْ لِأَمْرِ الْعَزَائِمِ
لَكُنْتَ الَّذِي يَخْتَارُهُ اللَّهُ بَعْدَهُ	لِحَمْلِ الْأَمَانَاتِ الثَّقَالِ الْعِظَائِمِ
وَرِثْتُمْ خَلِيلَ اللَّهِ كُلَّ خَزَائِنِهِ	وَكُلَّ كِتَابِ النَّبِوَةِ قَائِمِ
بِحُكْمِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ	بِمَا فِي ثَرَى سَبْعِ مِنَ الْأَرْضِ عَالِمِ
وَحَبْلُكَ حَبْلُ اللَّهِ مِنْ يَعْتَصِمُ بِهِ	إِذَا نَالَهُ يَأْخُذُ بِهِ حَبْلُ سَالِمِ (١)

ويمدح هشام بن عبد الملك فيقول :

ولو أُرْسِلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ إِلَى أَمْرِي	سَوَى الْأَنْبِيَاءِ الْمُصْطَفِينَ الْأَكْرَامِ
إِذَا لَأْتَتْ كَفِّيْ هِشَامَ رِسَالَةً	مِنَ اللَّهِ فِيهَا مَنَزَلَاتُ الْعَوَاصِمِ (٢)

(١) الديوان ٢/٢٨٢ .

(٢) نفسه ٢/٣٠٢ .

والمبالغة التي تظهر في الأبيات السابقة والتي يلح عليها الفـرزـدق كثيراً في مدحـه للأمويين، تتسم بالفـلو الشديـد. فهو قد جعل الخليفة الأموي في مصاف الأنبياء أو يكاد .

وكان قيام خليفة أموي بعمل يحمل الطابع الديني كفيلاً بأن يندفع الشعراء إلى تخليده في شعرهم ، وتمجيد الخليفة من خلاله ، واستغلاله للتدليل على دينه وفضله .

فعند ما قرر الوليد بن عبد الملك تحويل بيعة دمشق إلى مسجد كان لهذا العمل صـداه الكبير عند شعراء الأمويين الذين تسابقوا للإشادة به ، فقال نابغة بني شيبان بهذه المناسبة :

هَلْ بِأَسْرِيكَ عَمَّنْ رَامَ مَصْرُوفُ	يا أيها الأجدع الباكي لغيركهم
والله يعلم ما تخفي الشرا سيف (١)	تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحية
فصخرها عن جديد الأرض منسوف	قلعت بيعتهم عن جوف مسجدنا
باتت تجاوبنا فيها الأساقيف	كانت إذا قام أهل الدين فابتهلوا
كما تصوت في الصبح الخطاطيف	أصوات عجم إذا قاموا بقربتهم
وصادق من كتاب الله معروف	فاليوم فيه صلاة الحق ظاهرة
فيهن من ربنا وعد وتخويف (٢)	فيه المثاني وآيات مفصلة

(١) الشراسيف : جمع شرسوف وهو غضروف معلق لكل ضلع مثل غضروف الكتف .  
(٢) الديوان ص ٥٢ .

وقال الفرزدق مشيداً بما قام به الوليد :

فرقتَ بَيْنَ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ  
وَهُمْ مَعًا فِي مَصَلَّاهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ  
وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ النَّاقُوسُ يُضْرِبُهُ  
فُهَمَّتْ تَحْوِيلَهَا عَنْهُمْ كَمَا فِيهِمَا  
دَاوُدُ وَالْمَلِكُ الْمَهْدِيُّ إِذْ حَكَمَا  
فَهَمَّكَ اللَّهُ تَحْوِيلًا لِبَيْعَتِهِمْ

والعابدين مَعَ الْأَسْحَارِ وَالْعَتَمِ  
شَتَّى إِذَا سَجَدُوا لِلَّهِ وَالصَّنَمِ  
أَهْلُ الصَّلِيبِ مَعَ الْقُرَاءِ لَمْ تَتَمِ  
إِذْ يَحْكُمَانِ لَهَا فِي الْحَرْثِ بِالْفَنَمِ  
أَوْلَادَهَا وَاجْتِزَاذِ الصَّوْفِ بِالْجَلَمِ  
عَنْ مَسْجِدٍ فِيهِ يُتْلَى طَيِّبُ الْكَلِمِ (١)

وقال جرير :

ولقد سَمَوْتُ إِلَى النَّصَارَى سَمَوَةً  
إِنَّ الْكَنِيسَةَ كَانَ هَدْمُ بَنَائِهَا  
فَأَرَاكَ رَبِّكَ إِذْ كَسَرْتَ صَلَيبَهُمْ

رَجَفْتُ لَوَقَعَتِهَا جِبَالُ الدَّيْلَمِ  
قَسْرًا فَكَانَ هَزِيمَةً لِلْأَخْضَرِّمِ  
نُورَ الْهُدَى وَعَلِمْتَ مَا لَمْ تَعْلَمِ (٢)

ولم يتوقف شعراء البلاط الأموي عند مديح بني أمية ووصفهم بالتحلي بالخصال

الإسلامية ، وإنما عمدوا إلى هجاء معارضيتهم ، والخارجيين عليهم ، مستخدمين في ذلك ألفاظاً ذات مدلولات دينية كالنفاق ، والفسق ، والضلال ، والشرك والإلحاد وما إليها ، مع تصوير الحرب التي يخوضها الأمويون ضد خصومهم بالجهاد الذي يريدون به توطيد الدين ودعم أركانه .

(١) الديوان ٢١٠/٢ .

(٢) الديوان ٧١/١ .

فالفردق - في قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان - يتهم الزبيريين بالإلحاد ، ويجعل قتال الأمويين لهم واجباً دينياً يقومون به لإعادة العزة للإسلام فهو يقول :

إِذَا لَاقَى بَنُو مَرْوَانَ سَلَّوْا	لَدَيْنَ اللَّهِ أَسْيَافًا غَضَابًا
صَوَارِمَ تَمْنَعُ الْإِسْلَامَ مِنْهُمْ	يُوكَلُّ وَقَعَهُنَّ بِمَنْ أَرَابَا
بِهِنَّ لَقُوا بِمَكَّةَ مُلْحِدِيهَا	وَمَسْكِينَ يُحْسِنُونَ بِهَا الضَّرَابَا
فَلَمْ يَتْرَكَنَّ مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي	وَرَاءَ مُكَذِّبٍ إِلَّا أَنْابَا
إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْلَاقِي ذَمِيمَا	بِهَا رُكْنَ الْمَنِيَةِ وَالْحَسَابَا (١)

ويرمي أعشى همدان عبد الرحمن بن الأشعث ومن شاركوه ثورته ضد الأمويين بالفسق ، ونقض المواثيق ، وإحداث البدع التي ليس لها أساس في الإسلام وأنهم قتلوا في سبيل ضلال وقتنة ، ويشيد بالحجاج وأتباعه من أنصار بني أمية . فهم أهل الحق الذين أظهرهم الله وأيدهم بنصره .

يقول أعشى همدان :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَمَّ نَوْرَهُ	وَيُطْفِئَ نَارَ الْفَاسِقِينَ فَتَحْمُدا
وَيُظْهِرَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ	وَيَعْدِلَ وَقَعَ السَّيْفِ مِنْ كَانَ أَصِيدَا
وَيُنْزِلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِيهِ	لَمَا نَقَضُوا الْعَهْدَ الْوَشِيقَ الْمُؤَكَّدَا
وَمَا أَحْدَثُوا مِنْ بَدْعٍ وَعَنْظِيمَةٍ	مِنَ الْقَوْلِ لَمْ تَصْعَدْ إِلَى اللَّهِ مَصْعَدَا

وما نكثوا من بيعةٍ بعد بيعةٍ  
وَجِبْنَا حَشاَهُ رَبُّهُم فِي قلوبِهِم  
فلا صِدْقَ فِي قولٍ ولا صَبْرَ عِندَهُم  
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللهَ فَرقَ جَمْعَهُم  
فَقَتَلَهُم قَتلىَ ضلالٍ وَفَتَنَتِ بِيعةٍ  
إذا ضَمَنُوهَا اليَوْمَ حَاسُوا بِهَا غَدًا  
فما يَقْرَبُونَ الناسَ إلا تَهْدَدَدًا  
ولكن فخرًا فِيهِمُ وتزْيُودًا  
ومزَقَهُم عَرْضَ البلادِ وشَرَدًا  
وحيثُهم أَمسى ذَلِيلًا مُطْرَدًا (١)

ومن الواضح التأثير القرآني في الأبيات السابقة .

وعند ما مدح كعب الأشقري المهلب بن أبي صفرة في حروبه ضد الخوارج وصفهم بالكفر، والجور عن الصراط المستقيم ، واتباع دين لم تأت به الرسل، قائلًا :

لولا المهلبُ للجيشِ الذي وَرَدُوا  
إذا اعتصمنا بحبلِ اللهِ إذ جحدوا  
جَارُوا عن القصدِ والإسلامِ واتبَعُوا  
دِينًا يخالِفُ ما جاءَتْ بهِ النذرُ (٢)

واستفاد الشعراء من القصص القرآني الذي يدور حول الأمم الضالّة، فاستحضروها في أشعارهم ليقترنوا الخارجين على الأمويين بها . فجزيريتهم آل المهلب بن أبي صفرة بالتفريط في الدين، والطغيان في ثورتهم ضد يزيد ابن عبد الملك ، ويشبههم بقوم ثمود في عصيانهم وفيما آلوا إليه من مصير مؤلم، فيقول :

(١) الديوان ص ١٠١  
(٢) شعراء أمويون ٤٠٣/٢ .

آل المهلب فرطوا في دينهم  
إن الخلافة يابن دحمة دونها  
وطغوا كما فعلت ثمود فباروا  
لجج تضيق بها الصدور غماراً (١)

ويقول الفرزدق في تلك الحادثة :

كيف ترى بطشة الله التي بطشت  
قائد الجياد من البلقاء منقبضاً  
حتى أتت أرض هاروت لعاشرة  
لما رأوا أن أمر الله حاق بهم  
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم  
بابن المهلب إن الله ذو نقم  
شهرًا تقلق في الأرسان واللجم  
فيها ابن دحمة في الحمراء كالأجم  
وأنهم مثل ضلال من النعم  
كأنهم من ثمود الحجر أو إرم (٢)

وشطر البيت الأخير اقتبسه الشاعر من قوله تعالى : . . فأصبحوا لا يرى  
إلا مساكنهم " (٣)

وخلاصة القول فقد اتخذ الخلفاء الأمويون من الشعراء أبواباً تساعدهم  
على تحسين صورتهم أمام الرعية ، والتي تعمل أحزاب المعارضة على تشويهها .  
وقد كان الدين محوراً مهماً في كل قصائدهم التي يعبرون من خلالها عن الخلفاء .  
فهم وصلوا الحكم لأن الله فضلهم على الناس وأختارهم لذلك ، ولأن قدرهم أن  
يحكموا الناس ، وهم جديرون بذلك لالتزامهم الديني ، هذا الالتزام الذي  
يظهرهم أحياناً في صورة من المبالغة الممجوجة .  
أما معارضوهم فهم ضالون ، ملحدون ، مشيروفتنة ، لا فرق بينهم وبين الأمم  
الضالة .

(١) الديوان ٦٤٧/٢ ، ابن دحمة : يزيد بن المهلب ، أمه دحمة .

(٢) الديوان ٢٥٢/٢ .

(٣) الأحقاف ٢٥

٢ - شعر الزبيريين :

يتميز شعر الزبيريين بقلته فهو لا يكاد يذكر قياساً بشعر الأحزاب السياسية الأخرى . وهو أمر يعود - كما أشرنا من قبل - إلى قصر الفترة التي عاشها هذا الحزب أولاً ، وإلى عدم اهتمام زعيمه عبد الله بن الزبير بالشعر والشعراء ثانياً .

ود يوان شاعرهم الأول صيد الله بن قيس الرقيات ليس مقصوداً على السياسة . فهو يتضمن عدداً كبيراً من قصائد الغزل الذي يعد ابن الرقيات أحد أعلامه المرموقين في العصر الأموي ، كما أنه يضم - أيضاً - قصائد قالها الشاعر في مدح الأمويين بعد نهاية الزبيريين في محاولة لاسترضاء خلفاء بني أمية . وتعد همزية صيد الله بن قيس الرقيات في هجاء الأمويين ومناصرة الزبيريين وثيقة تاريخية لهذا الحزب بما تضمنته من أفكار سياسية ، وهي أول ما يجب الوقوف عنده في شعره .

إن الشاعر بعد مقدمته الطللية التي يظهر فيها حسرتة المريرة لا اختلاف قريش وتناحر أبنائها وصراعمهم حول الحكم - الأبيات ١ - ١٧ - ، يعمسد إلى محاولة إثبات أحقيتها بالخلافة ضد كل من يحاول أن يسلبها هذا الحق أو يتمنى زوالها - وفي مقدمتهم الخوارج - ولهذا فهو يشير إلى دورها الإسلامي . فالإمام ينتسب النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة السماوية التي انتشرت شرقاً وغرباً ، وإليها ينتمي الصفوة المختارة من أصحابه الذين جاهدوا في سبيل الدين بأموالهم وأنفسهم ، بدءاً بأبي بكر الصديق ، وحمزة أسد الله ، وعلي بن جعفر ابني أبي طالب ، وانتهاءً بالزبير بن العوام الذي ينتسب إليه هذا الحزب الذي يدعوا إليه ابن الرقيات ، فهذه الصفوة المختارة تجعل قريشاً جديدة بالسيادة على العرب والمسلمين .

يقول ابن الرقيات :

لَو بَكَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ عَلَى قَوْمٍ كَرَامٍ بَكَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ  
نَحْنُ مَنَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ وَالصَّنِّيَّةَ يَيْقُ مَنَا التَّقِيَّ وَالْخَلْفَاءُ  
وَقَتِيلُ الْأَحْزَابِ حَمْرَةٌ مَنَا أَسَدُ اللَّهِ وَالسَّنَاءُ سَنَاءُ  
وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرٌ ذُو الْجَنَاحِ الْبَيْضِ هُنَاكَ الْوَصِيُّ وَالشَّهَادَةُ  
وَالزَّبِيرُ الَّذِي أَجَابَ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْكَرْبِ وَالْبِلَاءُ بِلَاءُ (١)

ويقرن ابن الرقيات مصعب بن الزبير بهذه الصفة المباركة . فهو امتداد لهم  
واستمرار لنهجهم في اتباع الحق ومحاربة الباطل . وهو بذلك ينتقل من مديح  
قريش إلى مديح ممثليها الأكفاء - في نظره - وهم الزبيريون . ومصعب يعد الرجل  
الثاني في الحزب .

يقول عبيد الله :

وَالَّذِي نَغَصَّ ابْنَ دَوْمَةَ مَا تُوِّجِي الشَّيَاطِينَ وَالسُّيُوفُ ظِمَاءُ  
فَأَبَاحَ الْعِرَاقَ يَضْرِبُهُمُ بِالسُّيُوفِ صَلْتًا وَفِي الضَّرْبِ غَلَاءُ  
غُيْبُوا عَنِ مَوَاطِنِ مَقْطَعَاتٍ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا السُّيُوفُ رِخَاءُ (٢)

ويتخذ مديحه لمصعب بعداً دينياً . فالله قد فضله على جميع حاسديه ، ونصره  
عليهم ، وهو شهاب من الله أنار به الظلماء التي غطت على المسلمين ، كما أنه  
ملتزم بكل ما يجب أن يكون عليه الحاكم المسلم من تواضع لله ، وبعد عن الجبروت ،  
واعتماد بالتقوى في جميع الأمور . فهو يقول :

(١) الديوان ص ٨٩ .

(٢) نفسه ص ٩٠ .



حَسَدًا إِذْ رَأَوْكَ فَضَلَّكَ اللَّهُ  
فَعَلَى هَدْيِهِمْ خَرَجْتَ وَمَا طَبُّ  
إِنْ تَعَشْ لَا نَزْلَ بِخَيْرٍ وَإِنْ تَهْ  
إِنَّمَا مَصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ  
مَلَكُهُ مَلِكٌ قُوَّةٌ لَيْسَ فِيهِ  
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْ  
إِنْ لِلَّهِ دَرَقُومٌ يَرِيحُ  
بَعْدَ مَا أَحْرَزَ الْإِلَهُ بِكَ الرَّتْدَ

هُ بِمَا فَضَّلْتُ بِهِ النَّجْبَاءُ  
كَ فِي اللَّهِ إِذْ خَرَجْتَ الرَّيَّاءُ  
لَكَ نَزْلٌ مِثْلُ مَا يَزُولُ الْعَمَاءُ  
هُ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ  
جَبْرُوتٌ وَلَا بِهِ كَرِيهَاءُ  
لِحَ مَنْ كَانَ هَمِّهِ الْاِتِّقَاءُ  
نَكَ بِالنَّقْصِ وَالشَّقَاءِ شَقَاءُ  
قِ وَهَرَقَ كَلَابِكَ الْأَعْدَاءُ (١)

ويعود بعد ذلك إلى الافتخار بقريش ففي كنفها يوجد البيت الحرام الذي يقصده الحجاج من كل فج ، وأهلها هم حجابة الذين يعتنون به . وينطلق من ذلك للهجوم على القبائل اليمنية التي قامت على أكتافها الدولة الأموية . فهي لم ترع حرمة هذا البيت بل حرقتة . ويشيد بالزبيريين الذين أعادوا بناءه بعد ذلك .

يقول ابن الرقيات :

لَيْسَ لِلَّهِ حُرْمَةٌ مِثْلُ بَيْتِ  
خَصَّهُ اللَّهُ بِالْكَرَامَةِ فَالْبَا  
حَرَّقْتَهُ رِجَالٌ لَحْمٌ وَعَاكٌ  
فَبَيْنَاهُ بَعْدَ مَا حَرَّقُوهُ

نَحْنُ حَجَابُهُ عَلَيْهِ الْمَوْلَاءُ  
دُونَ وَالْعَاكِفُونَ فِيهِ سَوَاءُ  
وَجُدَامٌ وَحَمِيرٌ وَصُدَاءُ  
فَاسْتَوَى السَّمَكَ وَاسْتَقَلَّ الْبِنَاءُ (٢)

(١) الديوان ص ٩١ ، العماة : السحاب .

(٢) نفسه ص ٩٥ .

والعناصر الدينية - كما رأينا - تشل جانباً مهماً في الأفكار الشعرية في همزية ابن الرقيات . فهو يركز عليها في محاولة إثباته لحق قريش أولاً ، وأحقية الزبيريين ثانياً ، كما يجعلها منفذاً للهجوم على الأمويين من خلال اتهامه لأنصارهم من القبائل اليمنية بانتهاك الحرمات المقدسة . وفي قصيدة أخرى يصور ابن الرقيات حرص الزبيريين على أن يكون حكمهم قائماً على المبادئ الإسلامية . فهم يتقبلون بيعة المسلمين وفق تعاليم هذا الدين . فهو يقول :

تَدَارِكُ أَخْرَانَا وَنَعُضِي أَمَانَا	وَتَتَّبِعُ مَيْمُونَ النَّقِيْبَةَ نَاسِكَا
إِذَا فَرِغَتْ أَظْفَارُهُ مِنْ قَبِيْلَةِ	أَمَالَ عَلَى أُخْرَى السُّيُوفِ الْبَوَاتِكَا
عَلَى بَيْعَةِ الْإِسْلَامِ بَايَعَنَّ مَضْعَبَا	كَرَادِيْسُ مِنْ خَيْلٍ وَجَمْعَا ضِبَارِكَا
نَغَيْتَ بِنَصْرِ اللَّهِ عَنْهُمْ عَدُوَّهُمْ	فَأَصْبَحْتَ تَحْمِي حَوْضَهُمْ بِرِمَاحِكَا
تَدَارَكْتَ مِنْهُمْ عَشْرَةَ نَهَكَتْ بِهِمْ	عَدُوَّهُمْ وَاللَّهُ أَوْلَاكَ ذَلِكَا (١)

ولم يكن ابن الرقيات وحيداً في الإشادة بالزبيريين . فقد شاركه في ذلك شعراء آخرون كانوا إما محترفين امتدحوا الزبيريين طمعاً في عطاياهم ، أو ممن أعجبتهم منجزات هذا الحزب .

ومن هؤلاء النابغة الجعدي الذي مدح عبد الله بن الزبير فرأى في شخصه إعادة لسيرة الخلفاء الراشدين في رعايتهم لشؤون المسلمين ، واهتمامهم بالفقراء ، وامتدح فيه اتخاذ العدل مبدأ له حيث ساوى بين الناس جميعاً متبعاً سيرة الخلفاء الراشدين .

(١) الديوان ص ١٣١ ، الكراديس : الجماعات ، ضبارك : كثير .

يقول النابغة :

حَكَيْتَ لَنَا الصَّدِيقَ لَمَّا وَلِيْتَنَسَا  
وَسَوَّيْتَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ فَاسْتَوَا  
أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدَّجَى  
لَتَجْبِرَ مِنْهُ جَانِبًا ذَعَدْتُ بِهِ  
وعثمانَ والفاروقَ فارتاحَ معدمُ  
فعدادَ صباحاً حالِكُ الليلِ مظلِمُ  
دُجَى الليلِ جَوَابُ الفلَاةِ عَثْمَمُ  
صروفُ الليالي والزمانُ المصممُ (١)

والبيتان الأخيران يظهران حقيقة شاعرهما فهو لا يعدو أن يكون مداحاً - كشعراء  
الميلاط الأموي - وما يهمه هو ما يريد من المال .

ويهاجم أعشى همدان - من منطلق إعجابه بالزبيريين - حركة المختار  
الثقفي فيتهمه بالشعوذة والضلال ، ويصف جيشه بأنهم شرطة الكفر ، معلناً  
مبايعته لعبد الله بن الزبير التي تأتي تبعاً لإيمانه بالإسلام ، قائلاً :

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنْكُمْ سَبْعِيَّةٌ  
وَأَقْسِمُ مَا كُرْسِيكُمْ بِسَكِينِيَّةِ  
وَأَنْ لُبْسُ التَّابُوتِ فَتَتَّأَوُّوا إِنْ سَعَتْ  
وَإِنِّي أَمْرٌ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ  
وَإِنِّي بَكُمْ يَاشْرُطَةُ الْكُفْرِ عَارِفُ  
وَإِنْ كَانَ قَدْ لُفَّتَ عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ  
حَمَامٌ حَوَالِيهِ وَفِيكُمْ زَخَّارِفُ  
وَأَثَرْتُ وَحِيًّا ضُمَّنْتَهُ الْمَصَاحِفُ  
عَلَيْهِ قُرَيْشٌ شُمَّطُهَا وَالْغَطَارِفُ (٢)

من كل هذا يتضح أن الإسلام ترك بصماته الواضحة على الشعر الزبيرى  
رغم قلته . وتمثل ذلك في إضفاء الشعراء صفات دينية على رجال هذا الحزب ،  
مع الإشادة بتمسكهم بالقيم الإسلامية في حكمهم ، ومهاجمة اعدائهم ، واتهامهم  
بما يتنافى مع هذا الدين ، وكل ذلك من أجل تأييد هذا الحزب والدعوة له .

(١) الديوان ص ٢٠٤ ، عثمم : جمل قوي شديد .

(٢) الديوان ص ١٤٢ .

٣ - شعر الشيعة :

يعتبر ديوان الهاشميات للكميت بن زيد الأسدي أنموذجاً فريداً للشعر السياسي في العصر الأموي ، وصورة معبرة عن الفكر الشيعي في تلك الفترة . فقد نظم الكميت قصائد هذا الديوان ومقطوعاته التي يصل عدد أبياتها إلى ما يزيد عن ستين وأربعمائة بيت ، ليعبر من خلالها عن ولاءه القوي لبني هاشم ، وليقرر فيها أحقية البيت الهاشمي بالخلافة ، وليظهر الأمويين في صورة المغتصبين الجائرين ، وداعياً للثورة ضدهم لإعادة الحق إلى أهله . مما جعله في نظر أحد الدارسين شاعر الشيعة الأكبر في العصر الأموي (١) . وهذا ما يجعل من الهاشميات أنموذجاً حياً نستطيع من خلاله أن ندرس أثر الإسلام في شعر الشيعة في ذلك العصر .

والكميت يصدر في هاشمياته عن وعي عميق بفحوى القضية السياسية التي يعالجها . وهي قضية الخلافة (الإمامة) التي هي منصب ديني وجد بعد الإسلام . ومن هنا فقد كان الدين يتمثل بوضوح عبر كل الموضوعات الشعرية التي كان الشاعر يتحرك من خلالها للتعبير عن مبادئه السياسية .

فإذا ما مدح بني هاشم - ومديحة لهم يستغرق جزءاً كبيراً من ديوانه - فإنه يعمد إلى إضفاء هالة دينية عليهم ليس في الإشارة إلى قرابتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ، وإنما في التغني بالصفات الإسلامية الرفيعة التي يتحلون بها ، والتي تجعلهم جديرين بالإمامة أكثر من غيرهم . فهم موصوفون بالعدل ، والزهد ، والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والبعد عن الفحش ، والسلامة من النميمة ، إلى جانب بعض الصفات التقليدية التي ظل لها دورها بعد الإسلام .

يقول الكميت :

بل هواي الذي أُجِنُّ وأُبُدِّي لبني هاشمٍ فروع الأَنَسَامِ  
للقريبين من نَدَىِّ والبعيدين من الجَوْرِ في عَرَى الأحكامِ  
والمُصِيِّينَ بَابَ مَا أخطأَ النَّاسُ ومرسى قواعد الإسلام (١)

.....

راجحي الوزنِ كَأَمَلِي العَدَلِ فِي السَّيْرَةِ طَبِينِ بِالأمورِ العَظَامِ (٢)

.....

وهم الآخِذُونَ مِنْ ثِقَةِ الأَمْرِ بَتَقَوَاهُمُ عُرَى لا انفصَامِ  
والمصيبون والمُجِيبُونَ للدَعْوَةِ والمُحْرَزُونَ خَصَلَ التَّرامِي  
وَمِحْلُونَ مُحْرَمُونَ مَقْرُونٌ لِحَلِّ قَرَارِهِ وَحَسْرَامِ  
ساسةٌ لا كَمَنُ يرى رَهِيَّةَ النَّاسِ سَوَاءً ورعيَّةَ الأَغْنَامِ  
لا كعبد المليك أو كوليِّدٍ أو كسليمان بعد أو كِهَشَامِ  
رَأْيُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي الثَّلَاثَةِ فِي الثَّائِجَاتِ جُنَحِ الخَلَامِ (٣)

والكميت في البيتين الأخيرين يعمد إلى الموازنة بين عدل بني هاشم وجور بني  
أمية الذين يعاملون المسلمين معاملة الأغنام، وهذا الرأي في الأمويين ليس مقصوداً  
على خليفة معين وإنما هو عام يشمل الحكام الأمويين جميعاً .

(١) الهاشميات ص ٨

(٢) نفسه ص ١١ ، طبيين : الطب الحاذق من الرجال الماهر يعلمه .  
(٣) نفسه ص ١٤ ، رأيه : أي رأى الواحد من هؤلاء الخلفاء كراي أصحاب  
القطع الكثيرة من الغنم .

ويقول من تصيدة أخرى :

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ فِي بَيْوتِهِمْ      سَنَخُ التَّقَى وَالْفَضائلُ الرَتَبُ  
وَالطَّبِيبُونَ الْمَبْرُؤُونَ مِنَ الْآفِئَةِ وَالْمُنْجِبُونَ وَالنُّجَبُ  
وَالسَّالِمُونَ الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الْعَيْبِ وَرَأْسُ الرَّؤُوسِ لَا الذَّنْبُ (١)

.....

وَالْوَازِعُونَ الْمُقَرَّبُونَ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَهْلِ الشَّغَابِ إِنْ شَغِبُوا (٢)

.....

إِلَى مُزُورِينَ فِي زِيَارَتِهِمْ      نَيْلُ التَّقَى وَاسْتَمْتِ الْحَسْبُ (٣)  
ويقول أيضاً :

وَلَا طَيْرَةَ الْغَضَبِ الْمُغْضِبِ      وَوَلَيْسَ التَّفْحِشُ مِنْ شَأْنِهِمْ  
وَلَا الطَّعْنَ فِي أَعْيُنِ الْمُقْبِلِينَ      وَلَا فِي قَفَا الْمُدِيرِ الْمُذْنِبِ  
نُجُومُ الْأُمُورِ إِذَا دَامَسَتْ      بِظُلْمَاءِ يَجْجُورُهَا الْغَيْبُ (٤)

وإذا ما هجا بني أمية فإنه يضعهم في صورة مناقضة للصورة المثالية التي رسمها لبني هاشم ، فهو مجردهم من جميع الصفات التي يجب على الحاكم المسلم الالتزام بها . فنراه يتهمهم بتعطيل أحكام الله ، والجور في معاملته المسلمين ، ومخالفتهم لأوامر الله في ذلك . ويبالغ في تصوير جورهم فهو يجعلهم مضرب المثل فيه .

- 
- (١) الهاشميات ص ٥٦ ، سنخ: سنخ كل شيء أصله .  
(٢) نفسه ص ٥٧ ، الوازعون : الناهون عن المنكر .  
(٣) نفسه ص ٦٠ .  
(٤) نفسه ص ٧٧ .

يقول الكهيت في لاميته التي تتسم بقوة تعابيرها ، وتعد أقرب قصائد الديوان إلى حقيقة الشعر :

ألا هل عم في رأييه متأمّلٌ      وهل أمةٌ مستيقظون لرشدِهم  
وهل مديربُ بعدَ الإساءةِ مقبلٌ      فقد طالَ هذا النومُ واستخرجَ الكرى  
فكشِفُ عنه النعسةَ المتزملُ      وعطلتِ الأحكامُ حتى كأننا  
مساويهم لو كانَ ذا الميلِ يعدلُ      كلامُ النبيين الهداةِ كلامنا  
على ملةٍ غيرِ التي نتَحَمَلُ      فتلكَ أمورُ الناسِ أضحَتَ كأنها  
وأفعالُ أهلِ الجاهليةِ نَعَلُ      فياساسةُ هاتوا لنا من حدِ يشكمُ  
أمورُ مضيعِ آثرِ النومِ بهلُ (١)      أهلُ كتابِ نحنُ فيه وأنتمُ  
ففيكم لعمري ذو أفانين مقولُ      فكيفَ ومن أنى وإذ نحنُ خلفه  
على الحقِّ نقضي بالكتابِ ونعدلُ      أنصلحُ دنيانا جميعاً وديننا  
فريقانِ شتى تسمنونَ ونهزلُ      برينا كبري القدحِ أو هن متنه  
على ما به ضاعَ السوامُ المؤملُ (٢)      ولأيةِ سلغدي ألفَ كأنسه  
من القومِ لا شاربٍ ولا متنبِّلُ (٣)      كأن كتابَ اللهِ يعنى بأمره  
من الرهقِ المخلوطِ بالنوكِ أثولُ (٤)     

- ( ١ ) البهل : واحد ها باهل يقال ناقة باهلة وباهل وهي التي تكون مهملة بغير راع .  
( ٢ ) مؤمل : أي كثير مهمل ، والسوام : هي الإبل الراحية ترسل ولا تعلف .  
( ٣ ) القدح العود إذا بلغ فشذب عنه الغصن وقطع على مقدار النبل الذي يراد من الطول والقصر . والشاربي المصلح . ومتنبل صاحب نبل . والمتن الظهر . وأوهن أي أضعف .  
( ٤ ) السلغد الذئب ويريد به هنا العالج . والألف الرجل العمي البطيء الكلام .  
والرهق السفه . والنوك الحمق . والأثول الطائش .  
( ٥ ) الكودني نسبة إلى الكودن وهو البرذون يشبه به البليد . والمركل السذي يضربه راكبه برجله في مراكله ليعدو ويسرع .

أَلَمْ يَتَدَبَّرْ آيَةً فَتَدَلَّسَهُ  
عَلَى تَرَكَ مَا يَأْتِي أُمَّ الْقَلْبِ مُقْفَلُ  
فَتَلَّكَ مُلُوكُ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُلْكُهُمْ  
فَحَتَّامَ حَتَّامِ الْعَنَاءِ الْمَطْوُولُ  
رَضُوا بِفِعَالِ السُّوءِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ  
فَقَدْ أَيَّتَمَوْا طَوْرًا عَدَاءً وَأَثَلُوا  
وَمَا ضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْجَوْرِ قَبْلَنَا  
لَأَجْوَرٍ مِنْ حَكَامِنَا الْمُتَمَثِّلِ (١)

كما يتهمهم بإحداث البدع في الدين ، واستحلال دماء المسلمين ، واغتصاب حقوقهم في الغنائم .

يقول الكمي :

لَهُمْ كُلَّ عَامٍ بَدْعَةٌ يُحْدِثُونَهَا  
أَزَلُوا بِهَا أَتْبَاعَهُمْ ثُمَّ أَوْجَلُوا  
كَمَا ابْتَدَعَ الرَّهْبَانَ مَا لَمْ يَجِيءْ بِهِ  
كِتَابٌ وَلَا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ  
تَحِلُّ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ لَدَيْهِمْ  
وَيَحْرُمُ طَلْعُ النَّخْلَةِ الْمُتَهَدَّلِ  
وَلَيْسَ لَنَا فِي الْفِيءِ حِظٌّ لَدَيْهِمْ  
وَلَيْسَ لَنَا فِي رِحْلَةِ النَّاسِ رَحْلٌ  
فِيَارِبُ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى  
عَلَيْهِمْ وَهَلْ إِلَّا عَلَيْكَ الْمَعْوَلُ (٢)

والشاعر يرسم في الأبيات السابقة صورة قاتمة للدولة الأموية التي اتخذت حكامها الجور مبدأ لهم في معاملة المسلمين ، مخالفين بذلك تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العدل والرفقة . وهو بذلك يعبر عن روح ثورية تدعو للتمرد على الأمويين باعتبارهم غير أهل للإمامة وذلك بسبب سيرتهم التي لا تتفق كلياً مع الإسلام .

(١) الهاشميات ص ٦١ .

(٢) نفسه ص ٦٤ .



ويستفيد الكميت من التطور الفكري الذي طرأ على العقل العربي آنذاك،  
فيعمد إلى الجدل العقلي الذي يقوم على النظر المحض تارة ، وعلى الاحتجاج  
بآيات القرآن تارة أخرى؛ ليدلل على أحقية الهاشميين بالخلافة .  
يقول الكميت :

بخاتمكم فصلاً تجوز أمورهم  
وجدنا لكم في آل حاميم آية  
وفي غيرها آياً وآياً تتابعت  
بحقكم أمست قريش تعود ننا  
فلم أر غضباً مثله يتفصّب  
تأولها منا تقى ومغرب  
لكم نصب فيها الذي الشك منصب  
وبالفذ منها والرد يفين نركب (١)

.....

وقالوا ورثناها أباناً وأمناً  
يروون لهم حقاً على الناس واجباً  
ولكن مواريث ابن أمية الذي  
يقولون لم يورث ولولا تراشه  
وعك ولحم والسكون وحمير  
ولا نتشلت عضوين منها يحابر  
ولا كانت الأنصار فيها أدلة  
هم شهدوا بدراً وخبير بعدها  
وهم راعموها غير ظئر وأشبلوا  
فإن هي لم تصلح لقوم سواهم  
وما ورثتهم ذاك منّا ولا أب  
سفاهاً وحق الهاشميين أوجب  
به دان شرقي لكم ومغرب (٢)  
لقد شركت فيه بكيل وأرحب  
وكندة والحيان بكر وتغليب  
وكان لعبد القيس عضو مؤرب  
ولا غيباً عنها إذا الناس غيب  
ويوم حنين والدماء تصب  
عليها بأطراف القنا وتحديبوا  
فإن ذوي القربى أحق وأقرب (٣)

(١) الهاشميات ص ٢٠ .

(٢) نفسه ص ٣٢ .

(٣) نفسه ص ٣٣ ، الظئر : العاطفة على غير ولدها المرضعة له . وأشبل عليه عطف عليه وأعاناه . وتحديبوا : أي تآزرروا على نصرته .

ففي الآيات السابقة يقرر الكميّ حق بني هاشم بالخلافة عن طريق الاستشهاد بآيات القرآن الكريم في سور حاميم وغيرها . وهي قوله تعالى " لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى " (١) وقوله عز وجل : " إنما يريد الله ليذبح عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً " (٢) ، وقوله تعالى " وآت ذا القربى حقه " (٣) . فهذه الآيات ناطقة بحق قرابة بني هاشم ، وهي آيات لا يمكن تأويلها بغير ذلك . وهذا الاستشهاد بآيات القرآن لا يأتي اعتباراً ، وإنما يجيء به الشاعر في مقدمة مناقشته لقضية ميراث النبي صلى الله عليه وسلم ، فالأمويون - كما يقول - يدعون أنهم ورثوا الإمامة عن آبائهم وهو ادعاء باطل ؛ لأن صاحب الحق في ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم فهو المورث الحقيقي . ثم ينتقل بعد ذلك إلى تفنيد قولهم بأن النبي لا يورث ، فلو صح هذا القول - في نظره - لشاركتهم فيها القبائل العربية من عك ولخم وحمير والسكون وغيرها ، ولكن للأنصار منها جزء كبير لدورها في نشر الدعوة الإسلامية . فإن كان الأمويون يرون أنها لا تصلح إلا لقريش فإن أهل البيت أولى بها منهم بحق قرابتهم للرسول صلى الله عليه وسلم .

ويمثل المديح النبوي جزءاً مهماً من الهاشميات ، وهو مديح يستمد عناصره من التصوير القرآني للرسول ، وما حدث به صلى الله عليه وسلم عن نفسه .

(١) الشورى ٢٣ .

(٢) الأحزاب ٣٣ .

(٣) الروم ٣٨ .

يقول الكميت :

إلى السراج المنير أحمد لا      يعدلني رغبة ولا رهـب  
عنه إلى غيره ولو رفح الناس إلي العيون وارتقبوا  
وقيل أفرطت بل قصدت ولو      منفي القائلون أو ثلبوا  
إليك يا خير من تضمنت الأرض وإن عاب قولي العيب (١)

.....

والسابق الصادق الموفق والخاتم للأنبياء إذ ذهبوا  
والحاشر الآخر المصدق للأول فيما تناسخ الكتب  
مبشراً منذراً ضياءً به      أنكر فينا الدوار والنصب (٢)  
من بعد إذ نحن عاكفون لها      بالعترة تلك المناسك الخيب (٣)  
وملة الزاعمين عيسى بنم اللـ      وما صوروا وما صلبوا  
مهاجراً سائلاً وقد شالت الحرب لقاها لغبرها الكتب  
يا صاحب الحوض يوم لا شرب للمسكين سوارد إلا ما كان يضرب  
نفسى فدت أعظمًا تضمنها      قبرك فيه العفاف والحسب (٤)

فالكميت في الأبيات السابقة ، يضيف على الرسول صلى الله عليه وسلم الصفات الدينية التي تليق به . فهو خاتم الأنبياء ، الذي يحشر الناس من خلفه . وهو المبشر النذير الذي أنقذ به الله الناس من ظلمات الجهل وعبادة الأوثان ، وكذب ادعاء النصارى بأن عيسى ابن الله ، وهو صاحب الحوض الذي تستقي منه أمته يوم القيامة .

(١) الهاشميات ص ٥٢ .

(٢) الدوار اسم صنم وحجر يدورون حوله شبه بالبيت والنصب حجارة تنصب كذلك يطيفون حولها .

(٣) العترة ضم كان يعتره . أي يذبح .

(٤) نفسه ص ٥٣ .

٤ - شعر الخوارج :

يمثل الدين عنصراً أساسياً في تجربة الخوارج الشعرية . فليس هناك شاعر منهم لم يتأثر به ، ويستمد من عناصره في مضامين شعره . وهذا ما جعله ينعكس عندهم بشكل لا يوجد له مثيل في شعر العصر الأموي . كما ظهر واضحاً تأثرهم الشديد بالقرآن الكريم حيث أكثروا الاقتباس من ألفاظه ومعانيه وصوره . وأجدني أوافق سهير القلماوي فيما ذهبت إليه حول تأثير فئة القراء المتدينين على أدب الخوارج " إن هذه الفئة المتعبدة المتقشفة لم تكن كل الخوارج ، ولكنها كانت الفئة الممتازة وكانت مثلاً حياً أمامهم إن لم يقلسدهم فلا بد أنهم يتأثرون به أقوى أثر لقربه منهم وتشابهه معهم فيما يؤمنون به " (١) والشعر الخارجي لا يستلهم النظرية السياسية التي آمن بها هذا الحزب، وإنما يستمد عناصره من تصويره لحياتهم ، وجهادهم في سبيل مبادئهم التي نذروا أنفسهم لتحقيقها في مجتمعهم الإسلامي، نتيجة قناعتهم الذاتية بصحتها وعدالتها .

فقد عبر الخوارج عن رفضهم لجميع ألوان العصبية القبلية والعرقية ، وأسقطوا فيما بينهم كل الفوارق الاجتماعية . وهو أمر طبيعي يتماشى مع نظريتهم السياسية التي تنظر إلى المسلمين من منظور واحد . فلا سبيل للتفاضل فيما بينهم إلا من خلال معيار جديد عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (٢) وهو معيار التقوى الإسلامي .

(١) أدب الخوارج ص ٤١ .

(٢) الحجرات ١٣ .

وهذا المفهوم عبر عنه شاعرهم عمران بن حطان بقوله :  
فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ رُبُّنَا وَأَوْلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مِنْ شَكْرٍ (١)  
والإسلام هو انتماؤهم الحقيقي ، ومصدر فخرهم . فهم يرفضون القبيلة بكل  
ما تمثله من حسب عريق .

يقول عيسى بن فاتك الخطبي :

أبِي الْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا فَخَرُوا بِبِكْرٍ أَوْ تَمِيمٍ  
كَلَّا الْحَيِّينَ يَنْصُرُ مَدْعِيهِهِ لِيَلْحَقَهُ بِذِي الْحَسْبِ الصَّمِيمِ  
وَمَا حَسْبُ لَوْ كَرُمْتُ عَرُوقٌ وَلَكِنِ التَّقِيُّ هُوَ الْكَرِيمُ (٢)

والله سبحانه هو الذي يقرب بينهم لا القرابة والنسب . فهم يمنحون ودهم لكل  
منتم للعقيدة التي يؤمنون بها .

يقول مرداس بن أدية :

مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ كَانَ لَهُ وَدِّي وَشَارِكْتُهُ فِي تَأْيِيدِ الْمَالِ  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَحَبُّكُمْ إِلَّا لَوَجْهِكَ دُونَ الْعَمِّ وَالْخَالِ (٣)

وشعراء الخوارج يرسمون لرفاقهم - باختلاف الغرض الذي يتعاملون معه فخرأ  
كان أم مديحاً أم رثاءً - وهو الأغلب - صورة مثالية للإنسان الخارجي يستمدونها  
من المثل الإسلامية الجديدة التي جاء بها هذا الدين ودعا الإنسان المسلم إلى  
الالتزام بها . وأبرز سماتها الواقعية الشديدة فهي بعيدة كل البعد عن

(١) شعر الخوارج ص ١٨٣ .

(٢) نفسه ص ٧٢ .

(٣) نفسه ص ٦٤ .

المبالغة والغلو ، لأنها صورة صادقة عن واقع حياتهم كما صورتها المصَادِر القديمة (١) .

وتتجلى ملامحها في الحديث عن حرص الخوارج الشديد على أداء الواجبات الدينية من صوم وصلاة ، وقيامهم الليالي للتهجد ، وكثرة قراءتهم للقرآن ، وخشوعهم الشديد عند سماعهم للذكر ، ورجبتهم العميقة في الاستشهاد في سبيل مبادئهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وتراحمهم فيما بينهم .

يقول عيسى الخطي يرثي مرداس بن أدية ومن مات معه من الخوارج في قصيدة تعتبر أحد النماذج الفريدة في الرثاء الاسلامي :

أَلَا فِي اللَّهِ لَا فِي النَّاسِ شَأَلَتْ	بَدَاوِدٍ وَإِخْوَتِهِ الْجُدُوعُ
مَضَوْا قَتْلًا وَتَمْزِيقًا وَصَلْبًا	تَحَوَّمْ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ وَقُوعُ
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابِدُوهُ	فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رَكَوْعُ
أَطَارَ الْخَوْفَ نَوْمَهُمْ فَنَقَامُوا	وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سَجُودُ	أَنْبِيٍّ مِنْهُ تَنْفَرُ الضَّلُوعُ
وَحُرْسٌ بِالنَّهَارِ لَطُولِ صَمْتٍ	عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِينَتِهِمْ خَشُوعُ
يَعَالُونَ النَّحِيبَ إِلَيْهِ شَوْقًا	وَإِنْ خَفَضُوا فَرِيهِمْ سَمِيحُ (٢)

---

(١) انظر - على سبيل المثال - الكامل ١٦٣/٣ وما بعدها .  
(٢) شعر الخوارج ص ٧٠ .

وبصور شاعر خارجي آخر حياة هذه الفئة التي يقطع أفرادها نهارهم  
جهاداً في سبيل مبادئهم ، وليلهم قياماً للتقرب إلى ربهم  
رافضين للدنيا وزخرفها ، طمعاً في الفوز بجنان النعيم التي هي هدفهم  
الأول ، فيقول :

كَمْ مِنْ فَتَى نَجْدَةٍ لَا اللَّهُوتِيْمُهُ  
ليث النهار وَقَسَى الليل في ثِقَةٍ  
ماض إذا أحجم الأبطال أو نكلوا  
لا هائبٌ يوم هَيْجاً من منازلَةٍ  
في الروع لَيْسَ بطياشٍ ولا وكلٍ  
لَمْ أَلَقْ مثلهم في الناسِ أهل هُدَى  
قومٌ شروا كَدَرَ الدنيا وباطِلها  
ما راقهم زُخرفُ الدنيا وبهجتها  
وقد موا فضلَ دنياهم لآخِرةٍ  
وتبكي مليكة الشيبانية أباها فتقول :

ومن خطيبٍ لدينِ اللهِ وصافٍ  
للوهنِ في دينه والضميم عيافٍ  
عند النزولِ إلى الأفراد ولآفٍ  
لنفسِهِ في لهيبِ الحَرْبِ قذافٍ  
نكسٍ وعن شُبُهاتِ اللبسِ وقافٍ  
في طولِ حلٍّ وترحالٍ وتطوافٍ  
بمنزلٍ من جنانٍ شربه صافٍ  
ولا الترفلُ في خَزٍّ وأفوافٍ  
ثوابٌ مفروضِهِ أضعافُ أضعافٍ (١)

من لجاراتكِ الضعافِ إذا حلَّ بها نازلٌ من الحدَثانِ  
من لضيفٍ يَنْتَابُ في ظُلْمَةِ الليلِ إذا قلَّ مُنزلُ الضيفانِ  
سَوْفَ أبكى عليك ما سَمِعْتَ أذُنايَ يوماً تلاوةَ الفرقانِ  
أينَ مَنْ يَحْفَظُ القِرابَةَ والصَّبرَ ويؤتِي حاجةَ اللُهْفانِ  
ويحوطُ المولى ويصطنعُ الخيرَ ويَجْزِي الإحسانَ بالإحسانِ  
ويكفُ الأذى ويبتذلُ المعروفَ سَمَحَ اليديْنِ سَبَطَ البنانِ (٢)

(١) شعر الخواج ص ٢٨٥ .

(٢) نفسه ص ٢٣٨ .

وديوان شعرهم حافل بالنماذج الشعرية التي تضي عليهم هذه الصورة المثالية . كقصيدة عمرو بن الحصين العنبري في رثاء أبي حمزة (١) ، وقصيدته في وقعة قديد (٢) ، ومقطوعة الطرماح بن حكيم في رثاء الشراة (٣) وما قالتها مليكة الشيبانية (٤) ، وغيرها كثير .

وهي صورة تختلف عن مثيلاتها عند شعراء الأحزاب الأخرى . فهي ليست مقصورة على زعمائهم، وإنما تمتد لتشمل كل فرد ينتمي إلى عقيدتهم ويجاهد في سبيلها ، وليس الهدف منها تحسين صورتهم أمام الناس بل هو التعبير عن عواطفهم الذاتية تجاه رفاقهم في النضال ، وتصوير مدى ألمهم لفقدهم ، ولتحريض أنفسهم على الاستمرار في ذلك الطريق للوصول إلى هدفهم الأسمى وهو تحقيق العدالة أو الشهادة . . ومن هنا فقد غلب موضوع الرثاء على شعرهم الذي يصفون من خلاله هذه الصورة المثالية على فئتهم . فالقيمة الفردية للخارجي هي فيما يقدمه من تضحيات في سبيل مبادئه .

وفي شعرهم تتدفق حماسة قوية ، تختلف جذرياً عن حماسة الجاهليين فليس دافعها الفروسية وإبراز الذات ، وإنما تنبع من شعور ديني عميق ، ويتضح فيها إيمانهم القوي بالتضحية في سبيل عقيدتهم ، ويمطؤها التحريض على الجهاد والاستماتة فيه ، والحرص على الخروج منه بالنصر أو الشهادة . وهذه

---

(١) شعر الخوارج ص ٢٤٧ .

(٢) نفسه ص ٢٥١ .

(٣) نفسه ص ٢٦٥ .

(٤) نفسه ص ٢٣٨ وما بعدها .



الرغبة في الموت - الشهادة جاءت من واقع إيمانهم بالرؤية الإسلامية له ، والتي تصوره كأجل محقوم للإنسان، محدد بساعة لا يتقدم عنها ولا يتأخر .

فقطري بن الفجاءة يدعو نفسه في أحد المواقف القتالية إلى الصمود

والإقدام ، ويهون عليها الموت الذي هو أجل محقوم لكل حي ، قائلاً :

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا      من الأبطال ويحك لن تراعي  
فإنك لو سألت بقاء يوم      على الأجل الذي لك لم تطاعي  
فصبراً في مجال الموت صبراً      فما نيل الخلود بمستطاع  
ولا ثوب البقاء بثوب عز      فيطوى عن أخي الخنع العراع  
سبيل الموت غاية كل حسي      فداعيه لأهل الأرض داعي (١)

ويقول - أيضاً - في موقف مماثل معبراً عن زهده في الحياة ، ورغبته القوية في

نيل الشهادة التي طال انتظاره لها :

حَتَّى مَتَى تُحِطُّنِي الشَّهَادَةُ  
والموت في أعناقنا قِلاَدُهُ  
ليس القرار في الوغى بعبادة  
ياربُّ زدني في التقى عبادة  
وفي الحياة بعد هـا زهاده (٢)

(١) شعر الخواج ص ١٢٢ .

(٢) نفسه ص ١٢٩ .

ويقول البهلول بن بشر الشيباني :

من كَانَ يكرهُ أن يَلْقَى منيتهُ      فالموتُ أشهى إلى قلبي من العسلِ  
فلا التقدّم في الهيجاءِ يُعجلني      ولا الحذارُ يُنجيني من الأجلِ (١)

وتمثل الجنة بما فيها من النعيم الذي أعده الله للشهداء ، حلماً يراود نفوس الخوارج ، ويدفعهم إلى الزهد في الحياة الدنيا بكل ما فيها من المغريات ، ويزيدهم حماساً للجهاد في سبيل عقيدتهم لنيل الشهادة التي تحقق لهم ذلك .

يقول أحد الخوارج مرتجزاً :

يا نفسُ من طُولِ الحياةِ ملّتي  
وعيشِكِ المنقَطِيعِ الموائِتي  
علّي ألقى عاصمًا لعلّي  
في جنةٍ عالِيةٍ وظِلِّ  
وبَيْهَسًا وكهمسِ المصائِتي (٢)

ويقول أبو بلال مرداس بن أدية :

ما إنَّ نبالِي إذا أرواحنا خَرَجَتْ  
نَرَجُو الجِنانَ إذا صارتَ جَماعِنا  
إني امرؤٌ باعِثِي رَبِّي لموعِدِهِ  
وأدَّتْ الأرضُ مني مثلَ ما أخذتْ  
ماذا فعلتمُّ بأجسادِ وأوصالِ  
تحتَ العجاجِ كمثلِ الحنظلِ البالي  
إذا القلوبُ هوتَ من خَوْفِ أهوالِ  
وقرِبتَ لحسابِ القسطِ أعمالِي (٣)

(١) شعر الخوارج ص ٢١٩ .

(٢) نفسه ص ٢٢١ .

(٣) نفسه ص ٦٤ .

كما كانت النار كابوساً يقض مضاجعهم ، ويرون في جهادهم السبيل الوحيد  
للنجاة من عذابها .

يقول الطرماح بن حكيم :

لقد شغيتُ شقاءً لا انقطاعَ لَهُ      إنْ لمْ أَفْزِ فَوْزَةً تُنْجِي مِنَ النَّارِ  
والنارُ لمْ يَنْجِ مِنْ رَوْعَاتِهَا أَحَدٌ      إِلَّا الْمُنِيبُ بِقَلْبِ الْمُخْلِصِ الشَّارِي  
أُو الَّذِي سَبَقَتْ مِنْ قَبْلِ مَوْلِدِهِ      لَهُ السَّعَادَةُ مِنْ خَلْقِهَا الْبَارِي (١)

وقد اتسمت قصائد الخوارج الهجائية التي هاجموا فيها خصومهم من أمويين  
وغيرهم بدرجة شديدة من الغلو، غلبهم عليها طابعهم البدوي الذي لا يعرف  
الحل الوسط . فهم لم يقفوا عند اتهامهم بالجور - الصورة النقيضة للعادل  
الذي يدعيه الخصوم لأنفسهم - وإنما تجاوزوا ذلك إلى اتهامهم بالكفر ، والإلحاد  
والضلال ، بل واتهموا بذلك كل من يخالفهم من عامة المسلمين .

ففي قصيدة لأبي بلال ، نراه يصور فيها مدى معاناته ومن معه من  
الخوارج من مطاردة عبدة الله بن زياد لهم ، وإلحاحه في طلبهم ، معبراً  
من خلالها عن رأي الخوارج في أعدائهم . وهذه القصيدة تبرز مدى تعلق  
الخوارج بالله وإيمانهم به .

---

(١) شعر الخوارج ص ٢٦٣ .

يقول أبو بلال :

إِلَهِي هَبْ لِي زُلْفَةً وَوَسِيلَةً      إِلَيْكَ فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مِنَ الدَّهْرِ  
وَقَدْ أَظْهَرَ الْجَوْرَ الْوَلَاةُ وَأَجْمَعُوا      عَلَى ظَلَمِ أَهْلِ الْحَقِّ بِالْغَدْرِ وَالْكَفْرِ  
وَفِيكَ إِلَهِي إِنْ أَرَدْتَ مَغْيِرًا      لِكُلِّ الَّذِي يَأْتِي إِلَيْنَا بِنُوصَخِرِ  
فَقَدْ ضَيَّقُوا الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِرَحْبِهَا      وَقَدْ تَرَكُونَا لَا نَقْرُؤُ مِنَ الذَّمِّ عَرِ  
فِيَارِبَ لَا تَسْلَمْ وَلَا تَكُ لِلرَّدَى      وَأَيْدُهُمْ يَارِبَ بِالنَّصْرِ وَالصَّبْرِ  
وَيَسِّرْ لَنَا خَيْرًا وَلَا تَحْرِمْنَا      لِقَاءَ ذَوِي الْأَحَادِ فِي عَدِيدِ دُثْرِ (١)

ويقول سميرة بن الجعد :

فَمَنْ مَبْلَغُ الْحَجَّاجِ أَنْ سَمِيرَةً      قَلَى كُلِّ دَيْنٍ غَيْرِ دَيْنِ الْخَوَارِجِ  
رَأَى النَّاسَ إِلَّا مِنْ رَأْيٍ مِثْلَ رَأْيِهِ      مَلَاعِينَ تَرَائِكِينَ قَصَدَ الْمَنَاهِجِ (٢)

أما هجاءهم فيما بينهم ، والذي لا يتعدى إطار اللوم والتأنيب . فهم يعمدون فيه إلى الوعظ والتذكير بالمصير الذي يؤول إليه الإنسان ، في محاولة لإعادة من ينحرف عن منهجهم . وينخدع بالمظاهر الدنيوية الزائفة .

وهذا ما نلمسه في قصيدة قطري بن الفجاءة والتي كتب بها إلى أحد

أصحابه - وهو سميرة بن الجعد - حين أصبح جليساً للحجاج .

(١) شعر الخوارج ص ٦٥ .

(٢) نفسه ص ١٣٦ .

يقول قطري :

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا  
نجالدُ فرسان المهلب كلنا  
وراح ابن جعد الخير نحو أميره  
أبا الجعد أين العلم والحلم والنهي  
ألم تر أن الموت لاشك نازل  
حفاة عراة والثواب لربهم  
فإن الذي قد نلت يفنى وإنما  
فراجع أبا جعد ولا تك مغضيباً  
وتب توبة تهدي إليك شهادة  
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمه  
هي الغاية الصوى الرغيب ثوابها

إذا نحن رحناً في الحديد المظاهر  
صبوراً على وقع السيوف البواتر  
أمير يتقوى ربه غير آمر  
وميراث آباء كرام الحناصر  
ولا بعث إلا اللألي في المقابر  
فمن بين ذي ربح وآخر خاسر  
حياتك في الدنيا كوقعة طائر  
على ظلمة أعشت جميع النواظر  
فإنك ذو ذنب ولست بكافير  
تفدك ابتياعاً رابحاً غير خاسر  
إذا نال في الدنيا الغنى كل تاجر (١)

وقد يمتد هذا اللوم والعتاب إلى ذات الشاعر ، عند فقدته لأصحابه وإحساسه  
بخذلانه لهم ، فيعمد إلى لوم نفسه على اغترارها بالحياة الدنيا ، وعدم  
إقدامها على الموت في سبيل مبادئها .

يقول حبيب بن خدره يرثي رفاقه :

كائن كملحان فينا من أخي ثقة  
من صادقي كنت أصفيه مخالصتي  
أخوان صدقي أرجيهم وأخذلهم  
فصرت صاحب دنيا لست أملكها

أو كابن علقمة المستشهد الشاري  
فباع داراً بأغلى صفقة الدار  
أشكو إلى الله خذلاني لأنصاري  
وصار صاحب جناتٍ وأنهار (٢)

(١) شعر الخوارج ص ١٣٤

(٢) نفسه ص ٢٢٩ .

ويقول أحد الخوارج متحسراً :

وهم الأسود لدى العرين بسالةً      ومن الخشوع كأنهم أحبارُ  
يمضون قد كسروا الجفون إلى الوغى      متبسمين وفيهم استبشارُ  
فكأنما أعداؤهم أحبابهم      فرحاً إذا خطر القنا الخطارُ  
يردون حومات الحمام وإنها      تالله عند نفوسهم لصغارُ  
ولقد مضوا وأنا الحبيب إليهم      وهم لدي أحبة أبرارُ  
قد رُيخلفني وبضيتهم به      يا لهف كيف يفوتني المقدارُ (١)

وهكذا . . . فقد كانت القصيدة السياسية في العصر الأموي تتحرك في إطار من الأفكار الإسلامية الجديدة باعتبارها تعالج موضوعاً ذا سمة دينية هو موضوع الخلافة التي وجدت في ظل الإسلام، والتي كانت العامل الأول والأهم في وجود قصيدة سياسية آنذاك . وهذه الأفكار وإن كانت تلتقي في كثير من الأحيان عند مختلف شعراء الأحزاب السياسية، إلا أنها كانت أيضاً تختلف فيما بينها بسبب اختلاف الهدف لدى الشعراء .

فشعراء الأمويين باعتبارهم محترفين هدفهم الحصول على أكبر قدر من الحظوة والتهبات ، كانوا لا يترددون عن المبالغة في إضفاء الصفات الدينية على مدحهم دون أن يردهم عن ذلك مناقاة الواقع لما يقولونه . على عكس شعراء الأحزاب السياسية الأخرى - وخاصة الخوارج - والذين كان تصويرهم الديني لرجال حزبيهم يتسم بالواقعية الشديدة التي ترفض المبالغة ؛ بسبب إيمانهم بعقيدتهم الحزبية .

"" "" الفصل الثاني "" ""

((( \* )) " الفـ \_\_\_\_\_ زل" ( \* ))

## الغزل

الغزل غرض شعري محبوب إلى النفوس ، قريب منها ؛ لأنه يعبر عن عواطفها الذاتية تجاه الجنس الآخر . والبدايات الشعرية لأغلب الشعراء كثيراً ما تنطلق من هذا الغرض . والرصيد الشعري العربي في الغزل وفير . فهو يمثل جزءاً من التراث الذي أبدعه شعراء العصر الجاهلي . وإن كان الغزل عندهم لم يكن - في معظمه - غرضاً مقصوداً يحد ذاته في قصائدهم ، وإنما كان يجيء ضمن أغراض أخرى . فهو لا يعدو أن يكون مطلعاً للقائد ، أو أن يتخلل أبياتها . وقليل من النصوص تلك التي كان موضوعها الغزل وحده .

وغزل الجاهليين كان يقوم على التجريد الحسي للمرأة بتصوير مفاتنها ووصف مغامرات الشاعر للوصول إليها . وقد ينحدر فيه الشاعر إلى درجة متدنية من الفحش في تصويره لعلاقاته بالمرأة ، وهو ما يلجسه الباحث في غزل امرئ القيس والأعشى على سبيل المثال .

غير أننا لا نعدم وجود نماذج عذرية في شعرهم ، كذلك التي نجدتها في أشعار عنتر بن شداد ، والمرقسى الأكبر ، والمرقسى الأصغر . وإن كانت العذرية لم تمثل لديهم ظاهرة ملموسة .

وقد أصاب شعر الغزل خفوت واضح في عصر صدر الإسلام ، كسائر الأغراض الأخرى التي لا تتماشى في طابعها مع قيم الإسلام ، ولا تحقق أهدافه السامية .



والقصائد الفزلية التي خلفتها لنا تلك الغترة هي في عمومها لا تختلف كثيراً عن الفزل الجاهلي في مضامينها الحسية . وقد تنهدر إلى درجة من الفحش عند شاعر كسحيم عبد بني الحسحاس الذي يقول في إحدى قصائده :

وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ قَدْ رَأَيْتُهَا      وَعِشْرِينَ مِنْهَا إِصْبَعًا مِنْ وِثَائِهَا (١)  
وقد كان هذا الفحش سبباً في مقتله فيما بعد . (٢)

وقد كان للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقف صارم من الفزليين . حيث نهى الشعراء عن التشبيب بالنساء ، وهددهم بالجلد والتنكيل بهم (٣) . وقد دفع ذلك حميد بن ثور الهلالي إلى أن يلجأ للرمز لمعبر من خلاله عن عواطفه نحو المرأة ، فهو يرمز لها بالسرحة فيقول —

وهَلْ أَنَا إِنْ عَلَّتْ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ      من السَّرْحِ سَدُودٌ عَلَيَّ طَرِيقُ  
حَمَى ظِلِّهَا شَكْسُ الْخَلِيقَةِ خَائِفٌ      عليها غَرَامُ الطَّائِفِينَ شَفِيقُ  
فَلَا الظِّلُّ مِنْهَا بِالضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ      وَلَا الفَيْءُ مِنْهَا بِالْعَشِيِّ تَذُوقُ  
وَمَا وَجَدُ مُشْتَاقِي أُصِيبَ فَوَادُهُ      أَخِي شَهَوَاتِ بِالْعِنَاقِ نَسِيقُ  
بِأَكْثَرِ مَنْ وَجَدِي عَلَى ظِلِّ سَرْحَةٍ      من السَّرْحِ إِذْ أَضْحَى عَلَيَّ رَفِيقُ

(١) الديوان ص ٢١

(٢) الأغاني ٣٠٩/٢٢

(٣) نفسه ٣٥٦/٤ ، المتعصص ٣١١ .

وَلَمَّا وَصَلَ مِنْ عَمِيرَةَ لَمْ أَكُنْ  
لَا بِصَرْمَهَا إِنِّي إِذَنْ لَطَلَيْسِقُ  
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَسْرَحَ مَالِيكَ عَلَى كُلِّ أَفْسَانِ الْعِضَاءِ تَسْرُوقًا (١)

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الجزء الأخير من هذه الفترة قد شهد شاعراً يعد في طليعة المذريين وهو عروة بن حزام .

وقد عرف الغزل فترة زاهرة في تاريخه في ظل الدولة الأموية . حيث ساعدت التغيرات السياسية والاجتماعية آنذاك على انتشاره ، فكان من أبرز الأغراض الشعرية في هذه الفترة من تاريخ الأدب العربي . وظهر عليه كثير من ملامح التجديد . لعل أهمها أنه أصبح غرضاً بحد ذاته يشمل القصيدة كلها ، بل إن هناك من الشعراء من قصر شعره على الغزل ، ولم يتجاوزه إلى أغراض أخرى سواء كمربعين أبي ربيعة ، والحارث بن خالد المخزومي ، وقيس بن ذريح وغيرهم .

وقد سار الغزل الأموي في اتجاهين رئيسيين هما :

### أولاً : الغزل المذري :

ينسب هذا اللون من الغزل إلى بني عذرة . وهي قبيلة كانت تسكن

شمالى الحجاز في وادى القرى ، فقد كثرت فيها ذلك حتى اشتهرت به .

فيروون أن رجلاً سئل : ممن أنت ؟ فأجاب بقوله : من قوم إذا أحبوا

ماتوا . فقالت جارية سمعته : " عذري ، ورب الكعبة " (٢)

(١) الديوان ص ٤٠ .

(٢) الشعر والشعراء ٤٤١/١ .

غير أنه لم يكن محصوراً فيهم فقد شاع أيضاً في بوادي نجد .  
والغزل العذري غزل عفيف نقي طاهر . يعتني فيه الشاعر بتصوير  
خلجات وجدانه ، وبالتعبير عن شعوره بالألم والشكوى إزاء ما يعانیه من  
الحرمان في حبه ، ويصكب - عبر أبياته - دموعه مزاراً في انتظار لحظسة  
يسعد بها قلبه برؤية محبوبته . وكل ذلك يتم بعيداً عن الحسية التي كانت  
سائدة في الغزل الجاهلي .

والشاعر العذري يقتصر على امرأة واحدة يمنحها نهضات قلبه ، وعصارة  
وجدانه ، دون أن يتعداها إلى سواها .  
فكان كل شاعر من العذريين يرتبط اسمه بفتاته . فهناك قيس وليلى ،  
وقيس وليلى ، وجميل وهشينة ، وكثير وعزة .

### دور الإسلام في نشأة الغزل العذري :

لقد كان البحث عن تفسير لنشأة هذه  
الظاهرة الشعرية في العصر الأموي موضع اهتمام لدى الدارسين لهذا  
اللون من الغزل العفيف . وقد طرحوا عدة تفسيرات لها استقوها من  
قراءتهم لهذا الشعر ، ومن فهمهم لأوضاع العصر السياسية ، والاقتصادية ،  
والاجتماعية . وجد يربنا أن نقف أمام هذه التفسيرات المختلفة في محاولة  
للوصول إلى تفسير أكثر قبولاً واقناعاً .

أولاً : تفسير مقارن :

يرى الأستاذ لوي ماسينيون أن الحب العذري مقتبس

من الحب الافلاطوني عند اليونان ومشتق منه . ( ١ )

وهذا التفسير لا يمكن القبول به إطلاقاً لعناقضته للواقع التاريخي . فالحب

أو الغزل العذري نشأ في أواسط القرن الأول الهجري ، وهي فترة لم يكسب

فيها العرب قد اتصلوا بعلوم اليونان - ومنها الفلسفة - التي يرى ماسينيون

أن الحب العذري مقتبس عنها - وما دام الأمر كذلك فكيف يمكن لهم أن يتأثروا

بها ؟!

ويرى الدكتور أحمد الجواري انه " لو فرضنا أنهم عرفوا شيئاً من ذلك

في ذلك العصر - وهذا فرض لا يجوز من الوجهة التاريخية - لكان من ظهور

هذا الحب في البداية ونشأته فيها ما يجعلنا نستبعد مثل هذا الرأي ذلك

لأن البداية يبعد أن تتأثر بالحياة العقلية التي تسود في الحواضر، ولا يتأتى

لها أن تتابعها في مضار العلم والمعرفة بسهولة ويسر " ( ٢ )

ثانياً : تفسير سياسي واقتصادي :

يقدم الدكتور طه حسين هذا التفسير فسي

---

( ١ ) عن كتاب الحب العذري لأحمد الجواري ص ٤٥ .

( ٢ ) نفسه ص ٤٥ .

كتابه حديث الأربعاء ويستنبط فيه \* إن بلاد العرب - بعد أن تم الفتح للمسلمين - ومد أن جاهدت في الاحتفاظ بالسلطان السياسي وأخفقت في الجهاد إخفاقاً شنيعاً ، وانتقل مركز الحكم منها إلى الشام ، كما انتقل مركز المعارضة منها إلى العراق انصرفت أو كادت أن تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة ، وفرغت للحياة الخاصة ، فانكبت على نفسها وأحست شيئاً من اليأس والحزن غير قليل ، فهي كانت مهد الإسلام ومصدر قوته ، ومنها انبعثت الجيوش الفاتحة التي أخضعت الأرض ، وأزالت الدول ، وفيها نشأت الخلافة ومنها امتد سلطان الخلافة على الأرض ، ثم هي ترى نفسها جردت من كل شيء ، فانتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام ، وانتقل جهاذ الأحزاب السياسية إلى العراق ، وأساء خلفاء الشام ظنهم ببلاد العرب فعاملوها معاملة شديدة قاسية وأخذوها بألوان من الحكم لا تخلو من العنف . . . \* (١)

ويشير بعد ذلك إليها تتمتع به أهل المدينة ومكة في ذلك الوقت من شراء كان دافعاً لهم - بالإضافة إلى ما أحسوا به من اليأس - إلى اللهو والغناء مما كان سبباً في نشأة الغزل الصريح ، ويذكر أن أهل البادية جمعوا بين اليأس والفقر ومنها نشأت الحركة العذرية فيقول : « كان أهل مكة والمدينة يائسين ، ولكنهم كانوا أغنياً - فلهوا كما يلهوا كل يائس - وكان أهل

---

(١) حديث الأربعاء ١/١٨٨ .

البادية الحجازية ياغسين ، ولكنهم كانوا فقراء فلم يتح لهم اللهب ، وقد حبل بينهم وبين حياتهم الجاهلية ، وقد تأثروا بالإسلام والقرآن خاصة ، فنشأ فبي نفوسهم شيء من التقوى ليس بالحضري الخالص . وليس بالبدوي الخالص ولكن فيه سداجة بدوية وفيه رقة إسلامية . وانصرف هؤلاء الناس عن حروبهم وأسباب لهوهم الجاهلي ، كما انصرفوا عن الحياة العملية في الإسلام إلى أنفسهم فانكبوا عليها واستخلصوا منها نعمة لا تخلو من حزن ولكنها نعمة زهد وتصوف . . . . (١)

وطه حسين يدرك دور الإسلام في نشأة الفزل العذري . غير أنه لا يعطيه تلك الأهمية التي أعطاها له غيره من الباحثين . فهو يرى أن هناك ما هو أهم ، ويقصد به الوضع السياسي والاقتصادي القائمين آنذاك ، والذي يرى أنهما كانا أكثر تأثيراً في بروز هذه الظاهرة .

وهو يبنى رأيه هذا على أمرين ، أما أولهما فهو انعدام الوجود السياسي للحجاز في العصر الأموي ما كان كقبلاً بجعل اليأس يستبد بأهله ، وهذا ما لا يمكن الجزم بصحته . فنحن نعلم أن المعارضة السياسية وجدت في الحجاز في هذا العصر ، وتمثلت في الحزب الزبيرى (٦٤ - ٧٣هـ) الذي سيطر على الحجاز وكان أن يقضي على خلافة بني أمية ، حيث امتد نفوذه إلى العراق

ومصر بل وإلى الشام معقل الدولة الأموية، حتى قضي عليه في عهد عبد الملك بن مروان . كما أن الأمويين كانوا طوال حكمهم ينظرون إلى الحجاز نظرة خاصة نتيجة احساسهم به كمصدر للمعارضة . ما جعلهم يصانعون أهله ويعاملونهم ترغيباً مرة ، وترهيباً مرة أخرى . هذا إذا علمنا أن مواطن الغزل العذري في بادية الحجاز ونجد لم تكن تملك سلطة سياسية في عصر صدر الإسلام فكيف تفتقد ها حينذاك .

أما الأمر الثاني الذي يبيني عليه تفسيره فهو كون أهل البادية فقراء . وهو يقصد بفقرهم - كما أشار إلى ذلك في موضع آخر من كتابه - (١) أنهم كانوا أقل حظاً من أهل المدينة ومكة الذين عاشوا في هذا العصر حياة ترف وندخ . وطه حسين وهو يسوق هذا الرأي كأنه يغفل أو يتجاهل نظام المجتمعات كما فمن المعروف أن البادية كانت ولا زالت وستظل تحتفظ بقدر معين من الدخل نتيجة واقع معيشتها ، وهو وإن اعتبر منخفضاً بحسب المقياس الاقتصادي للمدن لكنه ليس كذلك بالنسبة لها . وإذا سلمنا بصحة ما يفترضه طه حسين ، فإنه ليس من اليسير على الباحث أن يوافق على أن الفقر واليأس بصرفان إلى السى التفكير بالمثل الأعلى ومنتجان مثل هذا الحب الذي عبر عنه القوم في غزلهم العفيف ولعل الأولى بالفقير المحتاج أن يثور على المجتمع الذي حرمه ما أباح

---

(١) نفسه ص ٢٢٠ .

للاّخرين ، وأن يفكر في مخرج يلوذ به من فقره وحاجته ، وإذا قال قائل ان الثورة على المجتمع لجوره في توزيع الثروة لا تصدر إلا عن يدرك ذلك إدراكاً واضحاً وإدراك ذلك عند هؤلاء الأعراب بعيد . فالجواب على ذلك أن إدراك ذلك أيسر عليهم من إدراك المثل الأعلى في الحياة الخلقية إذ أن حاجة الجسم إلى الطعام والشراب والملبس أبلغ بلا ريب من حاجة الروح إلى المثل الأعلى \* (١)

### ثالثاً : تفسير ديني :

يطرح الدكتور شكري فيصل هذا التفسير في دراسته عن ( تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ) فيرى أن الغزل العذري \* تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تتحرج وتذهب مذهب التقى ، وتؤثر السلامة والعافية ، على المقامرة والمخاطرة ، وترى أن النفس أمانة بالسوء \* إن النفس لأمانة بالسوء \* وإن النار قد حفت بالشهوات على حد تعبير الحديث الشريف وأنه من الخير لها أن تصبر . . . \* (٢)

وهذا التفسير هو الذي ذهب إليه معظم الباحثين في هذا الموضوع .  
فالدكتور محمد غنيمي هلال يعتقد أن العذرية \* وليد مجتمع إسلامي عربي تمكنت منه العقيدة ، وهيمن عليه سلطان الخلق ، وسرت فيه روح الزهد فاستمد الحب فيه أصوله من الدين ومثله \* (٣)

- 
- (١) الحب العذري ص ٤٩  
(٢) تطور الغزل ص ٢٨٠ .  
(٣) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ص ٤٢ .



ويؤكد د . شوقي ضيف ذلك حين يقول: " ولا شك في أن تفسيرها يرجع إلى الإسلام الذي طهر النفوس وبرأها من كل إثم . وكانت نفوساً ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة في مكة والمدينة ولا ما يطوى فيها من لهو وعبث ومن تحلل أحياناً من قوانين الخلق الفاضل . . . " (١)

#### رابعاً : تفسير اجتماعي :

يرى د . عبدالقادر القطان " من يتتبع قصص هؤلاء الشمرء - يعني العذريين - وأحوالهم يدرك أن فشلهم لا يعود إلى أسباب دينية وخلقية بقدر ما يرجع إلى عوامل ترتبط بتقاليد المجتمع العربي وقيمه حينذاك فيما يتصل بعلاقة الرجل والمرأة " (٢)

وبعد أن يتوقف أمام بعض هذه القصص التي ترويه المصادر القديمة يكمل قائلاً " . . نحن إذن أمام مجتمع شديد المحافظة تتحجب فيه المرأة عن الرجل وتلقي على وجهها برقعاً إذا لقيت رجلاً من غير أهلها " وكنست إذا ما جئت ليلي تبرقت " ، ويضطر فيه المحبون إلى أن يظهروا غير ما يبطنون ويبدو والبغضاء لمن يحبون حتى يجنبوا أنفسهم عداة الأهل والناس " كلانا

---

(١) العصر الاسلامي ص ٣٥٩ .  
(٢) في الشعر الاسلامي والأموي ص ٨٢ .

مظهر للناس بفضاً ، وكل عند صاحبه مكين \* وهو مجتمع تجري حياة المحبين فيه على تقاليد خاصة مرعية ، فما ينبغي لمن يحب أن يذيع أمره بين الناس ولا أن يقول شعراً في صاحبه يشيع بينهم ، وإلا كان قد ألحق العار بصاحبه وأهلها وقبيلتها جميعاً ، وحق عليه أن يحرم منها إلى الأبد وأن يستباح دمه إذا هو تعرض لها بعد ذلك \* (١)

ويستشهد لتأكيد تفسيره بما يطالعه القارئ في أشعارهم من حديث عن الرقباء والواشين المولكين بتعقب هؤلاء المحبين .

والدكتور القط يحاول هنا تفسير الفشل الذي يعاني منه العذريون . وليس تفسير ظاهرة الفزل العذري عامة . وفرق بين الاثنين . فقد تكون التقاليد الاجتماعية - التي أشار إليها - سبباً فيما يشمر به الشعراء من الإحباط والحرمان ، إلا أنها ليست هي التي دفعتهم إلى الأسلوب العفيف في التعبير عن عواطفهم تجاه المرأة ، وابتعادهم عن الحسية التي كانت طابع الفزل الجاهلي . فهذه التقاليد إن لم نقل أنها وجدت في ظل الإسلام - فإنها لم تستطع في الجاهلية أن توجد ظاهرة عذرية مثل هذه التي وجدت في منتصف القرن الأول الهجري .

هذا مع عدم اتفاق مع د . القط في استغادته من القصص التي تدور حول العذريين في تفسيره . حيث تدور حولها كثير من الشكوك التي تجعلها

عديمة النفع (١)

خامساً : تفسير حضاري :

وهو تفسير آخر للدكتور عبد القادر القط الذي يرى

" أن من يتأمل الشعر المذري يجد كثيراً من وجوه الشبه بينه وبين شعر الحركة الرومانسية الأوروبية والشعر الرومانسي العربي الحديث فهناك تلك العواطف الحادة ، والأحاسيس المرهقة ، والذاتية والاستبطان والميل إلى الحزن والاستسماك بمثل عليا في الأخلاق ، وبخاصة ما يتصل منه بالحرية والحق والعدل كما ان كثيراً من السمات الفنية المشتركة تجمع بين هذه الحركات الثلاث على اختلاف في الطبيعة والدرجة " (٢)

وبعد أن يتطرق للظروف التي نشأت في ظلها الحركتان : الرومانسية الأوروبية، والعربية . حيث حدثتا بعد انقلابين حضاريين هما الثورة الصناعية في أوروبا ، والنهضة العربية . اللتان غيرتا كثيراً من المفاهيم الاجتماعية ، وأقامتا قيماً خلقية جديدة انعكست بدورها على الشعراء، يرى الدكتور " أن هذا التغير الجسيم الذي أحدثته الثورة الصناعية في أوروبا أو النهضة الحضارية في الوطن العربي ، لا يمكن أن يقاس إلى ما أحدثه الإسلام من انقلاب هائل

(١) انظر على سبيل المثال ما يقوله طه حسين في حديث الأربعاء ١٧٦/١ وما بعدها .

(٢) في الشعر الاسلامي والأموي ص ١٠٤ .

مفاجيء في حياة العرب . ولعلنا نستطيع أن ندرك جسامه هذا الانقلاب إذا تخيلناه في صورته الحية خارج إطار التاريخ السجل الذي لم يكن يضم - في الأغلب - إلا الأحداث والوقائع التاريخية الكبرى . ولنا أن نتصور الإنسان العربي الذي عاش حياته التقليدية في الجزيرة العربية متصلاً بأسباب قوية أو ضعيفة بما جاورها من بلاد ، وقد وجد نفسه فجأة محارباً في سبيل عقيدة دينية جديدة غيرت كثيراً من قيمه الروحية والخلقية والاجتماعية ، ثم خائضاً في أحداث سياسية وفتن و " حروب أهلية " حول نظام الحكم والاقتصاد والعصبيات القبلية القديمة ، ثم مهاجراً ومستقراً في تلك الأقطار التي دفعته إليها الفتوح الإسلامية ومواجهاً لأنماط من المعيشة والسلوك الحضاري والتراث الفكري غير تلك الأنماط التي ألفها في موطنه القديم . لنا أن نتصور هذا الإنسان وقد واجه ذلك الانقلاب المفاجيء الشامل في حياته ، فندرك إلى أي مدى كان يعيش في أزمة نفسية عنيفة متذبذباً بين القديم والجديد ، مقللاً حيناً على ترف الحضارة واستقرارها ومشهدوداً حيناً إلى ذلك التراث النفسي المترسب في أعماق وجدانه وإلى تلك القيم الأخلاقية والاجتماعية التي أصبحت من صميم كيانه .

وليس من الشطط أو التعسف في التأويل إذن أن نلتصم فيما كان ينشئ هذا الإنسان من أدب رموزاً وراء تعبيره المباشر تشير إلى ذلك الصراع النفسي الذي لعل ذلك الإنسان لم يدرك كنهه على وجه التحديد فتسرب - بقصد أحياناً - وبغير قصد في كثير من الأحيان - إلى إدراكه وتصويره لتلك

التجارب العاطفية . وطبيعي أن يكون الشعور بالفربة أو الحنين أو الفقد من الرموز الصالحة للتعبير عن ذلك الصراع من خلال تجربة الحب العذري \* (١) هذا هو مجمل التفسير الذي أورده د . القط ، وهو تفسير يفتقر إلى الإقناع . فلا مجال للمقارنة بين الحضارة التي أصابت المجتمع العربي في العصر الأموي وبين الثورة الصناعية فبينهما بون شاسع . فالقيم الروحية ظل لها دورها في العصر الأموي ، ولم تتضاءل ، أو تختف كما هو الوضع في أوربا عقب الثورة الصناعية .

ثم إننا نعلم أن الفزل العذري نشأ في بادية الحجاز ونجد اللتسين ظلتا متمسكتين بطابعهما البدوي القديم بعيداً عن التأثير بمعطيات الحضارة المترفة . ولو كان الأمر كما تصوره القط تذبذباً نفسياً بين القديم والجديد فإن المدينة المنورة التي عاشت قبل العصر الأموي في جو مشبع بالروحية في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، ثم عاشت انقلاباً حضارياً مذهلاً نتيجة للترف الذي أصاب حياتها في هذا العصر هي الموطن الرئيسي للفزل العذري، وهذا ما لا يتفق مع الواقع .

ولو أننا فرضنا صحة ما يقوله د . القط . فإن ذلك يبعث على التساؤل عن السبب في عدم ظهور الفزل العذري في العصر العباسي بهذه الدرجة

---

(١) نفسه ص ١٠٦

الكبيرة التي رأيناها في العصر الأموي . ونحن نعلم أن الحضارة العربية قد بلغت أوجها في العصر العباسي بشكل لا يمكن مقارنته قطعياً بفترة سابقة أو لاحقة . إذن فإن التفسير الحضاري ليس هو التفسير المطلوب لهذه الظاهرة .

ويعمد . . فهذه هي مجمل التفسيرات التي طرحها الباحثون فسي محاولتهم تحليل ظاهرة الغزل العذري ، ومناقشتنا لها .

وأجدني أميل إلى القول بأن عامل الدين كان خلف هذه الظاهرة ، وليس هذا نابعاً مني فقط عن عاطفة دينية محضة ، وإنما جاء عن تصور تام للمواقع التاريخية الذي عاصر نشأتها بجميع ظروفه السياسية والاجتماعية .

إن العذريين - في حقيقتهم - شعراء نشأوا في ظل الإسلام ، وتربووا على قيمه وتعاليمه التي امتزجت مع نفوسهم ، واعتلت فيها . فجاء غزلهم عن إدراك لتلك القيم والتعاليم واستجابة لها .

فالإسلام نظم العلاقة الجنسية بين المرأة والرجل ، ولم يسمح بها إلا في إطارها الصحيح الذي يكفل لها دورها في الحياة الإنسانية كوسيلة لحفظ الجنس البشري . وذلك من خلال الزواج الذي لم يعمد في تصور الإسلام مجرد علاقة جنسية ، وإنما أصبح أسس من ذلك بكثير . فهو علاقة مودة

ورحمة أيضا . قال تعالى " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا  
إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (١).

وحرم الإسلام الزنا " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا " (٢)  
وجعل له العقوبات الشرعية الرادعة لكل من تسول له نفسه إتيانه " الزانية  
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله  
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين " (٣)

ودعا المسلمين إلى الاستعفاف عند عجزهم عن القدرة على الوصول  
إلى المرأة عبر وسيلة النكاح الشرعي " وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً  
حتى يلغئهم الله من فضله " (٤)

وطرح لهم القرآن الكريم أنموذجاً للرجل المؤمن العفيف الذي ينتصر  
على شهواته على الرغم من أساليب الاغراء التي تدعوه للاستسلام لها . وتمثل  
ذلك في يوسف عليه السلام ، الذي راودته امرأة العزيز عن نفسه ، فأبى  
الإذعان لها بإيماناً بربه " قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح  
الظالمون " (٥)

- 
- (١) الروم ٢١ .  
(٢) الاسراء ٣٢  
(٣) النور ٢  
(٤) النور ٣٣  
(٥) يوسف ٢٣ .

وقد انفرست هذه القيم والتعاليم الإسلامية في أعماق الشعراء المذريين، وانعكست على غزلهم الذي جاء عفيفاً ينف عن نفوس مؤمنة نقية استعملت على أهوائها، ولم تستسلم لشهواتها، إذ عاناً لا وأمر الله . ساعدها على ذلك حياتها في بيئتها البدوية التي تتسم باحتفاظها بالتقاليد التوارثية، وحرصها على عدم التهاون فيها .

### أثر الإسلام في الغزل المذري :

كان الغزل المذري - كما تبين - نتاج

تأثير الإسلام على النفس العربية الشاعرة العاشقة . التي تقبلت ما جاء به هذا الدين من تعاليم وقيم فظهر ذلك على غزلها ولهذا جاء عفيفاً ، ملتزماً، يعبر عن عواطفها أفضل تعبير، بعيداً عن الحسية التي كانت تسود شعر الغزل قبل الإسلام .

وما دام الغزل المذري وليداً إسلامياً عرفه المجتمع العربي بعد ظهور الإسلام. فقد كان طبيعياً أن يستلهم الشعراء قيم الإسلام وتعاليمه من واقع نشأتهم، ولهذا ضمنوا قصائدهم المعاني الدينية التي جاء بها هذا الدين، والتي ظهرت في جميع الأغراض الشعرية، وأصبحت علامة بارزة، وسمة ظاهرة نلمسها عند شعراء العصر الأموي على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم . وأول ما يلمسه الدارس في غزل المذريين هو فكرة القضاء والقدر، وهي أصل من أصول



الإيمان ردها العذريون ، ولعلمهم وجدوا فيها شيئاً من العزاء الروحي  
لهم في مقابل ما يلاقونه من الحب والآمه .

فهذا قيس بن ذريح يبكي لبنى بعد طلاقه إياها ، ويقرر بأن ذلك  
ليس إلا قضاء قضاء الله فلا بد من نفاذه ، وعلى النفس أن تخضع لحكمة  
خالقها ، قائلاً :

تَبَكِّيْ عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا      وَكُنْتَ كَأَنَّ غَيْهٌ وَهُوَ طَائِعٌ  
فَلَا تَبْكِينَ فِي إِثْرِي إِذْ نَدَامَةٌ      إِذَا نَزَعْتَهُ مِنْ يَدَيْكَ النَّوَانُ  
فَلَيْسَ لِأَمْرِ حَاوِلِ اللَّهُ جَمْعَهُ      مُشِتَّ وَلَا مَا فَرَّقَ اللَّهُ جَامِعُ (١)

ويقول أيضاً في القصيدة ذاتها :

أَبَى اللَّهُ أَنْ يَلْقَى الرَّشَادَ مُتَمِّمٌ      أَلَا كَلَّ أَرْحَمَ لَابِدًا وَقَعُ (٢)

وهذه النغمة المؤيدة نجدها عند قيس بن الملوح الذي يؤكد رضاه بمشيئة  
الله على الرغم من إقباله على الهلاك بسبب معاناته في الحب قائلاً :

أَيْنَ أَجَلُ هَذَا الْحَبِّ صَرْتُ كَمَا أَرَى ؟      فَكَلْتُ نَعْمَ وَالْحَبُّ مَرُّ الْمَذَائِقِ  
سَأَفْضِي إِلَى سَبِيلِ الْهَلَاكِ وَإِنِّي      لِمَحْتَسِبٍ رَاضٍ مَشِيئَةَ خَالِقِي (٣)

(١) قيس ولبنى شعر ودراسة ١٠٣ .

(٢) نفسه ص ١٠٢ .

(٣) الديوان ص ٢١١ .

والحب - ذاته - كما يرى جميل بن معمر قضاء قضاءه الله ، وهو بذلك يرد على من يلومه على انغماسه في الحب رغم عجزه عن تحقيق أمانيه .  
يقول جميل :

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ      حبيبٌ إليه في نصيحتِهِ رُشدي  
فقال أفيقُ حتى متى أنت هائمٌ      ببثنةٍ فيها لا تُعيد ولا تبدي  
فقلتُ له فيها قضَى اللهُ ما ترى      عليٌّ وهل فيما قضَى اللهُ من ردِّ  
فإن يكُ رُشداً حبها أو غوايةً      فقد جئتهُ ما كان مني على عمدٍ (١)  
والإيمان بقضاء الله يقتضى الصبر على المصائب خضوعاً للمشيئة الإلهية ، وهذا ما يدعو المجنون نفسه إليه حين يقول :  
أبى الله أن تبقى لحيّ بشاشةً      فصبراً على ما شاءه اللهُ لى صبراً (٢)  
وفى قوله أيضاً :

فوالله ما أهكبي على يومٍ مجتبي      ولكنني من وشكٍ بينك أجزعٌ  
فصبراً لأمرِ اللهِ إن حان يومنا      فليس لأمرِ حمّةِ اللهِ مدفعٌ (٣)

والاسترجاع من طبيعة الإنسان المؤمن عند حلول المصائب به . وقد نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى " وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون " (٤)

(١) الديوان ص ٧٤

(٢) الديوان ص ١٧١ .

(٣) الديوان ص ١٨٩ .

(٤) البقرة ١٥٥ ، ١٥٦ .

وقيس بن ذريح يمثل لهذا المفهوم الديني حين يقول وقد برح به الشوق إلى  
لبنى بحد أن أجبر على هجرها :

وأهجركم هجرَ البغيضِ وحبكم      على كيدي منه كلوم صوادع

فواكدي من شدة الشوق والأسى      وواكدي إنى إلى الله راجع (١)

ورغم ما يعبر عنه العذريون في غزلهم من شعور باليأس ، فإن الدارس قد  
يلمس لديهم أملاً كبيراً نابعاً من إيمانهم العميق بالله .

يقول قيس بن الملوح :

وقد يجمعُ اللهُ الشَّيْتَيْنِ بَعْدَ مَا      يظنَّانِ كُلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا (٢)

وقد صور شعراء الغزل العذري لقاءاتهم بمحباتهم التي تتم بعيداً عن  
أعين الرقباء بالعفة ، وأنها كانت بعيدة كل البعد عن كل ما تنكره تعاليم  
الإسلام ومثله العليا .

فهذا جميل بن ميمر يصور لقاءه ببشينة في إحدى الليالي وافتراقهما عند الفجر  
دون أن يرتكبا ما يخالف الدين ، فيقول :

وكان التفرُّقُ عند الصبَّاحِ      عن مثل رائحة العنبرِ

خليلان لم يقرباً ريباً      ولم يستخفا إلى منكسر (٣)

(١) قيس ولبنى شعر ودراسة ١٠٥ .

(٢) الديوان ص ٢٩٣ .

(٣) الديوان ص ١٠٦ .

ويقول قيس بن الملوح معبراً عن نفس المعنى :

ووالله ما أحببتُ حُبِّكَ فاعلمِني  
لقد أكثر اللوامُ فيك ملامِتي  
وقد أرسلت ليلى اليَّ رسولها  
فجئتُ على خوفٍ وكنت معوذاً  
فبتُ وابتتُ لم نهمَّ بريئةً  
لنكرٍ ولا أحببتُ حُبَّكَ مَأْتِماً  
وكانوا لما أبدوا من اللومِ ألوماً  
بأن اتنا سراً إذا الليل أظلاماً  
أحاذرُ أيقاظاً عداةً ونوماً  
ولم نجتجِ يا صاحٍ واللهم حرماً (١)

ويؤكد جميل بن معمر عفة حبه لبشينة . فهو لا يقع تحت طائلة الحدود الإسلامية،  
إلا إن كان الحب ذاته يستوجب الحد .

يقول جميل :

ومن كان في حُبِّي بشينة يمتري  
لئن كان في حُبِّ الحبيب حبيبه  
فبرقاءُ ذي ضالٍ عليَّ شهيدُ  
حدودٌ لقد حلتَّ عليَّ حدودُ (٢)

ويقول جميل - أيضاً - :

لا والذي تسجدُ الجباهُ له  
ولا بغيها ولا هممتُ بسه  
مالي بهادونٌ ثوبها خبيرُ  
ما كان إلا الحديثُ والنظرُ (٣)

(١) الديوان ص ٢٥٩ .

(٢) الديوان ص ٦٧ .

(٣) الديوان ص ٨٩ .

والمعفة التي يعبر عنها العذريون هي جهاد النفس الذي يشير إليه جميل وقد لامه الناس على انشغاله بالحب عن الجهاد في سبيل الله ، وذلك حين يقول :

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها      ويحيى إذا فارقتها فيمـود  
يقولون جاهد يا جميل بفـزوة      وأي جهاد غيرهن أريد (١)

واتباع تعاليم الإسلام التي تدعو إلى المعفة وفض البصر هي التي دفعت جميل بن صعر - ذاته - إلى التساؤل وقد برح به الشوق إلى رؤية بثينة ، قائلاً :

خليبي هل في نظرة يمد توبـة      أدأوي بها قلبي علي فـجور  
إلى رجح الأكفـال هيف خـصورها      عذاب الثنايا ريقهن طهور (٢)

وفي الشعر العذري تظهر صلة شعرائه القوية بالله ، فهم يكثرون من الالتجاء والغزع إليه بالدعاء إذا برح بهم الوجد ، وأضناهم الشوق في صورة رائعة تمثل حرارة الإيمان بالله في قلوبهم .

إلى الله أشكوما ألقى من الهوى      ومن حرق تعتادني وزفير (٣)  
إلى الله أشكونية شقت العصا      هي اليوم شتى وهي أس جميع (٤)  
ولما رأيت الصدد منها ولم تكن      ترق لشكواتي شكوت إلى ربي (٥)

(١) الديوان ص ٦٧ .

(٢) الديوان ص ٩٣ .

(٣) قيس وليبي شعر ودراسة ص ٩٧ .

(٤) ديوان مجنون ليلى ص ١٩١ .

(٥) نفسه ص ٧٦ .

- فيا أسفا حتام قلبي معذب»  
إلى الله أشكو صبوتي بمد كرمتي  
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى  
يا رب إنك ذو من ومغفرة  
إلى الله أشكو طول هذي الشدائد (١)  
ونيران شوقي ما بهن فتور (٢)  
بليلى فغي قلبي جوى وحريق (٣)  
بيت بعافية ليل المحبيننا  
الذاكرين الهوى من بعد ما رقدوا  
إلى الله أشكولا إلى الناس حبيها  
فيارب حبيني إليها وأعطني  
ولا فصبرني وإن كنت كارها  
فإنني بها يان المعارج مولع (٦)

وقد كان التغني بالمفاتن الحسية للمرأة هو السمة البارزة على غزل العصر الجاهلي،  
ولقد تضاعف ذلك في الغزل الأموي - والعذري منه خاصة - فكانت عنايته  
الشعراء تنصب في تصوير أحاسيسهم الوجدانية دون اهتمام بالحديث عن مفاتن  
المرأة . وهذا ما يتضح من خلال استعراض ديوان جميل بن معمر - أشهر  
العذريين - فالشاعر لا يتناول المرأة من خلال تصويرها الحسي إلا في تسعة  
وخمسين بيتا ، وهي نسبة ضئيلة جداً قياساً بمدد أبياته الغزلية التي تتجاوز  
١٠٣٩ بيتاً تقريبا . علما بأن جزءاً منها يزوج فيه الشاعر بين الوصف الحسي

(١) نفسه ص ١١٠

(٢) نفسه ص ١٣٧

(٣) نفسه ص ٢٠٩

(٤) نفسه ص ٢٨٣

(٥) ديوان جميل ص ١١٨ .

(٦) نفسه ص ١١٩

والمعنوي . فالصورة الحسية لا تمثل عنده - وعند غيره من العذريين - إلا ومضات  
خاطفة غير مقصودة . وما لاشك فيه أن للإسلام دوره في حدوث هذا التغيير  
الفكري نظراً لرفعه من شأن المرأة ، ما غير بالتالي النظرة إليها .  
وفي إحدى قصائد جميل بثينة نراه يعتمد صلاح الدين إلى جانب الأوصاف  
الحسية والإشادة بالأحساب، فيقول :

وعالين رقماً فوق كل عذافرٍ      إذا حثَّ رخو الأُخْدَ عَيْنِ ذُقُونِ  
كَأَنَّ الخُدُورَ أُولِجت في ظلالِها      طباءُ الملا ليست بذات قُرُونِ  
إلى رُجَحِ الأعجازِ حُورٍ نَمسى بها      مع العِتْقِ والأحْسابِ صالحِ دينِ (١)  
وكثيراً ما يعاني العشاق من صدود محبوباتهم وهجرهن لهم ، فلا يترددون  
حينئذ عن التوسل إليهن في محاولة للحد من هجرهن لهم . غير أن العذريين  
يعمدون إلى وسيلة جديدة مستقاة من المفاهيم الإسلامية . فهم يدعونهم إلى  
تقوى الله فيهم بالكف عن الصدود ، وهو أمر يقتضى منهم وهن مسلمات  
الاستجابة لهم .

يقول جميل بن معمر مخاطباً بثينة :

أَلَا تَتَّقِينَ اللهَ فيمن قَتَلْتِيهِ      فَأَمْسَى إِلَيْكُمْ خاشعاً يتَضَرَّعُ

.....

أَلَا تَتَّقِينَ اللهَ في قتلِ عاشقِ      له كَبِدٌ حَرَى عَلَيْكَ تَقَطَّعَ (٢)

(١) الديوان ص ٢٠٢ .

(٢) الديوان ص ١١٩ .

ويقول كثير عزة :

تقى الله فيه أم عمرو ونولسي مودته لا يطلبك طالباً (١)

والقتل تعبير يلجأ إليه الغزلون لتصوير مدى معاناتهم من صدور محبوباتهم. فهو يفضي بهم إلى الموت . ولأن الاسلام حرم قتل النفس بغير حق ، فقد لجأ شعراء الغزل العذري إلى استخدام هذا المعنى الديني في غزلهم ، لكسر حاجز الصدود من جانب حبيباتهم .

يقول يزيد بن الطثيرة محذراً حبيبته من حمل دمه يوم الحساب :

سلي هل أحلَّ الله من قتل مسلم بغير دم أم هل علي قتيلاً  
فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة فحمل دمي يوم الحساب ثقيل (٢)

ويقول جميل :

فلا تقتليني يا بشين ولم أصب من الأمر ما فيه يحلُّ لكم قتلي (٣)

ويصور جميل بن معمر مدى تمكن حب بثينة منه ، ومعاناته من ذلك . فهو يبكي في صلاته عند ذكرها ، فيقول :

أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها لي الويل ما يكتب الملكان (٤)

ويتنى جميل أن يقضى الله له لقاء بثينة ، ويتعهد بشكر الله على ذلك ، فيقول :

فليت إلهي قد قضى ذاك مرة فيعلم ربي عند ذلك ما شكري (٥)

(١) الديوان ص ١٥٤

(٢) الديوان ص ٩٨

(٣) الديوان ص ١٧٣

(٤) الديوان ص ٢٠٣

(٥) الديوان ص ١٠٣



ويعاهد بثينة بحفظ سرها حتى يلقي الله فيقول :

أَمُوتْ وَأَلْقَى اللَّهُ يَا بَشْنُ لَمْ أَبْحُ      بِسْرُكِ وَالْمَسْتَخْبِرُونَ كَثِيرٌ (١)

وتمثل الصورة الفنية قيمة كبرى في فن الشعر لقدرتها على تحويل المعاني المجردة إلى صور محسوسة ، وبإعطائها للأشياء المحسوسة بعداً جديداً يعبر عن إحساس الشاعر تجاهها . ويرى أحد النقاد المحدثين أن الصورة ليست إحدى دعائم الشعر فحسب وإنما هي " جوهر الشعر ، وهي روحه وجسده " (٢)

والشعر العذري حافل بالصور الفنية التي عبر العذريون من خلالها عن تجاربهم العاطفية . وهم يستمدونها - أحياناً - من ثقافتهم الإسلامية ، إما من القرآن الكريم ، أو من واقع الحياة الإسلامية .

فالمجنون يصور تجدد نيران الهوى واستمرارها في قلوب العاشقين رغم احتراقهم بها ، فيلتقط للتعبير عن ذلك صورة محسوسة استمدتها من تصوير القرآن لأهل النار وتجدد جلودهم كلما نضجت ، والتي وردت في قوله تعالى :  
" إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصلبهم ناراَ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً  
غيرها . . . " (٣)

يقول المجنون :

وَجَدْتُ الْحُبَّ نِيرَانًا تَلْظَسِي      قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ لَهَا وَقُودُ  
فَلَوْ كَانَتْ إِذَا احْتَرَقَتْ تَفَانَتْ      وَلَكِنْ كَمَا احْتَرَقَتْ تَعْمُودُ  
كَأَهْلِ النَّارِ إِذْ نَضَجَتْ جُلُودُ      أُعِيدَتْ لِلشَّقَاءِ لَهُمْ جُلُودُ (٤)

(١) الديوان ص ٩٥ .

(٢) في النقد الحديث ص ٢٦ .

(٣) النساء ٥٦ .

(٤) الديوان ص ١٠٤ .

ويعبر قيس بن ذريح عن تفضيله للبنى على جميع الناس، فيقتبس لذلك صورة

قرآنية وردت في قوله تعالى " ليلة القدر خير من ألف شهر " (١) فيقول :

لقد فضلت لُبْنَى عَلَى النَّاسِ مِثْلَمَا عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ (٢)

وإذا كان الفوز بالجنة هو منتهى أمل كل مسلم وسلمة في الحياة الآخرة ، فإن

بغية يزيد بن الطثيرة ومطمح أماله هو في لقاء محبوبته، فهي جنته في الدنيا

التي يطمح في الوصول إليها ، فهو يقول :

فَيَا جَنَّةَ الدُّنْيَا وَيَا مُنْتَهَى الْمُنَى وَيَا نُورَ عَيْنِي هَلْ إِلَيْكَ سَبِيلٌ (٣)

ويصور المجنون لهفته الشديدة للقاء ليلى وتمنيته نفسه بذلك ، فيقتبس للتعبير

عن ذلك صورة من واقع حياته الإسلامية التي يعيشها . وهي صورة الضائم الذي

أجدهه الظماً فهو يتمنى الماء البارد لإروائه ، قائلاً :

أَظَلُّ أُنْفِي النَّفْسَ إِيَّاكَ خَالِيًا كَمَا يَتَمَنَّى بَارِدَ الْمَاءِ صَائِمٌ (٤)

وهكذا يتجلى الإسلام في شعر العذريين لا من خلال كونه دافعهم إلى

العفة ، وإنما كذلك عبر تعبيرهم عن بعض مضامينه كإيمانهم بالقضاء والقدر ،

ودعوة أنفسهم إلى الصبر على ما قضاه الله ، ولجوءهم إلى خالقهم عند نزول

المصائب بهم ، وفي استلهاهم لبعض الصور الفنية من القرآن الكريم ، أو

من واقع حياتهم الإسلامية .

(١) القدر ٣

(٢) قيس ولبنى شعر ودراسة ٩٢

(٣) الديوان ص ٩٢ .

(٤) الديوان ص ٢٣٧ وهو منسوب إليه .

## ثانياً : الغزل الصريح :

يعتمد الغزل الصريح على تصوير علاقة الرجل بالمرأة تصويراً يفلب عليه طابع الحسية ، حيث يتحدث شعراؤه عن ركضهم خلف النساء بحثاً عن السعة الوقتية ، فهم يتفزلون بالنساء المتزوجات ، والحاجات ، والزائرات - وأحياناً الإماء - . وهم لا يكتفون بامرأة واحدة يمنحونها عواطفهم - كما يفعل العذريون - وإنما يتنقلون بين أكثر من امرأة بحثاً عن تجربة جديدة .

وقد يعجب الدارس من انتشار هذا اللون الغزلي في الحجاز ، على الرغم مما يمثله من مكانة دينية ، ففيه مهبط الوحي ومبعث الرسالة . والواقع أن المرحلة الحضارية التي عاشها الحجاز في العصر الأموي كانت هي السبب في ذلك ، حيث غلب على الحياة الاجتماعية طابع الترف الذي أوجدته الثروات الطائلة التي تمتعت بها الأجيال الجديدة من الشباب الحجازي ، والتي جاء تهيم عبر قنوات مختلفة ، إما ما خلفه لهم آباؤهم ، أو من عطايا الدولة الأموية التي كانت تجد في إغداق الأموال عليهم وسيلة لإلهائهم عن التوجه السياسي الذي قد يدفعهم للتفكير بالخروج عليها كما فعل عبدالله بن الزبير . وتحت وطأة الفراغ الذي خلقه هذا الثراء في حياة هذه الأجيال الجديدة ، وما أنسه لم يكن لها من قوة الإيمان والعزيمة ما كان لآبائها ، فقد بحثت عن كل وسيلة تحقق لها السعة التي تقضي بها على ما تحسه من فراغ ، فمالت إلى اللهو

والفناء ، ومطاردة النساء . فجاء الغزل الصريح تعبيراً عن نفسيتهما اللاهية . حيث وصف شعراؤها كل ما في هذه الحياة من ترف ولهو وغناء . ساعدهم على ذلك عدم اهتمام العلظة الأموية بتتبع الغزلين كما كان يفعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب . إن انشغلت بما هو أهم بالنسبة إليها وهو تعقيب معارضتها ، حيث لا يهمها هذا الشباب اللاهية ما دام بعيداً عن الساس بنظام حكمها . ولا يستثنى من ذلك إلا ما يروى عن عمر بن عبد العزيز حينما نفى الأحموس إلى قرية من قرى اليمن . (١) وهو أمر يعود إلى شخصية عمر المتفردة بين الأمويين بالتزامها الديني (٢) .

وما لاشك فيه أن موجة الفناء التي انتشرت في المدن الحجازية في ظل واقع الترف الذي تعيشه ، والذي ساهمت فيها العناصر الأجنبية بدور فعال بحثاً عن مكانة لها في هذا المجتمع ، ساهمت بدور كبير في شيوع الغزل وانتشاره ؛ لكونه الموضوع الأول المحبب عند المغنين ، فليس من الطبيعي أن يتفننوا بالمديح أو الفخر أو الهجاء في جو يسوده المرح ، وبين أناس يبحثون عن المتعة . وهو أمر نشاهده في واقعنا المعاصر ، فالغزل وما فيه من حديث عن أوصاف المرأة هو الموضوع السائد في الفناء ، أما القصائد الدينية أو الوطنية أو الوصفية فهي تمثل نسبة ضئيلة جداً . ولما كان الشعر الغزلي

---

(١) الأغاني ٦٤/٩ .

(٢) حول نفي عمر بن عبد العزيز للأحموس انظر كتاب الأحموس بن محمد الأنصاري حياته وشعره) للمحمد علي سعد ص ١٦٨ وما بعدها .

الذي خلفه العصر الجاهلي أقل من حاجة المغنين ، وجزء كبير منه كانوا يعنون فيه " بيبكا" الديار ووصف أثر ارتحال المرأة مع قوسها " (١) وهو ما لا يستقيم مع طبيعة أهل المدن المستقرين . ولما كان المغني دائماً بحاجة إلى التجديد في أغانيه بين فترة وفترة ، فقد كان ذلك يستوجب أن يجد بين يديه شعراً جديداً يغنيه . وهذا ما كان يحققه له الشعراء الغزليون من أمثال عمر بن أبي ربيعة ، والأحوص ، والمرجبي . وهذا ما يمكن أن تؤكد تلك العلاقة الوطيدة التي كانت تربط بين المغنين والشعراء (٢) كما أنه يفسر تلك السهولة التي اتمت بها أبيات الغزل الجديد .

ولعل مسمى الغزل الصريح الذي يطلق على هذا اللون الشعري يجعل السامع يعتقد بأنه مغرق في الحسية والتي تتنافى كلياً مع تعاليم الإسلام وقبحه التي تدعو إلى العفة ، وتجعله يقف على حد المساواة مع ذلك الغزل الفاحش الذي نجده عند شعراء الجاهلية . وهذا ما لا يمت إلى الحقيقة بصلة . فهذا الغزل وإن كان في غالبه غير ملتزم ، فإن الدارس لدواوين شعرائه كعمر بن أبي ربيعة ، والأحوص - على سبيل المثال - لا يعدم أن يجد بعض القصائد الشعرية التي تنم عن روح عذرية تضاهي ما قاله المذريون أنفسهم . كما ترددت في قصائدهم بعض العناصر الدينية التي لا تختلف

(١) الشعر والغناء في المدينة ومكة ص ٨١ .

(٢) انظر في علاقة ابن سريج بعمر بن أبي ربيعة الأغاني ٢٥٨/١ وفي علاقته بالأحوص نفس المصدر ٢٩٥/١ .

عما لسنانه لدى شعراء المدرسة العذرية، بل إنها تتطابق معها كثيراً .

فلم يكن الإسلام بعيداً عن نفوسهم ، بل تأثروا به بحكم انتمائهم الديني إليه ، وبفضل نشأتهم في بيئة إسلامية ، وإدراكهم لفاهيم الإسلام وتعاليمه . فقد عبروا عن إيمانهم بقضاء الله وقدره باعتباره أصلاً من أصول الإيمان التي يلزم المسلم اعتناقها في حياته .

فعمربن أبي ربيعة يعلن خضوعه للحب لإيمانه بأنه قضاء من الله وقدر ، ويتقبله بنفس راضية رغم كل ما يعانیه في سبيل ذلك . يقول عمر :

قَضَى مُنْشِرُ الْمَوْتِ عَلَيَّ قَضِيَّةً      بِحُبِّكَ لَمْ أَمْلِكْ وَلَمْ أَتْهَآ عَمْدًا  
فَلَيْسَ لِقُرْبٍ بَعْدَ قُرْبِكَ لَسُدَّةٌ      وَلَسْتُ أَرَى نَأْيًا سِوَى نَأْيِكُمْ بَعْدًا (١)

ويقول - من قصيدة أخرى - معبراً عن نفس المضمون السابق :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ حُبًّا قَاتِلِي      حَتَّى بُلِمْتُ بِمَا بَرَى جِسْمِي  
أَوْرَثْتَنِي دَاءَ أَخَا مِرِّهْ      أَسَاءُ بِيَزَّ اللَّحْمُ عَنْ عَظْمِي  
لَوْ كُنْتُ أَنْتَ قَسَمْتَ ذَاكَ لَكَ      مَنِّي عَلَيْهِ لَجُرْتُ فِي الْقَسَمِ  
لِئِنْ رُبِّي كَانَ قَدْرَهُ      فَقَضَاءُ رَبِّي أَفْضَلُ الْحُكْمِ (٢)

ويعبر العرجي في إحدى قصائده عن إيمانه بقضاء الله وقدره الذي ساقه إلى المرأة التي أحبها دون أن يملك في ذلك شيئاً، فيقول :

(١) الديوان ص ٣١٢ .

(٢) نفسه ص ٢٥٥

لَمْ يَقَارِبْ جَمَالَهَا حُسْنَ شَيْءٍ غَيْرِ شَمْسِ الضَّحَى عَلَيْهَا النَّهَارُ  
فَلَوْ إِنِّي خَشِيتُ أَوْخِفْتُ قَتْلًا غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَدْفَعُ الْأَقْسَادُ (١)

ويؤكد الحارث بن خالد المخزومي بأن مشيئة الله وحدها هي القادرة على جمعه  
بمن أحبها قاتلاً :

لَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ يَجْمَعْ اللَّهُ بَيْنَنَا بِمَا شَاءَ لَا نَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيًا (٢)  
والإيمان بالقضاء والقدر يقتضى الصبر عليهما ، والرجوع إلى الله لاستلهاهم العزاء  
في ذلك . وهو ما يتجلى في قول العرجي :

أَقُولُ بِأَعْلَى تَخَلَّتَيْنِ وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُ اللَّيْلِ وَالرُّكْبُ هَاجِعٌ  
لِذِي لَطْفٍ مِنْ صُحْبَتِي وَهُوَ دَوْنَهُمْ أَقَاتِلْتِي إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ (٣)  
ويكثر المحققون - كما يسميهم طه حسين (٤) - من لجوئهم إلى الله بالدعاء إليه  
عند لحظات معاناتهم، والتي تحفل بها تجارب الحب في العادة . وهو ما يعطي  
دلالة واضحة على شعورهم الديني .

يقول عمر بن أبي ربيعة في قصيدة له تنم عن نفس مؤمنة :

وَلَقَدْ قَلْتُ إِنْ تَطَاوَلَ هَجْرِي رَبًّا لَا صَبْرَ لِي عَلَى هَجْرِهِ هِنْدِ  
رَبِّ قَدْ شَغِنِي وَأَوْهَنَ عَظْمِي  
وَرَانِي وَزَادَنِي فَوْقَ جُهْدِي  
رَبِّ حَمَلْتَنِي مِنَ الْحُبِّ ثِقْلًا  
رَبِّ لَا صَبْرَ لِي وَلَا عَزْمَ عِنْدِي  
رَبِّ عَلِقْتَهَا نَجْدًا هَجْرِي  
ذَاكَ وَاللَّهِ مِنْ شَقَاوَةِ جَدِّي  
لَيْسَ حُبِّي لَهَا بِبِدْعَةٍ أَمْرٍ  
قَدْ أَحَبَّ الرَّجَالُ قَلْبِي وَعَدِي (٥)

(١) الديوان ص ٥٩ (الهامش)

(٢) الديوان ص ١٤٨ .

(٣) الديوان ص ٤٧ .

(٤) حديث الأربعاء ١/١٨٧ .

(٥) الديوان ص ٢٩٢ .

وفي لحظة من المماناة العاطفية ، والشعور بالمرارة والخيبة عند عجزه عن الحديث إلى امرأة أعجب بها ، يدعو المرجي ربه أن يكون لطيفاً به ، فيقول :

فَخَرَجْتُ لَمْ أَبْتِكُمْ حَزَنِي      ودعوت بالحسراتِ واللّهْفِ  
يَا رَبِّ إِنِّي قَدْ شَقِيتُ بِهَا      فَأَلْطَفْ فَإِنَّكَ رَبٌّ ذُو لَطْفٍ (١)

ويدعو المرجي ربه أن ينسيه ذكر فتاته لما وصل به حبها من سوء الحال . فهو سقيم الجسم ، دامع العين لذلك . فهو يقول :

فَمَا زَالَ بِي مَا ضَمَّنِي مِنَ الْجَوَى      وَسَقَمَ بِهِ أَعْيَا عَلَى مِنْ تَطَبَّيَا  
وَكثرةِ دمع العينِ حتى لو أنسي      يراني عِدُّ وَكَاشِحٌ لِتَحَوَّيَا  
فَذَا الْعَرْشِ أَنْسَى الْقَلْبَ مَا عَشْتُ ذِكْرَهَا      فَقَدْ طَالَمَا أَمْسَى إِلَيْهَا تَحِبَّيَا  
فَكَمْ مِنْ مِثَّتٍ قَدْ جَمَعَتْ بِقَدْرَةٍ      وَمَجْتَمَعِ شَعْبَةٍ فَتَشَعَّبَيَا (٢)

ويدعو عمر بن أبي ربيعة بدخول الجنة لامرأة صادفها في الطواف ، فعاتبته بسح الطيب في ثوبه ، فيقول :

أَدْخَلَ اللَّهُ رَبُّ مُوسَى وَعِيسَى      جَنَّةَ الْخُلْدِ مِنْ مَلَانِي خَلُوقَا  
مَسْحَتُهُ مِنْ كَدِّهَا بِقَسِيمِي      حِينَ طَافَتْ بِالْبَيْتِ مَسْحًا رَفِيقَا (٣)

(١) الديوان ص ٦٠ .

(٢) الديوان ص ١٤٤ ، تحوب : الحوب الإثم والذنب .

(٣) نفسه ص ٤٥٠ ، الخلق : الطيب .



وفي قصيدة أخرى يسأل الله لامرأة أحبها أن تعود من حجها بالسلامة والأجر،  
قائلاً :

أَسْأَلُ اللَّهَ عَالَمَ الْغَيْبِ أَنْ تَرْجِعَ يَا حَبِّ سَالِمًا مَأْجُورًا (١)

ويزعم في رائيته المشهورة أن فتاته دعت له بالحفظ من الله عند لقائه بها بمد  
أن أصابها الخوف منه .

يقول عمر :

فَقَالَتْ وَقَدْ لَأَنْتَ وَأَفْرَحَ رَوْعُهَا      كَلَّاكَ بِحَفْظِ رَبِّكَ الْمَتَكَبِّرِ (٢)

ولعبيد الله بن قيس الرقيات بيت مثل لهذا البيت حين يقول :

قَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَجُودَانِيهَا      صُوحِبَتْ وَاللَّهِ هُوَ الرَّاعِي (٣)

وقد يعبر هؤلاء الغزلون - أحياناً - عن عفة حبيبهم ، ويشيرون إلى حرصهم  
على البعد عن كل ما يتنافى مع الدين .

يقول الحارث بن خالد المخزومي يصف إحدى لقاءاته الفرامية :

إِذَا اجْتَمَعْنَا هَجَرْنَا كُلَّ فَاخِشَةٍ      عِنْدَ الْلِقَاءِ وَذَاكُم مَجْلِسُ لَيْنٍ (٤)

ويدعو العرجي عينه إلى الكف عن النظر إلى النساء ؛ لأن ذلك منهي عنه

فيقول :

يَا عَيْنَ مَهْلًا أَلَمْ تُنْهَى عَنِ النَّظْرِ      غَضِيٍّ مِنَ الطَّرْفِ غَضِيٍّ لَمِحِ الْبَصْرِ (٥)

(١) الديوان ص ١٢٢

(٢) الديوان ص ٩٢

(٣) الديوان ص ١٦١

(٤) الديوان ص ١٤٣ . مجلس لبن : تقضى فيه اللبانة وهي حاجة القلب .

(٥) الديوان ص ١٣٠

والدعوة إلى تقوى الله التي تردت عن شعراء المدرسة العذرية ، والتي اتخذوها وسيلة لاستعطاف المرأة ، تتكرر عند زملائهم شعراء الغزل الصريح .

يقول عبيد الله بن قيس الرقيات محذراً رقية من عقوبة هجرها له :

تَقِنِّي اللَّهُ فِي رَقِيٍّ وَأَخْشِي عُقُوبَةَ أَمْرِنَا لَا تَقْتُلِينَا (١)

ويطلب عمر بن أبي ربيعة من فتاته أن تتقي الله فيه ، فتقبل اعتذاره لها ، وتكف عن صدودها ، قائلاً :

اقْبَلِي الْعُذْرَ مِنْ فَتَاتِي  
لَمْ يَخُنْكَ السُّودَانُ لَا  
لِمَ تَبْؤُؤِينَ بِأَشِيئِهِ  
اتَّقِي اللَّهَ فِي فَتَاتِي  
صَادِقٌ غَيْرَ أَشِيئِ  
لَا وَرَبِّ الْمَوَاسِيئِ  
تَائِبًا غَيْرَ وَغِيئِ  
مَا جِدِ أُخْتَهُ هَاشِمِ (٢)

ويقول في أبيات أخرى يظهر فيها التأثير القرآني واضحاً :

فَاتَّقِي ذَا الْجَلَالِ يَا أُمَّ عَمْرٍو  
افْعَلِي بِالْأَسِيرِ إِحْدَى ثَلَاثِ  
اقتلِيه قتلًا سريعًا مُرِحَمًا  
أَوْ أْقِيدِي فَإِنَّمَا النَّفْسُ بِالنَّفْسِ  
وَاحْكِي فِي أَسِيرِكُمْ بِالصَّوَابِ  
فَأفهميهنَّ ثم رُدِّي جَوَابِي  
لَا تَكُونِي عَلَيْهِ سَوَطَ عَذَابِ  
أَوْ أْقِيدِي فَإِنَّمَا النَّفْسُ بِالنَّفْسِ  
أَوْصَلِيهِ وَصَلًا يَقْسِرُّ عَلَيْهِ  
إِنْ شَرَّ الْوَصَالِ وَصَلُ الْكِذَابِ (٣)

(١) الديوان ص ١٢٧

(٢) الديوان ص ٢٥٤ .

(٣) نفسه ص ٤١٧ .

والصورة الشعرية في شطر البيت الثاني أخذها الشاعر من قوله تعالى \* فصب عليهم ربك سوط عذاب \* (١) ، أما البيت الثالث فهو مقتبس من قوله تعالى : \* وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين . . . \* (٢) الآية .

وقد حرم الله قتل النفس إلا بالحق ، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى :

\* ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . . . \* (٣)

وقد استفاد عمر ورفاقه من هذا المفهوم الديني، واتخذوه معبراً لاستدراج المرأة للكف عن صدورها؛ لأن ذلك - كما يدعون - يفضي بهم إلى الموت، وهو ما لا يتفق مع تعاليم الدين .

يقول العرجي :

فَرَاخِي وَثَاقًا عَنْ فَوَازِ أَسْرَتِهِ  
وَاللَّهُ رُدِّي دَمْعَ عَيْنِي فِيهِمَا  
فَخَافِي عِقَابَ اللَّهِ فِي قَتْلِ مُسْلِمٍ  
بَرِيٍّ وَلَمْ يَقْتُلْ قَتِيلًا فَيُقْتَلُ (٤)

ويقول الحارث بن خالد المخزومي :

اتَّقِي اللَّهَ وَأَقْبِلِي الْمُدْرَمَنِيَّ  
لَا تُصُدِّي فَتَقْتُلِينِي ظُلْمًا  
وَتَجَافِي عَنْ بَعْضِ مَا كَانَ زَلًّا  
لَيْسَ قَتْلُ الْمُحِبِّ لِلْحَبِّ حِلًّا (٥)

(١) الفجر ١٣ .

(٢) المائدة ٤٥ .

(٣) الأنعام ١٥١ .

(٤) الديوان ص ١٥٥ .

(٥) الديوان ص ١٠٩ .

ويقول عمر بن أبي ربيعة :

فَلَا تَقْتُلِينِي إِنْ رَأَيْتَ صَبَابَتِي      إِلَيْكَ فَوَإِنِّي لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي (١)

وقد كان الشاعر الجاهلي يفتخر في حديثه عن مغامراته الفرامية بسيفه البتار الذي يواجه به أعداءه . غير أن هذه الفئة من الفزليين لم يتردد شمراؤها في القول بأن الله كان - أيضاً - رفيقهم في رحلاتهم إلى ديار أحبتهم .

يقول عبيد الله بن قيس الرقيات واصفاً رحلته إلى ديار إحدى فتياته، مصوراً ملاقاه من المصاعب في سبيل ذلك :

رَبِّ بَيْدٍ وَدُونَهَا      نَاضِبٌ أَوْ كَنَاضِبٍ  
وَدَرَى قَفِّ سَبَسِبٍ      لَا حِقِّ بِالسَّبَسِبِ  
قَدْ تَجَشَّمْتُ نَحْوَكُمْ      بَعْتَاقِ النَّجَائِبِ  
مَا مَعِيَ غَيْرَ صَارِمٍ      إِلَيَّ وَاللَّهُ صَاحِبِي (٢)

ويصور العرجي رحلته إلى دار إحدى النساء ، واجتيازه القفر البعيد في

الليل المظلم المخيف ، فيقول :

وَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا مَا اللَّيْلُ أَعْظَمُهُ      بَعْضُ الرِّجَالِ وَهَابُوا الْهَوْلَ فَانْتَمَسُوا  
أَنْ رَبِّ لَيْلَةٍ مَشْفَارٍ مَزْعَعَعَةٍ      طَخِيَاءَ لَيْسَ بِهَا لِلنَّسْعِ مُلْتَمَسُ (٣)  
قَدْ بُتَّ أَجْشَمٌ فِيهَا الْهَوْلَ نَحْوَكُمْ      إِذَا الرِّجَالُ لَدَى أَمْثَالِهَا نَعَسُوا  
أَجْتَازُ قَفْرًا بَعِيدَ الْقَمَرِ لَيْسَ مَعِيَ      إِلَّا الْإِلَهَ وَإِلَّا السِّيفُ وَالْفَرَسُ (٤)

(١) الديوان ص ٣٤٦ .

(٢) الديوان ص ٢٩ .

(٣) مشفار : شديدة ، مزععة : مفرطة في الشدة ، طخياء : مظلمة ، النسع : النعال المنسوج من السيور ، يريد أن الماشي لا يبصر موقع نعليه .

(٤) الديوان ص ١٥١ .

ويصف اسماعيل بن يسار تسلمه في إحدى الليالي لزيارة معشوقته ، قائلاً :  
أَخَافِتُ الْمَشِيَّ حَذَارَ الْعِيدَا      وَاللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ مَظْلِيْمٌ  
وَدُونَ مَا حَاوَلْتُ إِذْ زُرْتُكُمْ      أَخْوَكِ وَالخَالُ مَعَاً وَالْعَمُّ  
وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ لِي صَاحِبٌ      إِلَيْكُمْ وَالصَّارِمُ اللَّهُذَمُ (١)

ويلح عبيد الله بن قيس الرقيات على التساؤل عن الإثم والحرَج الذي يرتكبه من خلال بعض المواقف التي تتضمنها تجربته العاطفية ، وكأنه يطلب الفتوى الدينية في ذلك .

فهو مرة يتساءل عن الذكرى :

هَلْ بَادٌ كَارِ الْحَبِيبِ مِنْ حَرَجٍ      أَمْ هَلْ لَهُمُ الْغُؤَابِ مِنْ فَرَجٍ (٢)

ومرة عن القبلة التي تمنحها المرأة لفتاها العاشق :

حَدَّثُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ      عَاشِقٍ فِي قُبْلَةٍ حَرَجٌ (٣)

وأخرى عن بكائه أمام أطلال فتاتسه :

يَا صَاحِ هَلْ أَبْكَأكَ مَوْقِنَسَا      أَمْ هَلْ عَلَيْنَا فِي الْبُكَاءِ إِثْمٌ (٤)

ويؤكد الأحوص في أحد أبياته استمرار حبه حتى اليوم الذي تختبر فيه السرائر وذلك عقب الحشر ، فيقول :

سَتَبَقَى لَهَا فِي مَضَمِّ الْقَلْبِ وَالْحَشَا      سَرِيرَةٌ وَذِي يَوْمٍ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٥)

(١) شعر اسماعيل بن يسار ص ٥١ .

(٢) الديوان ص ٧٨ .

(٣) نفسه ص ١٦٣ .

(٤) نفسه ص ٥٥ .

(٥) الديوان ص ١١٨ .

وتمثل الصورة الفنية جانباً مهماً من عملية الإبداع الشعري عند شعراء الغزل الصريح ، حيث عمدوا إلى توظيفها عند تعبيرهم عن تجاربهم العاطفية ومواقفها المختلفة . وهم يستمدونها - أحياناً - من ثقافتهم الدينية . وذلك من خلال اطلاعهم على القرآن الكريم ، أو من واقع الحياة الإسلامية المحيطة بهم .

فعمربن أبي ربيعة يصور في قصيدة له ليلة من الليالي التي شهدت إحدى لقاءاته الغرامية ، ويتغنى بما ناله فيها من السعة الكبيرة . فيشبهها بليلة القدر التي ينص القرآن على فضلها .

يقول عمر :

رَخِصِ الْبِنَانَ مَهْفَهِفِ الْخَصْرِ	وَمُحَدِّثِ قَدَّ بَاتَ يُؤْنِسُنِي
أَعْطَافَ أَجِيدَ وَاضِحِ النَّحْرِ	مَتَضَمِّحٍ بِالسَّكِّ شِعْرِي
عَذْبًا كَطَعْمِ سُلَافَةِ الْخَمْرِ	وَيُذِيقُنِي مِنْهُ عَلَى وَجَلِّ
ظَلَّتْ عَلَيَّ كَلِيلَةَ الْقَسْدِ (١)	فِي لَيْلَةٍ كَانَتْ مَارَكَةً

وفي قصيدة أخرى يصور عمر السحر الذي يزعم لائمه أنه مصاب به، فيعبر عن ذلك بصورة قرآنية مستوحاة من قوله تعالى : " ومن شر النفاثات في العقد " (٢)

فهو يقول :

عَدَدًا يَا حَبْدًا تِلْكَ الْعُقَدُ (٣)	حَدَّثُونَا أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ
--	-----------------------------------

(١) الديوان ص ٤٨١ .

(٢) الفلق ٤

(٣) الديوان ص ٣٢٢ .

وهذه الصورة للسحر يلتقطها عبید الله بن قیس الرقیات للتعبیر عن فكرة مشابهة،  
فیقول :

لَمْ تَسْلِبِيْنِيْ عَقْلِيْ وَجَدِّكَ عَنِّيْ ضَعْفِيْ وَلَكِنْ بِالنَّفْثِ فِي الْعَقْدِ (١)

ویصور عبید الله بن قیس الرقیات بخل رقیة بوصاله ، وامتناعها عنه ، فیستمد  
لذلك صورة قرآنية یقتبسها من قوله تعالى : \* الذین هم یراءون ، ویمنعون  
الماعون \* (٢) فهو یقول :

حُلُوَّةٌ إِذَا تَكَلَّمَهَا تَمَعُ الْمَاعُونَ بِاللَّقْسِ (٣)

ویصور عمر رقیقه عتیق بالشیطان . حیث إنه زین فی عینی عمر إحدى النساء  
وذلك بالحديث عن ما تتمتع به من جمال، ثم لاهه علی عشقها .

قال عمر :

لَا تَلْمِئِيْ عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِيْ إِنْ بِيْ يَاعْتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِيْ

إِنْ بِيْ دَاخِلًا مِنَ الْحُبِّ قَسْدٌ أَبْلَى عِظَامِيْ مَكْنُونُهُ وَهَرَانِيْ

لَا تَلْمِئِيْ وَأَنْتِ زَيْنَتُهُمَا لِيْ أَنْتِ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ (٤)

وهو یقتبس هذه الصورة من القرآن الکریم من مثل قوله تعالى \* وإن زین لهم  
الشیطان أعمالهم وقال لا غالب لكم الیوم من الناس \* (٥)

(١) الديوان ص ٧٧ .

(٢) الماعون ٦ ، ٧٠ .

(٣) الديوان ١٦٠ ، اللقس من قولهم فلان لقس أي عسر .

(٤) الديوان ص ٢٩١ .

(٥) الأنفال ٤٨ .

ويقرن عمر صورة فتاته وقد أجابت دعوته لها بالتلبية بصورة الحجيج وقد انطلقوا في مناسكهم بالتلبية يرجون ثواب الله ، قائلاً :

فَأَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّى رِجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ (١)

ومعد . . فإن الفزل الصريح على الرغم ما اتسم به من الحسية التي تتنافى في جوانبها مع تعاليم الإسلام ، ومع أن شعراءهم من الشباب الحجازي الذي استهوته حياة الترف واللهو التي أوجدها الثراء الفاحش في بيئتهم ، فإن الإسلام لم يكن بعيداً عن هذه النفوس الشاعرة ، بل كان يعمتل فيها بحكم انتمائها الديني إليه ، ولنشأتها في بيئة يحكمها هذا الدين . وقد تجلى ذلك لا في تعامل الشعراء مع ألفاظه ومصطلحاته فقط ، وإنما في استخدامهم لبعض العناصر الدينية وتوظيفها في مضامين قصائدهم لخدمة الفكرة الشعرية ، وفي استفادتهم من ثقافتهم الإسلامية في تكوين بعض الصور الشعرية التي تعبر عن تجربتهم العاطفية .

---

(١) الديوان ص ٤٣١ .



"" "" الفصل الثالث "" ""

---

(((\*)) الهجاء (\*))

---

## الهجاء

ازدهر شعر الهجاء في العصر الأموي، حتى أصبح يمثل جزءاً كبيراً من التراث الشعري الذي خلفته لنا هذه الفترة التي تعتبر من أخصب الفترات في عمر الشعر العربي .

وقد ساعد الواقع السياسي والاجتماعي القائم آنذاك على وضع هذا اللون الشعري في الواجهة الأمامية للحركة الشعرية الأموية . فلقد كسبان التفسير الذي أحدثه الأمويون على نظام الخلافة يجعلها أمراً وراثياً فيهم ، بعد أن كانت تتركز قبل ذلك على نظام الشورى الذي أوجده الإسلام ، سبباً في إشعال حركة معارضة شديدة ضدهم . صم الأمويون على حضاها ، وعلى ترسيخ كيان دولتهم بكل السبل الكفيلة بتحقيق ذلك .

وقد كانت إثارة العصبية بين القبائل العربية - والتي بدأت بذورها الأولى في الحروب الداخلية في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) - إحدى سبلهم في ذلك .

غير أن السياسة لم تكن وحدها المحرك لهذه العصبية القبليّة، فاصطدام المصالح الاقتصادية فيما بين القبائل ، أمر كان له دوره الملموس في ذلك .

وقد كانت هذه العصبية المحتدّة ، التي تتخذ أحياناً الطابع الحربي ، كقيلة بالتحام الهجاء بين شعراء القبائل، انطلاقاً من الدور المرسوم

للشاعر في المجتمعات القبلية ، كلسان لقبيلته يتنطق باسمها ، ويذود عنها ، ويهجو خصومها .

كما كانت الخصومات الفردية عاملاً له أهميته في إثارة الهجاء بين الشعراء .

وذلك لضعف الوازع الديني لديهم ، ولا نعدام السلطة الرادعة لهم . فلم يكن للخلفاء الأمويين أو لولاتهم ، موقف صارم من الهجائين شبيه بذلك الموقف الذي اتخذته الخلفاء الراشدون . وإن كنا نعلم أن معاوية بن أبي سفيان نهى عبد الرحمن بن الحكم عن الهجاء (١) ، وأن الوليد بن عبد الملك أمر واليه علسي المدينة بجلد جرير وعمر بن لجأ لأنهما يقدان المحصنات في هجائهما (٢) .

غير أن الموقف العام كان سلبياً ، بل إننا نجد من الأمويين من كان يدفع الشعراء إلى الهجاء ، فقد حرض يزيد بن معاوية الأخطل التغلبي على هجاء الأنصار (٣) ، وكان بشر بن مروان يقوم بالتحريش بين الشعراء ويغري بعضهم ببعض . فهو الذي أغرى بين جرير والأخطل (٤) ، كما أنه أغرى بين جرير وسراقة البارقي (٥) .

- 
- (١) العقد الفريد ٢٨١/٥ .
  - (٢) الأغاني ٧١/٨ .
  - (٣) طبقات فحول الشعراء ٤٦٢/١ .
  - (٤) نفسه ٤٤٠/١ ، الأغاني ٣١٥/٨ .
  - (٥) الأغاني ٦٩/٨ .

غير أننا لا يمكن أن نسلم بأن العصبية القبلية والخصومات الفردية كانت وحدها في ميدان إثارة الهجاء بين الشعراء . فقد تحول الهجاء في هذه الفترة إلى لون من المنافسة الأدبية . فنقائض جرير والفرزدق لم تستمر بينهما بدافع العصبية وحب الشاعرين لقبيلتيهما ، وإنما حدث ذلك لأن هجاءهما تحول بمرور الوقت إلى مناظرات أدبية ، يحاول فيها الشاعر إبراز ثقافته التاريخية ، وإثبات مقدرته الأدبية عن طريق تفجير طاقاته الإبداعية في سبيل النيل من خصمه ، والحط من مكانته ، لا لعداء حقيقي بينهما ، وإنما لإظهار نفسه في موقف المنتصر أمام جماهير الشعراء آنذاك . التي كانت تجد في نقائضهما وسيلة للتسلية ، وملء الفراغ الذي كانت تشعر به نتيجة لهداية حركة الفتوح، وسبب الترف الذي أصاب حياتهما .

وقد عرف العصر الأموي الهجاء بأغراضه المختلفة سواء كان قبلياً ، أم شخصياً ، أم اجتماعياً ، أم سياسياً .

ومن المعلوم أن الإسلام يقف من الهجاء موقف الرفض . فالقرآن يدعو المسلمين إلى التأخي فيما بينهم ، وينهاهم عن سخرية بعضهم ببعض، ويأمرهم بترك التناهر بالألقاب لما فيه من زرع لبذور الحقد في نفوسهم ، ويثبت الفرقة فيما بينهم<sup>(١)</sup> . والرسول صلى الله عليه وسلم يهدر دم من قال شعراً مقذعاً (٢) .

(١) انظر الحجرات ١١ .

(٢) العمدة ١٧٠/٢ .

ولا يتناقض هذا مع استخدام المسلمين للهجاء في بداية الدعوة الإسلامية. فقد اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك حين وجد المشركين يستعملون الشعر كسلاح لمحاربة الإسلام والنيل من المسلمين ، فكان لابد أن يتعامل معهم بنفس السلاح ، وأن يدعو شعراء المسلمين للرد عليهم ونقض أشعارهم .

وعندما فتحت مكة انتهى دور الهجاء في الدعوة الإسلامية ، وكان موقف الخلفاء الراشدين صارماً من أولئك الشعراء الذين استسلموا لنزعتهم الجاهلية ، وحاولوا النيل من المسلمين ، والقدح في أعراضهم استجابة لغريزة عدوانية في نفوسهم .

وهكذا يتضح أن الهجاء الذي يتفق مع الدين هو ذلك الذي يكرس نفسه لخدمته ضد من يحاولون الإساءة إليه . ويدخل في ذلك كل هجاء يتناول بعض المواقف السلبية في المجتمعات الإسلامية ، انطلاقاً من هدف ديني بحت ، بعيداً عن كل الأهواء القبلية ، أو الشخصية ، أو السياسية ، أو المذهبية . وهذا ما لا نجد له في العصر الأموي إلا نماذج قليلة ، لعل أبرزها قصيدة الفرزدق في هجاء إبليس (١) التي تمثل نموذجاً فريداً قل نظيره في الهجاء عبر عصور الشعر العربي . فالواقع أن الأهواء الذاتية قد تحكمت في ما قيل من هجاء آنذاك .

---

(١) الديوان ٢١٢/٢ .

وقصيدة الهجاء الأموية إلى جانب تسكها بالمثل الجاهلية القديمة كالغض من الأ حساب والأ نساب، والتجريد من القيم التي كانت محل اعتزاز القوم من كرم وشجاعة ونخوة وشهامة . . . الخ ، وإلى جانب ما تحمله من إفحاش وإقذاع وتعرض للمحصنات بما لا يتفق أبداً مع تعاليم الإسلام ومثلته العليا . إلا أنها مع ذلك كانت تحمل كثيراً من العناصر الإسلامية الجديدة، التي استقاها الشعراء ما جاء به الإسلام من مثل جديدة أراد لها أن تحكم الحياة البشرية ، وأن تتحرك في إطارها .

وهو ما يمكن أن نسميه هجاءً دينياً ، حيث تنبعث قيمته الذاتية من خلال توظيف الشاعر للعناصر الدينية فيه ، حيث يعتمد الشاعر إلى تجريد خصه من القيام ببعض الأعمال الدينية ، أو أن يضفي عليه بعض الصفات التي ينكرها هذا الدين لتنافيها مع قيمه ومفاهيمه . والشاعر عندما يفعل ذلك إنما ينظر إلى المجتمع المسلم المحيط به ، فهو مجتمع يدين بالإسلام عقيدة ومنهج حياة ، وقد انفرست في داخله قيم هذا الدين ومفاهيمه ، فكان الخروج عليها محل سخريته ورفضه .

وقد كان جرير بن عطية الخطفي الشاعر الأموي المشهور أبرز الأسماء الشعرية التي استخدمت الهجاء الديني في ذلك العصر، فقد كانت العناصر الدينية تمثل عمده جزءاً مهماً من أفكاره الشعرية في نقائضه ضد خصميه

اللدودين الأخطل والفرزدق . فقد استغل الجانب الديني في شخصيتهما ليتناولهما من خلاله . إن كان الأخطل يدين بالنصرانية ، أما الفرزدق فقد عرف عنه رقة دينه وسجونه ، وهو ما تدل عليه الروايات التاريخية (١) ، ويبدل عليه شعره . (٢)

ولعل أبرز ملامح الهجاء الديني يتمثل في الجوانب التالية :

أولاً : التعبير بالنصرانية ، والسخرية من طقوسها الدينية ، ومعتقدات أفرادها ، وما يستحلونه من محرمات إسلامية كسرب الخمر وأكل لحم الخنزير . وقد كانت تلك أهم وسائل جرير في هجائه للأخطل ، وكانت مصدر تفوق له . إن لا يستطيع الأخطل النصراني أن ينقض ما يقوله جرير ويرد عليه من هذا الجانب ؛ لأن الإسلام هو دين الخليفة والدولة ودين الغالبية العظمى من أفراد المجتمع ، فهو لا يستطيع التعرض له . وهذا ما أراده عمر بن عبد العزيز في إجابته لسليمان بن عبد الملك الذي سأله عن رأيه في جرير والأخطل فقال : " إن الأخطل ضيق عليه كفره القول ، وإن جريراً وسع عليه إسلامه قوله " (٣)

وقد كان جرير يدرك ذلك جيداً . فهو يذكر في رواية عنه أن ما أعانه على الأخطل كبر سن الأخير وخبث دينه . (٤)

(١) انظر الأغاني ٢١ / ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٢٢ .

(٢) انظر الديوان ١ / ٣٤٤ .

(٣) الأغاني ٨ / ٣٠٦ .

(٤) الموشح ص ٢٠٩ .

فهو يعير الأخطل وقومه بالصليب - رمز النصرانية - ويتممهم بعبادته

قائلاً :

- |                                  |                               |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) وأدعو قریشاً وأنصارها        | وأدعو الآله وتدعو الصليب      |
| (٢) شهباء ذات مناكب جهورا        | أفبالصليب ومارسرجس تتقي       |
| بالرقتين إلى جنوب الماخير        | نبئت تغلب يعبدون صليبيهم      |
| (٣) بعد الصليب وما لهم من ناصر   | يستنصرون بمارسرجس وابنه       |
| (٤) كئائب قيس كالمهنساء الجرب    | ستعلم ما يفني الصليب إذا عدت  |
| فسوف ترى أي الفريقين أروح        | فخرت بقيس وافتخرت بتغلب       |
| (٥) فخابوا وأما المسلمون فأفلحوا | فأما النصارى العابدون صليبيهم |
| (٦) حتى يذوق بكأس من هاجاني      | ليس ابن عابدة الصليب بمنته    |

فهو في الأبيات السابقة يهجو الأخطل والتغلبين بعبادة الصليب ومارسرجس ،  
ويصور الحرب الدائرة بين قيس وتغلب وكأنها في حقيقتها ليست حرب عصبية ،  
ولنا هي حرب دينية بين المسلمين والنصارى ، وكأنه يريد تحريض الرأي العام  
المسلم ضدهم .

(١) الديوان ٢٦٤/١

(٢) نفسه ٢٣٠/١

(٣) نفسه ٣١٢/١

(٤) نفسه ٦٣٤/٢

(٥) نفسه ٨٣٨/٢

(٦) نفسه ١٠١٣/٢



كما يعيرهم بكفرهم ، واستمرارهم على نصرانيتهم ، رغم إسلام أغلبية العرب ،  
ويعمد إلى المقارنة بينهم وبين المسلمين، فيقول :

قبح الإلهُ وجوهَ تغليبَ كَلِّمَا	شَبَحَ الحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَ
عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمَحْمَدٍ	وَجِبْرَائِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالًا (١)
وَمَا رَضِيْتُمْ لِأَجْسَادٍ تُحْرَقُهُمْ	فِي النَّارِ إِنْ حَرَّقَتْ أَرْوَاحَهُمْ سَقْرُ (٢)
رِجْسٌ يَكُونُ إِذَا صَلَّوْا أَنْ أَنَّهُمْ	قَرَعِ النَّوَاقِيسِ لَا يَدْرُونَ مَا السَّوْرُ (٣)
تَلَقَى الْأَخْيَطَلُ فِي رَكْبٍ مَطَارُفُهُمْ	بُرُقُ الْعِبَاءِ وَمَا حَجَّوْا وَمَا اعْتَمَرُوا (٤)
مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ دِينَهُمْ	وَالطَّيْبَانَ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ (٥)
جَاءَ الرَّسُولُ بِدِينِ الْحَقِّ فَاثْتَكَنُوا	وَهَلْ يُضِيرُ رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَفَرُوا (٥)
يَنَامُ التَّغْلِبِيُّ وَمَا يَصَلِّيُّنِي	وَيُضْحِي غَيْرَ مُرْتَفِعِ الْمَسَاجِدِ (٦)
وَمَا قَرَأَ الْمَفْصَّلَ تَغْلِبِي	وَلَا مَسَّ الطَّهَوْرَ وَلَا السَّوَاكَا
وَلَا عَرَفُوا مَوَاقِفَ يَوْمِ جُمُعِ	وَلَا حَوْضَ السَّقَايَةِ وَالْأَرَكَ (٧)

(١) الديوان ٥٢/١ ، الشيخ : رفع الأيدي بالدعاء ، والإهلال : رفع الصوت .

(٢) نفسه ١٥٣/١ .

(٣) نفسه ١٥٧/١ .

(٤) نفسه ١٥٨/١ .

(٥) نفسه ١٥٩/١ .

(٦) نفسه ٢٨٦/١ .

(٧) نفسه ٦٠٠/٢ ، الأراك : أراك عرفات .

لَعَنَ الْإِلَهَ مِنَ الصَّلِيبِ إِلَهُهُ      وَاللَّابِسِينَ بَرَانِيَسَ الرَّهْبَانِ

.....

تَفَشَى الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ وَفَاتَتَا      وَالتَّغْلِبِيُّ جَنَازَةَ الشَّيْطَانِ

يُعْطَى كِتَابَ حِسَابِهِ بِشِمَالِهِ      وَكُنَانُنَا بِأَكْفُنَا الْأَيْمَانِ

أَتُصَدَّقُونَ بِمَارَسَرِجَمَ وَأَبْنِيهِ      وَتَكْذِبُونَ مُحَمَّدَ الْفُرْقَانِ

مَا فِي دِيَارِ مَقَامِ تَغْلِبَ مَسْجِدُ      وَتَرَى مَكَاسِرَ حَنْتَمَ وَدِ نَّانِ (١)

ففي الأبيات السابقة يهجو جرير التغلبيين بكفرهم ، وتكذيبهم بالرسول صلى

الله عليه وسلم وما جاء به من دين الحق ، واتباعهم لسبيل الضلال باستمرارهم

على نصرانيتهم .

ويسخر من طقوسهم الدينية الخاصة بهم مثل قرع النواقيس ، واتخاذ

الصلبان .

ويعمد إلى المقارنة بينهم وبين المسلمين ، فينفي عنهم القيام بالأعمال

الدينية الإسلامية ، فهم لا يقرأون القرآن ، ولا يؤدون الشعائر الدينية التي

فرضها الله على المسلمين من صلاة وحج وعمره .

ويستمر جرير في مقارنته ، فلا يقف عند تصوير حياتهم الدنيوية ، وما فيها

من التعارض مع الحياة الإسلامية ، بل يشير إلى مفارقتهم للمسلمين في الآخرة

فهم مختلفون عنهم في المصير ، إذ هم مع الكافرين يستلمون كتاب حسابهم

(١) الديوان ١٠١٥/٢ .

بشمالهم ، وتكون نهايتهم في سقر التي تحرق بناها أجسادهم . وهو يهدف  
بذلك إلى إشعارهم بغريبتهم في المجتمع الإسلامي ، وتبذهم منه .  
ويمضي جرير في هجائه للأخطل وقومه ، فيعيرهم بشرب الخمر ، ويصور  
ما يفعلونه في ظل نشوتهم بها ، فهم لا يمتنعون عن انتهاك المحارم .

يقول جرير :

- (١) المُرْسِينِ إِذَا انْتَشَوْا بِنَاتِهِمْ      وَالِدَاعِبِينَ إِجَارَةً وَسُؤَالًا  
(٢) أَبَا مَالِكٍ مَالَتْ بِرَأْسِكَ نَشْوَةٌ      وَبِالبِشْرِ قَتْلَى لَمْ تُطَهَّرْ شِيَابُهَا  
(٣) شَرِبْتَ الخَمْرَ بَعْدَ أَبِي غُوَيْثٍ      فَلَا نَعِمْتَ لَكَ النَّشْوَاتُ بِأَلَا

كما يهجوهم بأكلهم لحم الخنازير التي حرمها الاسلام ، فيقول :

- تَلَقَى الأَخِيطَلُ فِي رَكْبٍ مَطَارِفُهُمْ      بُرُقَ العَبَاءِ وَمَا حَجَّوْا وَمَا اعْتَرَوْا  
الضاحكين إلى الخنزير شهوته      يَا قُبْحَتْ تِلْكَ أَفْوَاهُ إِذَا كَشَرُوا  
والمُقرِّعِينَ عَلَى الخِزِيرِ ميسرهم      بئس الجزور وبئس القومُ إِذْ يسروا  
فإنك يا خنزير تغلب إن تقل      ربيعةٌ وَزَنُّ مِنْ تَمِيمٍ تُكذِّبِ  
أبا مالكٍ للحقِّ فضلٌ عليكم      فكلُّ من خَنَانِيصِ الكُنَاسَةِ وَاشْرَبِ  
لَعَنَ الإلهُ مِنَ الصَّلِيبِ إِلَهُهُ      وَاللابِسينَ بِرَأْسِ الرَّهْبَانِ

(١) الديوان ٥٢/١ ، يريد الداعبين بين سائل وأجير .

(٢) نفسه ٦٢٤/٢ .

(٣) نفسه ٧٥٠/٢ .

(٤) نفسه ١٥٨/١ .

(٥) نفسه ٣٠٦/١ ، الخنانيص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير الصغير .

والذابحين إذا تقارب فصحهم • شهب الجلود خسيصة الأثان  
من كل ساجي الطرف أعصل نابه • في كل قائمة له ظلفان (١)

ويتناول جرير المرأة التغلبية فيها جوها من هذا الجانب الديني ، فيصورها  
مخمورة ، تفعل عند نشوتها ما تحرمه الأديان المساوية ، ويصور - أيضاً -  
إقبالها الشديد على لحوم الخنازير وولعها بها ، فيقول :

أبناؤهن أقل قوم حرمة • عند الشراب ومالهن عقول (٢)  
من كل مخضرة الأنياب قمرها • لحم الخنازير يجري فوقه السكر  
نسوان تغلب لا حلم ولا حسب • ولا جمال ولا دين ولا خفر (٣)  
لقى الأخيطل أمه مخمورة • قبحاً لذلك شارياً مخمورا  
لم يجرم مذ خلقت على أنيابها • ماء السواك ولم تمس طهورا (٤)  
تسوف التغلبية وهي سكرى • قفا الخنزير تحسبه غزلا  
من المتولجات على النشأوى • ولا تلج الخدور ولا الحجالا  
تظل الخمر تخلج أخدمها • وتشكو في قوائمها أمذالا (٥)  
إذا جردت لاح الصليب على • ومن جلدها زهم الخنازير ينفج  
ولم تمسح البيت العتيق أكفها • ولكن بقربان الصليب تمسح  
يقئن صبابت من الخمر فوقها • صهير خنازير السواك المسلح (٦)

(١) الديوان ١٠١٥/٢ ، الفصح : يعني عيد الفصح . وشهب الجلود : الخنازير  
الشهب ، الأعصل : الأعوج . الساجي : الساكن .

(٢) نفسه ١٠٣/١

(٣) نفسه ١٥٩/١ ، قمرها : عظم جوفها .

(٤) نفسه ٢٣٢/١ .

(٥) نفسه ٧٥٠/٢ ، الامذال : الفترة من الخمر . وتخلج : تلوى .

(٦) نفسه ٨٤٠/٢ ، الزهم : الشحم والودك ، الصبابة : البقية . الصهير : المصهور

المداب المنضج من حرارة الشمس .

ويتخذ جرير من الجزية التي يدفعها النصارى وسيلة للتعبير بهم ، وللدلالة على حقارتهم ، ووضاعة شأنهم . ويجعلها مصدر نزل لهم . فالتفليبي ينتظر هلال كل شهر ليسرع بتقديم الجزية المفروضة عليه، والتي لولاها لكان التفليبيون وأراضيهم فيثاً يقسم بين المسلمين .

يقول جرير :

(١) في المسلمين فكنتم أنفالا	لولا الجزى قيس السواد وتفلب
(٢) بجزى الخليفة والذليل ذليل	فارقتم سبل النبوة فاخضعوا
(٣) وأخساً بمنزلة الذليل الصاغر	أد الجزى ودع الفخار بتفلسب
(٤) وأد إلى خليفتنا جزاكما	فكفره باليدين إذا التقينا
(٥) تؤدى جزى النيروز خضعا رقابها	عجبت لفخر التفليبي وتفلسب
(٦) بجزيته وينتظر الهلالا	ويسمى التفليبي إذا اجتينا
(٧) عليك وما تلقى من الذل أبرح	لنا كل عام جزية تتقي بها
(٨) هلال الجزى واستعجلوا بالدرهم	رويدكم سح الصليب إذا دننا

ولأن الفرزدق كان يناصر الأخطل ضده ، فإن جريراً يتهمه وقومه بني جاشع بالنصرانية، ويدعوهم للقيام بما يفعله النصارى بأن يحجوا للصليب ، ويأكلوا الخنزير ، قائلًا :

- 
- (١) الديوان ٦٥/١ ، الجزى : جمع جزية . الأنفال : الفنائم .  
(٢) نفسه ٠٩٥/١  
(٣) نفسه ٠٣١٦/١  
(٤) نفسه ٠٦٠١/٢  
(٥) نفسه ٠٦٢٥/٢  
(٦) نفسه ٠٧٥٠/٢  
(٧) نفسه ٠٨٣٨/٢  
(٨) نفسه ٠١٠٠٣/٢

رَهْطُ الْفَرَزْدَقِ مِنْ نَصَارَى تَغْلِبُ      أَوْ يَدَّعِي كَذِباً دَعَاوَةَ زُورٍ  
حُجُوجُ الصَّلِيبِ وَقَرَّبُوا قُرْبَانَكُمْ      وَخَذُوا نَصِيكَكُمْ مِنَ الْخِزْيِيرِ (١)

ويقول أيضاً :

وَقَدْ لَحِقَ الْفَرَزْدَقُ بِالنَّصَارَى      لِيَنْصُرَهُمْ وَلَيْسَ بِهِ انْتِصَارُ  
وَيَسْجُدُ لِلصَّلِيبِ مَعَ النَّصَارَى      وَأَفْلَجَ سَهْمَنَا وَلَنَا الْخِيَارُ (٢)

ولم يكن جرير وحده الذي استخدم النصرانية وطقوسها الدينية مجالاً لهجائه بين شعراء العصر الأموي ، فالفرزدق - أيضاً - يمدد إلى ذلك .

ففي هجائه للطرماح بن حكيم يعمير قبيلة طيء بنصرانيتها ، ويتهمها بالنفاق في إسلامها ، فهي لم تفعل ذلك عن إيمان وقناعة منها به ، وإنما خوفاً من القتل ، قائلاً :

وَلَوْلَا حِذَارُ أَنْ تَقْتَلَ طِيَّيًّا      لَمَا سَجَدْتُ لِلهِ يَوْمًا وَصَلَّيْتُ  
نَصَارَى وَأَنْهَا طِيَّوْنَ جَرِيَّةً      سَرَاعًا بِهَا جُمْرًا إِذَا هِيَ أَهْلَتْ

.....

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ يُوَدِّي زَكَاتَهُ      إِلَيْنَا وَمُعْطٍ جَزِيَّةً حِينَ حَلَّتِ (٣)

وعندما ولي خالد بن عبدالله القسري إمارة العراق هجاه الفرزدق ، وعيره بأمة النصرانية ، واتهمه بالكفر إتياعاً لها ، واتخذ من حادثة هدمه لمناشر المساجد سبباً للهجوم عليه ، فهو يبني لأمة كنيسة تعبد فيها الصليب ، ويهدم منائر مساجد المسلمين ، متمجباً من توليته العراق وهو في تلك الصورة ، قائلاً :

(١) الديوان ٨٥٨/٢ .  
(٢) نفسه ١٣٥/١ .  
(٣) نفسه ١١٤/١ .

ألا قطع الرحمنُ ظهراً مطيَّبَةً      أتنَّنا تمطَّى من دِمَشقَ بخالدرِ  
وكيف يؤمُّ المسلمِينِ وأُمَّهُ      تدينُ بأنَّ اللهَ ليسَ بواحدِ  
بنى بيعةً فيها الصَّليبُ لأُمَّه      وهدمَ من كفرٍ منارَ المساجدِ (١)  
ويهجو عبد الله بن الزبير الأَسدي حجار بن أبحر العجلي، فيتهمه وقومه معه  
بالنصرانية ، فيقول :

لسليلِ النَّصارى سُدَّتْ عِجْلاً ولم تَكُنْ      لذلكَ أَهْلاً أن تسودَ بني عِجْلِ  
ولكنهمُ كانوا لثاماً فسُدَّتْهمُ —      ومثلُكَ من سادَ اللثامَ بلا عَقْلِ  
وكيف بعِجْلِ إن دَنَا الفِصْحُ واعتدتْ      عليكَ بنو عِجْلِ ومرجلُكمُ يغلِبِي  
وعندَكَ قسَّيسُ النَّصارى وِصْلُهُمْ —      وعانيةٌ صهباءُ مثلُ جَنَى النَّحْلِ (٢)

ويقول - أيضاً - عندما تهدد به ناس من بني عجل لهجائه لهم :

تهدِّدني عِجْلٌ وما خلتُ أَنسِي      خلاةً لعِجْلِ والصَّليبُ لها بَعْلٌ (٣)

وفي هجائه لبني عجل يعرض الأبيرد الرياحي بنصرانيتها ، فهم لا يحيون بتحية  
المسلمين عند لقاءهم ، فيقول :

بنو عجل أذلُّ من المَطَايَا      ومن لَحْمِ الجَزورِ على الثُّمامِ  
تَحِيًّا المسلمونَ إذا تلاقَوْا      وعِجْلٌ ما تَحِيًّا بالسَّلامِ (٤)

(١) الأغانى ٢١/٣١٣ .

(٢) الديوان ص ١٠٩ ، عانية : نسبة إلى عانة قرية على الفرات تنسب إليها الخمر  
صهباء : ذات صبغة (بالضم) وهي حمرة أو شقرة .

(٣) نفسه ص ١٠٣ ، الخلى : الرطب من اللبث واحده خلاة . بعل : اسم صنم  
لقوم الياس النبي ، يريد أنهم يعبدون الصليب .

(٤) الأغانى ١٣/١٣١ ، الثمام : بنت خفيف . ويقصد أنهم كالشريحة الصفيرة  
يتحملها هذا النبت الضعيف ، وذلك لحقارته .



ويعير ذو الرمة قوم امرئ القيس بأصلهم النصراني ، قائلاً :  
ولكنما أصلُ امرئ القيسِ معشرٌ يحِلُّ لهم لحمُ الخنازيرِ والخمرُ (١)  
وقد يتهم الشاعر مهجويه بالمجوسية ، وهي ديانة وثنية كانت منتشرة في بلاد فارس قبل الإسلام .

فهذا كعب الأشقري يتهم زياداً الأعجم بأنه مجوسي يستحل ما يستحلونه  
قائلاً :

وأقلَفَ صلّى بعدَ ما . . . أمّةً يرى ذاكَ في دينِ المجوسِ حلالاً (٢)  
والفرزدق يتهم أزد بصرى - في قصيدة يهجوها المهلب بن أبي صفرة - بأنهم  
مجوس لا يسجدون لله وإنما يسجدون للنار ، قائلاً :

وما لله تسجدُ أزدُ بصرى ولكن يسجدون بكلِّ نارٍ (٣)

ثانياً : يعمد الشعراء إلى تجريد من يهجونهم من القيام ببعض الأعمال الدينية التي يوجب عليهم انتماؤهم الإسلامي أدياءها ، أو يصفونهم بارتكاب المعاصي التي نهى الإسلام عنها كشرب الخمر والزنا ، أو يضيفون إليهم بعض الخصال التي تتنافى مع الدين كالرياء والنفاق والنميمة وما إليها .

وهذا اللون من الهجاء إنما يوجه في الغالب للمسلمين . وقد كان جرير في هجائه للفرزدق يتناوله من جانب سلوكه الديني ، فقد كان مشهوراً عن الأخير رقة دينه وفسقه ؛ ولهذا فقد عبره جرير بذلك .

(١) الديوان ص ٣٠٥ .

(٢) شعراء أمويون ٤١٥/٢ .

(٣) الديوان ٢٠٨/١ .



يقول جرير :

- إن الفرزدقَ أخزتهُ مثالبُهُ      عبدُ النهارِ وزاني الليلِ دبابُ (١)  
أمسى الفرزدقُ يا نوارُ كأنَّهُ      قرُّ يَحْتَّ على الزناءِ قُرودا  
ما كانَ يشهدُ في المِجامعِ مشهداً      فيه صلاةُ ذوي التقي مشهُودا (٢)  
أوى شيخُ القُرودِ مع الزواني      ليختارَ الحرامَ على الحلالِ  
سيخزيكَ الخليفةُ ثم تُخزي      بعزةِ ذي التكرمِ والجلالِ  
وفى ما خورَ أعينَ بتِّ تزني      وتمهرُ ما كدحت من السُّؤالِ (٣)  
إن الفرزدقَ حينَ يدخلُ مسجداً      رجسٌ فليس طهورُهُ بطهورِ  
إن الفرزدقَ لا يُيالي محرماً      ودمُ الهدىِّ بأذرعٍ ونُحُورِ (٤)  
وقائلةٌ ما للفرزدقِ لا يُرى      على السنِّ يستغني ولا يتعففُ (٥)

ففي الأبيات السابقة يصور لنا جرير فسق الفرزدق . فهو زان يستحل الحرام دون أن يردعه عن ذلك كبر سن أو قداسة موقف . إذ يستبيح ذلك في الحج دون احترام لهذه الشعيرة الدينية . متهماً إياه بأنه لا يشهد الصلاة مع المسلمين فهو مشغول عنها باختلاعه مع الزواني .

- 
- (١) الديوان ١/١٩٤ .  
(٢) نفسه ١/٣٤٠ .  
(٣) نفسه ٢/٥٤٩ .  
(٤) نفسه ٢/٨٥٧ .  
(٥) نفسه ٢/٩٣٢ .

كما يهجو بشرب الخمر، الذي هو امتداد طبيعي لمجونه ، فيقول :

- أما يدعُ الزنَاءَ أبو فِرَاسٍ      ولا شربَ الخبيثِ من الشَّرَابِ (١)  
وتبيتُ تشربُ عند كلِّ مقصَصٍ      خضلِ الأناملِ واكفِ المعصارِ  
لا تفخرنَّ فإن دينَ مجاشعٍ      دينُ المجوسِ تطوفَ حَوْلَ دُورِ (٢)  
تعلُّ بهِ شربُ الحوانيتِ رائِحاً      إذا حركتُ أوتارُ صنجٍ أناملُهُ (٣)

ويتهمه بالمتاجرة بالدين ، فهو لا يمتنع عن اعتناق النصرانية مقابل ثمن بخس .

يقول جرير :

- ألا قبَحَ اللهُ الفرزدقَ كَلِّمَا      أهلٌ مصلٌّ للصلاةِ وكبِّرًا  
فلا يقربنَّ المروتينِ ولا الصَّفَا      ولا مسجدَ اللهِ الحرامِ المُطَهَّرَا  
فإنك لو تُعطى الفرزدقَ دِرْهَمًا      على دينِ نصرانيةٍ لتنصَّـرَا (٤)

ويهجو جرير تيمًا ، فيتهم نساءها بقله الاحتفال بالفسل من الجنابة كما يأمر الشرع ،

فيقول :

- وما اغتسلتُ تيميةً من جنابيةٍ      ولا غسَلتُ ميتاً بماءٍ ولا سَدْرِ (٥)

ويهجو الحزين الديلي بنى كعبين خزاعة فينفى عنهم تدارسهم لكتاب الله كما يفعل المسلمون ، ويصفهم بالنهم للطعام حتى انهم لا يصومون الفريضة ، قائلاً :

- 
- (١) الديوان ٧٦٤/٢ .  
(٢) نفسه ٨٩٩/٢ .  
(٣) نفسه ٩٧٢/٢ .  
(٤) نفسه ٤٨١/٢ .  
(٥) نفسه ٥٩٨/٢ .

- لا بارك الله في كعبٍ ومجلسِهِمْ      ما إذا تجمَّع من لؤمٍ ومن ضَّرعِ  
لا يدُرُّونَ كِتَابَ اللهِ بَيْنَهُمْ      ولا يصومونَ من حِرْصٍ على الشبَعِ (١)
- وحين يهجو زياد الأعجم بني يشكر ، يجعلهم تارة غير طهر ، فملاستهم تستوجب  
التطهر لا أنهم مفسدون للطهارة ، فيقول :
- إذا يشكركيُّ منَّ ثوبك ثوبُهُ      فلا تذكرنَّ اللهَ حتَّى تطهِّرا (٢)
- ويتهمهم تارة بعدم الشكر لله ، فيقول :
- ويشكركمُّ تشكرُ من ضامها      ويشكركمُّ للهِ لا تشكركمُّ (٣)
- ويهجو زياد - ذاته - جرماً ، فيعيرها بالحرص على المعصية ، فهي تشرب الخمر  
بعد أن نزل فيه التحريم ، وكانت لا تشربه أيام تحليله ، قائلاً :
- تكلِّفني سوقَ الكرمِ جرمٌ      وما جرمٌ وما ذاكَ السوقُ  
وما شربتهُ جرمٌ وهو جِلٌّ      ولا غالتَ بهُ مذُ كانَ سوقُ  
فأولى شَمَّ أولى شَمَّ أولى      ثلاثاً يا ابنَ جرمٍ أن تذوقُوا  
ولما نزلَ التحريمُ فيها      إذا الجرميُّ عنها لا يُفِيقُ (٤)
- ويعير عبد الله بن الزبير الأسدي محمد بن عمير بشربه للخمر على كبر سنه ، ومخالفته  
للمسلمين بفعلته تلك ، قائلاً :

(١) ديوان أشعار الموالى ١٥٩/١ .  
(٢) شعر زياد الأعجم ص ٦٩ .  
(٣) نفسه ص ٦٧ .  
(٤) الديوان ص ٨٦ .

ولولا أبو مروان لا قيت وابسلاً من السوطِ يُنسيكَ الرحيقَ المعتقاً  
أحينَ علاكَ الشيبُ أصبحتَ عاهراً وقلتَ أسقني الصهباءَ صرفاً مروّقا  
تركتَ شرابَ المسلمين ودينهم وصاحبتَ وغداً من فزارةَ أزرقا  
تبيتانِ من شربِ المدامةِ كالذي أتيحَ له حبلٌ فأضحى مخنقاً (١)  
ويتهم الظرماع بن حكيم تميماً بعدم التسمية على ذبايحها كما يوجب الإسلام ، فهي  
بذلك تخالف تعاليمه ، فهو يقول :

ذبحنا فسمينا فحلّ ذبيحنا وما ذبحت يوماً تميمٌ فسمتِ (٢)  
ويهجون ذوالرمة نساء بني امرئ القيس بتعمدهن إضاعة الصلوات وعدم أدائها ،  
فيقول :

ألا لعن الإله بذاتِ غسلي ومراة ما حاد الليلُ النهارا  
نساء بني امرئ القيس اللواتي كسون وجوههم حُمَّاً وقارا  
أضعن مواقتَ الصلواتِ عمداً وحالغن المشاعلَ والجِرارا (٣)  
وقد يصف الشاعر مهجويه ببعض الخصال التي تتنافى مع الدين كالرياء والنفاق  
والغيبة والنميمة .

فهذا يحي بن نوفل يتهم بلال بن أبي بردة بالنفاق ، فهو يدعي الخشوع ، وتلاوة  
القرآن ، ويرسم علامة على جبهته للدلالة على كثرة السجود . وذلك بهدف التمويه  
لما يدبرله من خيانة ، فيقول :

---

(١) الديوان ص ٩٩ ، أزرق : أي أزرق العين ، كناية عن العدو .  
(٢) الديوان ص ٦٥ .  
(٣) الديوان ص ٢٨١ ، المشعل : شيء يتخذه أهل البادية من آدم ، ويحرز بعضه  
إلى بعض كالنطع ، ثم يشد إلى أربع قوائم من خشب ، فيصير كالحوض ينتبذ فيه .

أَبْلَالُ إِنِّي رَابِنِي مِنْ شَأْنِكُمْ      قَوْلُ تَزِينِهِ وَفَعْلُ مَنْكَرُ  
مَالِي أَرَاكَ إِذَا أَرَدْتَ خِيَانَةَ      جَعَلَ السُّجُودَ بَحْرًا وَجْهَكَ يَظْهَرُ  
مَتَخَشِّمًا طَبْنًا لِكُلِّ عَظِيمَةٍ      تَتْلُو الْقُرْآنَ وَأَنْتَ نَائِبٌ أَغْبَرُ (١)

ويهجو حمزة بن بيض رجلاً ناسكاً استودع ودیعة فخانها ، فيسخر - أيضاً -  
من تلك العلامة التي ارتسمت على جبهته ، والتي استفلها لخداع الناس كـي  
يثقوا به ، فيقول محذراً منه :

أَلَا يَفْرُكُ نَوْسَجَشْدَةً      يَظَلُّ بِهَا دَائِبًا يَخْدَعُ  
كَأَنَّ بِجَبْهَتِهِ جُلْبَانَةَ      يَسْبِحُ طَوْرًا وَيَسْتَرْجِعُ (٢)  
وَمَا لِلتَّقَى لَزِمَتْ وَجْهَهُ      وَلَكِنْ لِيَفْتَرِ مَسْتَوْدِعُ (٣)

ويكرر هذا المعنى الهجائي عند موسى شهوات إن يقول هاجياً :

لَا تَفْرُكُ سَجْدَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ حَذَارٍ مِنْهَا حَذَارٍ

إِنَّهَا سَجْدَةٌ بِهَا يَخْدَعُ النَّاسَ عَلَيْهَا مِنْ سَجْدَةٍ بِالذَّبَارِ (٤)

وفي هجاء حارثة بن بدر لأنس بن زعيم يتهمه باغتيال اصدقائه ، وبالبعد عن التقوى ،

فهو يتسلل في دجى الليل إلى نساء قومه ، فهو يقول :

بَيْتٌ بَطِينًا مِنْ لِحُومِ صَدِيقِهِ      خَمِيصًا مِنَ التَّقْوَى وَمِنْ طَلَبِ الْحَمْدِ  
يَنَامُ إِذَا مَا اللَّيْلُ جُنَّ ظِلَامُهُ      وَيَسْرِي إِلَى حَاجَاتِهِ نَوْمَةَ الْفَهْدِ  
يُرَاعِي عَذَارَى قَوْمِهِ كَمَا دَجَا      لَهُ اللَّيْلُ وَالسَّوَاتُ كَالْأَسَدِ الْيُورِدِ

(١) الشعر والشعراء ٧٤٧/٢ ، الطبن : الفطن الحائق العالم بكل شيء ؛

(٢) الجلبة : قشرة رقيقة تعلو الجرح عند البرء ، شبه بها أثر السجود .

(٣) الأغاني ٢٠٧/١٦ .

(٤) ديوان أشعار الموالى ٢٥٢/١ .

جَرِيئًا عَلَى أَكْلِ الْحَرَامِ وَفَعْلِهِ (١)  
جَبَانًا عَنِ الْأَقْرَانِ مَعْتَرِمِ الْكَرْبِ (١)  
وفي هجاء رجل من قوم حارثة بن بدر إياه ، يصفه بالنفاق ، فهو يؤدي الصلاة مع  
كفره ، ويعبیره بالركض خلف البغايا ، والانغماس في لعب القمار اللذين صارا حظه من  
الدنيا ، قائلاً :

ألم تر أن حارثة بن بـدـر  
يُصَلِّي وهو أَكْفَرُ من حِمَارِ  
ألم تر أن للفتيان حِطًّا  
وحِطُّكَ في البغايا والقمارِ (٢)  
ويهجو العرجي محمد بن هشام والي مكة فيتهمه بالرياء ، ويدعو المسلمين إلى  
مقاطعة الحج ، وعدم استهلاك نفقاتهم فيه ، لأن حج ذلك العام مشكوك في  
قبوله ، فإمامهم فيه ليس إلا مرأياً يقطع نهاره مدعياً الصيام ، أما في الليل فهو  
ماجن يتطوف طلباً للمتعة المبتذلة .

يقول العرجي :

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطناً  
دعوا الحجَّ لا تستهلكوا نفقاتكم  
وكيف يُزكى حجٌّ من لم يكن له  
يظلُّ يرأى بالصيام نهاره  
ومن جاء من عمقٍ وثقب السُّلِّ  
فما حجُّ هذا العام بالمتقبلِ  
إمامٌ لدى تجميره غير دُلِّدِ (٣)  
ويلبس في الظلماء سِطِّي قرنفُلِ (٤)

(١) شعراء أمويون ٢/٣٤٣ .

(٢) الكامل ٣/٣٠٨ ، حمار : رجل هلك من كفار عاد .

(٣) دلدل : الدلدل : دابة تشبه القنفذ تنتفض فترمي بشوكها ، وكان

ابن هشام ينبزه ، قيل : لأنه ماجن ، فهو يتطوف في الليل طلباً للمتعة  
المبتذلة ، فشبه بهذا الحيوان الذي لا يخرج من جحره إلا ليلاً .

(٤) الديوان ص ١٨٩ .

ويتناول ذو الرمة بهجائه جماعة من المنافقين ممن يظهرون التدين وهم على خلاف ذلك، فيقول :

أما النبيذُ فلا يذعركُ شارِبُهُ      واحفظُ ثيابَكَ ممن يشربُ الماءَ  
قومُ يوارونَ عما في صدرِهِمْ      حتى إذا استمكنوا كانوا هم الداءُ  
مشمريينَ إلى أنصافِ سوقِهِمْ      هم اللصوصُ وهم يدعونَ قرأءًا (١)

وفي قصيدة له يذكر فيها المغتاب والمرائي ، يتناول عبيد الله بن قيس الرقيات هاتين الشخصيتين الشاذتين في سلوكهما الاجتماعي من وجهة نظر دينية . فهو يتهم المرائي بمخادعة الله في فعله ذلك ، إذ يأمر الناس بالبر وينسى نفسه .

يقول ابن الرقيات :

رَبِّ زَارِعِي لَمْ يَرْمَنِني      عشرةٌ وهو ممأسٌ كذابُ  
خادَعَ اللهُ حينَ حَلَّ بِهوَ الشَّيْبُ فأضحى وسانَ منه الشبابُ  
يأمرُ الناسَ أنْ يبرؤا وينسى      وعليهِ من كبرَةٍ جليسابُ (٢)

ويحذر المغتاب من مصيره في الآخرة عند الحساب ، وينفي عنه التقى ، فيقول :

أبيها المستحلُّ لحمي كُلُّهُ      من ورائي ومن وراكَ الحِسابُ  
استفيقنُ فليسَ عندَكَ علمٌ      لا تنامنُ أبيها المُقتابُ  
تختلُّ الناسَ بالكتابِ فهلاً      حينَ تفتابُنِي نهاكَ اليَتَابُ  
لست بالمُخَيَّبِ التَّقِيَّ ولا المحسبُ الذي لا تدمُّهُ الأنسابُ

(١) الديوان ص ٧٤١ .

(٢) الديوان ص ٨٥ .

إِنِّي وَالَّتِي رَمَتْ بِكَ كُرْهُاً      ساقطاً خُفْياً عَلَيْهِ التُّرَابُ  
لِتَلْمُونَ غَيْباً رَأْيَكُمْ فِينَا      حِينَ تَبْقَى بَعْرُضِيكَ الْأَنْدَابُ (١)  
وينتقد زياد الأعجم عراك بن محمد الفقيه الذي قدم على عمر بن عبيد بفارس  
فكان يحدثه بحديث الفقهاء .

يقول زياد :

يَحْدِثُنَا أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ أَتَتْ      وَجَاءَ عِرَاكٌ يَبْتَغِي الْمَالَ مِنْ مِصْرٍ  
فَكَمْ بَيْنَ بَابِ النَّوْبِ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً      وَإِيوَانَ كِسْرَى مِنْ فَلَاحٍ وَمِنْ قَصْرِ (٢)  
وقد شهد العصر الأموي نشأة بعض الفرق المذهبية الإسلامية ، وكانت تقوم بين هذه  
الفرق مناقشات وخصومات حول فكرها الديني .

ولنصر بن سيار قصيدة يهجو بها الحارث بن سريح الذي كان يقول بالإرجاء  
فيتهمه ومن معه من المرجقة بالشرك ومحاربة الإسلام ، قائلاً :

فَامْنَحْ جِهَادَكَ مِنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَةً      وَكُنْ عَدُوًّا لِقَوْمٍ لَا يَصْلُونَنَا  
وَاقْتُلْ مَوَالِيَهُمْ مَنَا وَنَاصِرَهُمْ      حِينَا تَكْفَرُهُمْ وَالْعَنْهُمْ حِينَا  
وَالْمَاعِيِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهَسْمُ      شَرُّ الْعِبَارِ إِذَا خَابَرْتَهُمْ دِينَا  
وَالْقَائِلِينَ سَبِيلَ اللَّهِ بُغْيَتَنَا      لِبَعْدِ مَا نُكْبُوا عَمَّا يَقُولُونَا  
فَاقْتُلْهُمْ غَضَبًا لِلَّهِ مُنْتَصِرًا      مِنْهُمْ بِوَدْعِ الْمَرْتَابِ مَفْتُونَا

(١) الديوان ص ٨٦ .  
(٢) شعر زياد الأعجم ص ٧٦ .



إِرْجَاؤُكُمْ لَزِكُمْ وَالشِّرْكَ فِي قَرَنٍ  
لَا يُعْمِدُ اللَّهُ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَكُمْ  
أَلْقَى بِهِ اللَّهُ رَغْبَاءً فِي نَحْوِكُمْ  
وَهَلْ تَعْيُونَ مَنْ كَانُوا مِنْكُمْ  
يَأْبَى الَّذِي كَانَ يُبْلِي اللَّهُ أَوْلَكُمْ  
فَأَنْتُمْ أَهْلُ إِشْرَاقٍ وَمُرْجُونَا  
إِنْ كَانَ دِينُكُمْ بِالشِّرْكَ مَقْرُونَا  
وَاللَّهُ يَقْضِي لَنَا الْحَسَنَى وَيُعْلِمُنَا  
غَالٍ وَسَهْتِمْ حَسْبِي الَّذِي فِينَا  
عَلَى النِّفَاقِ وَمَا قَدْ كَانَ يُبْلِينَا (١)

ثالثاً : ينصب الهجاء - أحياناً - على حدث أو موقف تاريخي معين للفرد أو القبيلة  
يتسم بتعارضه مع هذا الدين ، أو تعاليمه ، أو رجالاته . فيعمد الشعراء إلى  
استغلال ذلك الحدث : أو الموقف ؛ ليوظفوه في هجائهم لخصومهم .

فالطرماح بن حكيم يعير تميمياً بسجاح التي تنتمي إليها ، والتي ادعت النبوة بعد  
وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانضت إلى مسيلة الكذاب ، فيقول :

لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَتْ سَجَاحُ بِقَوْمِهَا  
فَدَارَسَهَا الْبِكْرِيُّ حَتَّى اسْتَرْزَلَهَا  
فَتَلَّكَ نَبِيُّ الْحَنْظَلِيِّينَ أَصْبَحَتْ  
فَلَمَّا أَتَتْ عَزَّ الْيَمَامَةَ حَلَّتْ  
فَأُصْحَتْ عَرُوساً فِيهِمْ قَدْ تَجَلَّتْ  
مُضْمَخَةً فِي خَدْرِهَا قَدْ تَطَلَّتْ (٢)

ويعير جرير الفرزدق وقومه بني مجاشع بفقدتهم بالزبير بن العوام حوارى الرسول  
صلى الله عليه وسلم وقتله على يد عمرو بن جرموز ، فيقول :

إِنِّي تَذَكَّرْتُ الزَّبِيرَ حَمَامَةً  
قَالَتْ قَرِيضٌ مَا أَدَلَّ مَجَاشِعاً  
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَدْرَ آلِ مَجَاشِعٍ  
تَدْعُو بِمَجْمَعِ نَخْلَتَيْنِ هَدَيْتَنَا  
جَاراً وَأَكْرَمَ ذَا الْقَتِيلِ قَتِيلَا  
نَقَلَ الرَّحَالَ فَاسْرَعَ التَّحْوِيلَا

(١) الطبري ١٠١/٧

(٢) الديوان ص ٦٢

يا لهف نفسي إذ يفرك حبلهم  
أبعد متركهم خليل محمد  
ولو اظهروهم الأسنة بعد ما  
لو كنت حراً يابن قين مجاشع  
أفتى الندى وقتى الطعان غررتهم  
قتل الزبير وأنتم جيرانه

هلا اتخذت على القيون كفيلا  
ترجو القيون مع الرسول سبيلا  
كان الزبير مجاوراً ودخيلا  
شيئت ضيفك فرسخين وسيلا  
وفتى الشمال إذا تهب بليلا  
غياً لمن غر الزبير طويلا (١)

ويصيره-أيضاً-بنفي عمر بن عبدالعزيز له من المدينة بسبب فجوره، بعد أن أجلسه

ثلاثة أيام ، فيقول :

زار الفرزدق أهل الحجاز  
وأخزيت قومك عند الحطيم  
وجدنا الفرزدق بالموسمين  
نفاك الأغرابن عبدالعزيز  
وشبهت نفسك أشقى ثمود  
وقد أجّلوا حين حل العذاب

فلم يحظ فيهم ولم يحمد  
وبين البقيمين والفرقد  
خبث المداخل والمشهد  
بحقك تنفى عن المسجد  
فقالوا ضللت ولم تهتد  
ثلاث ليالٍ إلى الموعد (٢)

ومن الواضح تأثير القصص القرآني في البيتين الأخيرين فهو يستمد هما من قصة النبي صالح . والبيت الأخير يقتبسه الشاعر من قوله تعالى " فعقروها فقال تمتعوا

في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب " (٣)

(١) الديوان ١٠٨/١ ، وانظر ٣٦٢/١ ، ٤٧٥ ، ٤٩٢ .

(٢) نفسه ٨٤٢/٢ وانظر أيضاً ٣١٩/١ .

(٣) هود ٦٥ .

ويقول - أيضاً - مشيراً إلى ما يتمتع به الفرزدق من خصال تتنافى مع الدين ، فهو  
أما يتسلق في الليل إلى بيوت جيرانه ليتعدى على نساءهم ، أو يركض في دور  
البغاء خلف كل امرأة فاسدة :

لقد ولدت أم الفرزدق فاجراً  
وما كان جاراً للفرزدق مسلم  
يوصل حبله إذا جنَّ ليلُه  
أتيت حدود الله مذ أنت يافع  
تتبع في الماخور كل مريسة  
رأيتك لا توفي بجار أجرتَه  
هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا  
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم  
تدليلت تزني من ثمانين قامسة  
وجاءت بوزواز قصير القوائم  
فيأمن قرداً ليلُه غير نائم  
ليرقى إلى جاراته بالسلالم  
وشيت فما ينهاك شيب اللهازم  
ولست بأهل المحصات الكرائم  
ولا مستعفاً عن لئام المطاعم  
مداخل رجس بالخبيثات عالم  
طهوراً لما بين المصلى وواقم  
وقصرت عن باع العسل والمكارم (١)

وإذا كان جرير يعير الفرزدق بغدر قومه بالزبير ، وينفيه من المدينة ، فإن الفرزدق  
- أيضاً - يعير جريراً بمناصرته لقبيلة قيس التي خرجت على الخلافة الإسلامية بنصرتها  
لمعبد الله بن الزبير ، فيتهمه بالخروج عن الجماعة المسلمة ، وعصيان ولاة الأمر .  
يقول الفرزدق :

ندمت على العصيان لما رأيتنا  
على طاعة لو أن أجبال طي  
لينقلنها لم يستطعن الذي رسنا  
وألقيت من كفيك حبل جماعسة  
كأنا ذرى الأطوار ذات المخارم  
عمد لها والهضب هضب التهامم  
لها عند عالٍ فوق سبعين داعم  
وطاعة مهدي شديد النقائم (٢)

(١) الديوان ٢/١٠٠٠

(٢) الديوان ٢/٣١١

ويعرض الأحوص الأنصاري بألم جميل حمالة الحطب في بيتين يخاطب بهما الفضل  
اللهمبي ، فيقول :

مادات حبل يراه الناس كلهم      وسط الجحيم ولا يخفى على أحد  
كل الحبال حبال الناس من شعر      وحبلها وسط أهل النار من سد (١)

ويعير الحزين الكنانى الفضل اللهمبي - أيضاً - بجده أبى لهب وزوجته أم جميل ،  
قائلاً :

إذا ما كنت مفتخرأ بجده      فعرج عن أبى لهب قليلا  
فقد أخزى الإله أباك دهرأ      وقلد عرسه حبالاً طويلا (٢)

رابعاً : استفاد الشعراء من ثقافتهم الإسلامية ، وما استوعبوه مما جاء به الإسلام  
من العقائد والتشريعات ، فاستقوا منها ما يساعدهم على إعطاء هجائهم قوة فسي  
مضامينه ، وعلى تكوين الصور الفنية التي تخدم أفكارهم الشعرية .

فالطرماح بن حكيم يهجو تميمأ ، فيتهمها بالجبن والخشية من الأزد ، من  
خلال رسمه لصورة فنية ساخرة لها . فهى تحجم عن ورود الحوض يوم القيامة  
خشية من الأزديين ، كما أنها تصر على عدم قتالهم حتى لو هدها الله بعذاب  
منه .

(١) الديوان ص ١١١ .

(٢) ديوان أشعار الموالى ١٦٥/١ .



ويظهر المساور بن هند العبسي كراهيته الشديدة لبني أسد لحقارة شأنهم ، فهو يتنازل عن متع الدنيا والآخرة على أن تربطه بهم رابطة نسب أو مصاهرة .  
يقول المساور :

مَا سَرَّنِي أَنَّ أُمَّيْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ      وَأَنَّ رَبِّي يَنْجِيْنِي مِنَ النَّارِ  
وَأَنَّهُمْ زَوْجُونِي مِنْ بَنَاتِهِمْ      وَأَنَّ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ (١)  
ويرسم الحزين الكناني صورة في منقهي السخرية لرجل بخيل ، فهو يتيم في البر وفي البحر خوفاً من أن تبتل يده مما يدل على الندى . يقول الحزين :

كَأَنَّمَا خُلِقْتُ كَفَّاهُ مِنْ حَجَّاسٍ      فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالنَّدَى عَمَلُ  
يَرَى التَّيْمَ فِي بَرٍّ وَفِي بَحْرٍ      مَخَافَةً أَنْ يُسْرَى فِي كَفِّهِ بَلَلُ (٢)

وبعد . . فقد وجد الهجاء الديني في العصر الأموي في ظل الحياة الجديدة التي أوجدها الإسلام بما يحمله من قيم وتعاليم سامية أثرت دون شك على الشعراء الهجائيين آنذاك ، فاستلهموا منها مضامينهم الشعرية ، وتثقل ذلك في تعبيرهم بالنصرانية التي ألفاها الإسلام ، وبسخريتهم من طقوسها الدينية ، وبما تحمله من تعاليم وعادات تتنافى مع الإسلام . كما اتخذت المثل الإسلامية مكانها عند الهجائيين حيث اتخذوها منهجاً لمهاجمة خصومهم إلى جانب المثل القديمة ، فهم يهجون باؤتكاب المعاصي من زنا ، وشرب خمر ، وترك للصلاة ، وتهاون في أداء الفرائض الدينية . كما تناولوا بهجائهم بعض الظواهر السلبية في المجتمع الإسلامي من نفاق ورياء وما إليها .

(١) الشعر والشعراء ٣٥٥/١

(٢) ديوان أشعار الموالى ١٦٤/١

وإذا ما أدركنا أن جزءاً من هذا الشعر المتأثر بالإسلام لا يمد وأن يكون  
غير مقطوعات قصيرة سادها المضمون الديني ، أدركنا إلى أي مدى كان هذا  
التأثير واضحاً على شعر الهجاء آنذاك .

"" "" الفصل الرابع "" ""

((( موضوعات أخـرى )))



### ١ - الفخر

الفخر كما عرفه أحد النقاد القدامى " هو المدح نفسه ، إلا أن الشاعر يخصص به نفسه وقومه " (١) وعلى الرغم مما فيه من التباهي والغرور الممقوت ، فإنه مقبول في الشعر كما يذكر ابن رشيق حين يقول " ليس لأحد من الناس أن يطرى نفسه ويمدحها ، في غير مفاخرة ، إلا أن يكون شاعراً ، فإن ذلك جائز له في الشعر ، غير معيب عليه " (٢)

ويحاول أحد الدارسين المحدثين تفسير ذلك بقوله " إن القارئ للشعر يتعاطف مع الشاعر ويشاركه مشاعره حين يتغنى بالمثل العليا ، فيكون قد عبر عن خواطر وأمنيات القارئ " (٣)

ويرتبط الفخر ارتباطاً شديداً بالهجاء ، فهما يمثلان محور شعري العصبية القبلية . فكما يهجو الشاعر القبائل الأخرى ، ويحاول الغض من مكانتها ، يندفع في مدح قبيلته وإظهارها هي عليه من مكانة وإبراز ما لديها من قدرات حربية وفضائل إنسانية .

---

(١) العمدة ١٤٣/٢

(٢) نفسه ٢٥/١ .

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص ٣٠١ .

وقد كان الفخر الجاهلي - كما تعبر عنه النصوص الشعرية القديمة - يعتمد على التفني بالفضائل الخلقية التي يمتلكها الشاعر أو قبيلته ، والتي كانت محل اعتزاز الفرد في الجاهلية . وكانت تدور حول الشجاعة ، والكرم والنخوة ، وحسن الجوار ، واطعام الفقراء . إلى جانب الافتخار بالنسب ، وبذكر الوقائع والأيام الظاهرة التي خاضتها القبيلة وكانت محل اعتزازها ، مما جعل الفخر سجلاً حافلاً للقبائل العربية قبل الإسلام .

وهذا النمط من الفخر استمر عند شعراء صدر الإسلام ، حيث استندوا عليه في مفاخراتهم للمشركين . وهو أمر يفرضه الواقع الشخصي والتاريخي للشعراء ، فهم ممن اكتملت مواهبهم الشعرية في العصر الجاهلي ، وكان النموذج الجاهلي يحكم تجربتهم الشعرية لتعودهم عليه . كما أنهم كانوا يفاخرون بشعرهم للمشركين ، وليس طبيعياً أن يفاخروهم بمفاهيم الإسلام وهم لم يؤمنوا به ، وإنما بما هو مفهوم لديهم .

ويستثنى من ذلك بعض الأبيات الشعرية التي تتناثر هنا وهناك وخاصة في شعر الفتوح الإسلامية ، والتي تنم عن روح إسلامية صرفة (١) .

وقد شهد العصر الأموي عودة العصبية القبلية ، والتي انطلقت شرارتها الأولى بعد الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان ، وما تلا ذلك من أحداث ومعارك

---

(١) انظر شعر الفتوح الإسلامية ص ٢٥٠ ، ٢٦٢ وما بعدها .

انتهت بقيام الدولة الأموية . وقد حرص الأمويون على عودة العصبية القبلية فحرضوا بين القبائل ، واستخدموا في ذلك شتى الوسائل والطرق ، وعملوا جاهدين على زرع بذور الفتنة والشقاق فيما بينها ، ولهذا قربوا بعض القبائل وأغدقوا لها العطاء ، وأبعدوا أخرى وحرموها منه . وقد ساعد ذلك على عودة شعر العصبية بما يمثله من فخر وهجاء .

وقد كان الفخر في هذه الفترة لا يختلف كثيراً عن نظيره في العصر الجاهلي ، لأن المحرك الأساسي له هو العصبية القبلية التي عمل الإسلام على الغائها . فقد اعتمد الشعراء على ذكر الوقائع والأيام التي كانت لقبائلهم في الجاهلية ، أو التي حدثت في الإسلام وكان يحركها التعصب القبلي . إلى جانب إشاراتهم بالفضائل الخلقية التي كانوا متمسكين بها ، والتي ظلت لها قيمتها الملموسة في ظل الإسلام كالكرم ، والشجاعة ، والنخوة وما إليها .

غير أن هذا لا يعني أبداً أن الفخر الأموي كان جاهلياً خالصاً . فقد ظهرت عليه بعض العلامح الجديدة التي ترجع إلى تأثير الإسلام على شعرائه ، والتي يمكن أن نسميها بالفخر الديني . وقد كان هذا اللون من الفخر يتحرك في القصيدة الأموية عبر اتجاهات ثلاثة هي :

١ - الفخر بالإسلام والانتماء إليه . وهو اتجاه نادر ، وهذا يرجع إلى كون العصبية القبلية التي يحاربها الإسلام كانت هي المحرك الأساسي لشعر الفخر آنذاك .

وتمثل هذا الاتجاه في تلك الأبيات التي تنسب إلى عيسى بن فاتك الخطي وإلى نهار بن توسعة - وهي إلى روح الخواج أقرب - ، ويعبر فيها شاعرها عن رفضه لكل انتماء غير انتمائه العقندي إلى الإسلام الذي هو مصدر فخره واعتزازه ، مؤكداً على سقوط جميع المعايير التي تقوم على النسب في المفاضلة بين الناس ، لأن التقوى هي المعيار الوحيد للفاضل .

يقول الشاعر :

أبي الإسلام لا أب لي سواهُ      إذا فخرُوا بيكسرٍ أو تميمِ  
كلا الحيين ينصُرُ مدعيه      ليلحقه بذئ الحسبِ الصميمِ  
وما حسبٌ ولو كرمت عروقُ      ولكنّ التقيَّ هو الكريمُ (١)

وهذا المعنى الجديد في الفخر نلمسه عند عمران بن حطان ، الذي يؤكد على انتمائه الإسلامي فيقول :

فنحنُ بنو الإسلامِ واللّهُ ربُّنا      وأولى عبارِ اللّهِ باللّه من شَكَرٍ (٢)

وقد يعمد الشاعر إلى الفخر بالمشاعر الدينية الإسلامية ، إذا كان فخره موجهاً إلى غير المسلمين . وهذا ما فعله جرير في مفاخرته للأخطل النصراني ، فهو يظهر اعتزازه بأداء الصلاة ، وبالأذان ، وبالمساجد وهي عناصر دينية ترتبط بالإسلام ووجدت معه .

(١) شعر الخواج ص ٧٢ .

(٢) نفسه ص ١٨٣ .

يقول جرير :

اللهُ فضلنا وأخزى تغلباً      لن تستطيعَ لما قضَى تغبيراً  
فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى      في آل تغلبَ مسجداً معموراً (١)  
ويقول أيضاً :

إن الذي حرّم المكارم تغلباً      جعل النية والخلافة فينا  
هل تملكون من المشاعر مشعراً      أو تشهدون مع الأذان أزيانا (٢)  
بل ويفخر عليه بالمصير الذي سيؤول إليه يوم القيامة ، فجرير وقومسه  
سيفضلون تغلب النصرانية يومئذ .

يقول جرير :

لنا الفضلُ في الدنيا وأنفك راغمٌ      ونحنُ لكم يوم القيامةٍ أفضلُ (٣)

٢ - عمد الشعراء إلى تاريخ قبائلهم في ظل الإسلام ليستلهموا منه موقفاً تاريخياً ،  
أودوراً هاماً قامت به القبيلة ، أو قام به أحد أفرادها في خدمة هذا  
الدين ، وذلك لكي يجمعوا منه مدار فخرهم .

فالفرزدق يفخر بالدور الهام الذي قام به اياس بن قتادة السعدي  
وعبدالله بن حكيم المجاشعي ، في إخماد الفتنة التي حدثت في البصرة  
سنة ٦٤ هـ ، مما ساهم في حقن دماء المسلمين ، فهو يقول :

(١) الديوان ٢٢٩/١ .

(٢) الديوان ٣٨٧/١ .

(٣) الديوان ١٤٣/١ .

حقناً دماء المسلمين فأصبحتُ      لنا نعمةً يُثنَى بها في المواسمِ  
عشيةً أعطتنا عُمانُ أمورها      وقدنا معداً عنوةً بالخزائنِ  
ومنا الذي أعطى يديه رهينةً      لفارٍي معدَّ يومَ ضربِ الجماجمِ  
عشيةً سالَ المرُدانِ كلاهما      عجا جةً موتٍ بالسيوفِ الصوارمِ (١)  
ويفخر في القصيدة ذاتها بما قام به الأقرع بن حابس عندما كلم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في أصحاب الحجرات، وهم من بني عمرو بن جندب  
ابن العنبر بن عمرو بن تميم. فقال له : يا رسول الله أردد سبايا قومي  
وأنا أحمل الدماء ، فاستجاب له النبي صلى الله عليه وسلم فرد السبي  
وحمل الأقرع الدماء عن قومه. (٢)

يقول الفرزدق :

وعند رسول الله قام ابن حابسٍ      بخطةٍ سوارٍ إلى المجدِ حيازِمِ  
له أطلقَ الأسرى التي في حبالِهِ      مفللةً أعناقها في الأداهِمِ  
كفى أمهاتِ الخائفينَ عليهِمُ      علاءَ المُفاريِ أو سهامِ الساهِمِ (٣)

ويلح الفرزدق على ذلك فيقول من قصيدة أخرى :

ومنا الذي أعطى الرسولَ عطيةً      أسارى تميمٍ والعيونُ دوا مِعُ (٤)

- 
- (١) الديوان ٣١٨/٢ .
  - (٢) النقائص ٧٤٧/٢ .
  - (٣) الديوان ٣٢٠/٢ .
  - (٤) الديوان ٤١٨/١ .

وافتخر الأحوص بجده عاصم بن ثابت الذي حمت لحمه الدبر يوم الرجيع  
بعد اشتبهنا به ، كما افتخر بخاله حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة  
يوم أحد ، قاللاً :

فخرتُ وانتُمُ فقلتُ ذريتي ليس جهلٌ اتيتو بيديسع  
فأنا ابنُ الذي حمت لحمه الدبرُ قتيلَ اللحيانِ يومَ الرجيعِ  
غسلتُ خالي الملائكةُ الأبرارُ ميتاً طويلى له من صريعِ (١)  
ويفتخر جرير بما قام به الخوارج - ومعظمهم من تميم - ، عندما استجابوا  
لاستجارة عبدالله بن الزبير لما حصره أهل الشام في مكة ، فدافعوا معه  
عن المسجد الحرام ، فيقول :

عن المنبرِ الشرقيِّ نادتِ رماحُنا وعن حُرمةِ الأركانِ يُرمى حطيمُها (٢)  
وأصبحت الفزوات الإسلامية التي خاضها الأوس والخزرج إلى جانب  
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما تلاها من قتال للمرتدين ، مصدر فخر  
واعتراف لعبدالرحمن بن حسان . حيث يعمد في قصيدة طويلة يرد بها  
على مسكين الدارمي إلى التغني بنصرتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ،  
وإيمانهم بما جاء به من الصدق عندما كذب به قومه وآذوه . فيفتخر  
بوقوفهم إلى جانبه في بدر ، والأحزاب ، ويوم الفتح ، وحنين ، ويمتدح  
بصبرهم على مصائبهم الجليلة لكون رسول الله فيهم ، ثم يفتخر بقتالهم  
للمرتدين في بزاخة ، وفي اليمامة .

(١) الديوان ص ١٥٧ .

(٢) الديوان ٩٨٦/٢ .

يقول عبد الرحمن (١) :

فلا فرحٌ اذا نلنا منّالاً  
لأنّ محمداً فينا فلسنا  
فسائلٌ عن بلائهم بيدي  
ولا جزعٌ لأيام المشال (٢)

وانّ جلت مصيبتنا نبالي  
وقد يشفى العمى عند السؤال

.....

وسائلٌ عنهم الأحزاب لسا  
هجمناهم فخرت كالثلال (٣)

ويوم الفتح قد علموا بأننا  
وطئناهم بواهضة ثقال (٤)

.....

فسائلٌ عن حنين يوم ولست  
جموع المسلمين على تـوال

ونادانا بنصرتنا منار  
فنبنا نوب آفة الفحال

وما فينا غريبٌ من سوانا  
نؤم إلى النوبة كالجمـال

فوافينا الرسول فقال شدوا  
بموم الله واسمه ذي الجلال

فما صبروا لشدتنا ولكن  
تولوا مجهضين عن القتال (٥)

وأيام سواها قد ذهبنا  
بسبقة مجدها أخرى الليالي

وأسينا الرسول ومن اتانا  
بصدق ما يقول بكسل حال

(١) الديوان ص ٣٩

(٢) المثال : القصاص .

(٣) الثلال : واحدها الثلثة ، وهي

(٤) الوهضة : المطمئن من الأرض .

(٥) مجهضين : مغلوبين على أمرهم .

جماعة الغنم أو الكثيرة منها .



فنحنُ أولوموازرةٍ ونصبرُ  
نكافهُ ونمنعُ من يوالي  
فسلُّ عنا القبائلَ حينَ ردت  
عن الإسلامِ كالبقيرِ اليمالِ  
فوافينا بزاخته غيرِ ميسلِ  
ولا خرقٍ بمعتزلِ النَّزالِ

.....

وقدنا لليمامةِ كلِّ طرفٍ  
أقبُ مقلصٍ نهدي طوالِ (١)  
يريدُ لقاءَ كذابٍ لثيمِ  
سيلمَةَ المصرِّ على الضلالِ

...

ويفاخر الطرماح بن حكيم الفرزدق بدور القحطانيين في نصرة الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، فيقول :  
قحطانُ تضربُ رأسَ كلِّ متوجِّعٍ  
وعلى بصائرِها وإذ لا تبصرُ  
في عزنا انتصرَ النبيُّ محمدٌ  
وبنا تثبتت في ريشقِ المنبرِ (٢)  
والى جانبِ فخره بنصرتهم للرسولِ صلى الله عليه وسلم ، يفتخر بقتالهم  
للمرتدين بعد وفاة الرسول ، قائلاً :

ويفتقُ جانِبنا ونرتقُ فتقهُ  
إذا ما عظيماتُ الأمورِ استجلتِ  
بجيشٍ من الأنصارِ لو قد فوا بهِ  
شما ريخِ رضوى الشامخاتِ لخرتِ  
إذا المنبرُ الغربيُّ زعزعَ متنهُ  
وطدنا له أركانهُ فاستقرتِ  
بهم بيضُ اللهِ الخلافةَ كَمَا  
رأوا نعلَ صنديدٍ عن الحقِّ زلتِ

(١) الطرف : الكريم من الخيل، نهد : غليظ ، الطوال : الطويلة .

(٢) الديوان ٢٥١ .

بهم نصر الله النبي وأثبتت  
وهم دمفوا بالحق أيام خالد  
شياطين من قيس وخندف غربا  
ويفتخر بيوم بزاخة ، قائلاً :

ونحن ضربنا يوم ينفني بزاخة  
وقد يستلهم الشاعر من سيرته الشخصية موقفاً اتسم فيه بالالتزام الديني  
ليفتخر به ، كما فعل ذو الرمة عندما افتخر ببعده عن قذف المحصنات  
المؤمنات ، قائلاً :

فلم أقذف لمؤمنة حصان  
وبحمد الله موجبة عضالا (٢)  
وهذا ما نجده عند مسكين الدارمي الذي يقول :

وإنني سألقى الله لم أرم حرة  
ولا قان نفسي ونفسي بريئة  
ولم تتمن يوم سرفختها  
وكيف اعتذاري بعد ما قد قذفتها (٤)

٣ - كان انتماء الرسول صلى الله عليه وسلم القبلي مجالاً خصياً ، حيث وظفه  
الشعراء في فخرهم بقبائلهم ، أو عشيرتهم التي تلتقي مع الرسول صلى  
الله عليه وسلم في النسب .

- 
- (١) الديوان ص ٥٣ .
  - (٢) الديوان ص ٦١ .
  - (٣) الديوان ص ٥٢٢ .
  - (٤) الديوان ص ٢٧ .

ففخر عبيد الله بن قيس الرقيات في هزيمته المشهورة بانتساب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش ، كما فخر بانتساء الصفوة المختارة من أصحابه إليها، فقال :

لو بكتْ هذه السماءُ على قومٍ كرامٍ بكتْ علينا السماءُ  
نحن منّا النسبيُّ الأبيُّ والصدِّيقُ منّا التقِيُّ والخلفاءُ  
وقتيلُ الأحزابِ حمزةُ منّا أسدُ اللهِ والسناءُ سننساءُ  
وعلىُّ وجعفرُ وذو الجناحَينِ هناكَ الوصيُّ والشهداءُ  
والزبيرُ الذي أجابَ رسولَ اللهِ في الكُربِ والبلاءِ بلاءُ (١)  
ويفتخر عروة بن أذينة الليثي الكناني بقريش - أيضاً - ذاكراً الدور الذي اضطلع به الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة ربه ، وهداية الناس بعد ضلالهم ، فيقول :

منّا الرسولُ خيرُ الناسِ كلِّهمُ ولا نحاشي من الأفوامِ إنسانا  
وذاك نورٌ هدى اللهُ العبادَ بهِ من بعدِ خبطِهمُ صمّاً وعميانا  
فأبصروا فاستبانَ الرشدُ مشعِرةً بعد الضلالِ قلوبَ الناسِ إيماناً (٢)  
ويتكرر هذا الفخر بالنبي في قصيدة أخرى حيث يقول :

منّا الرسولُ وأهلُ الفضلِ فضلهمُ منّا وصاحبهُ الصديقُ في الفجارِ  
من عدّ خيراً عددنا فوقَ عدّتهمِ من طيبينَ نسبيهمُ وأبّرارِ (٣)

(١) الديوان ص ٩٠ .

(٢) الديوان ص ١٣٤ .

(٣) الديوان ص ٢٠٦ وانظر أيضاً الصفحات ٢٣٥ وما بعدها ، ٢٨٦ .

ويقول الفضل بن العباس اللهبي داعياً عمر بن أبي ربيعة المخزومي للفخر  
بالنبي صلى الله عليه وسلم :

قل يا ابنَ مخزومٍ لكلِّ مفاخرٍ منّا المباركُ ذو الرِسالَةِ أَحْمَدُ  
ماذا يقولُ ذُو الفِخارِ هِنالكُم هيهاتَ ذلكَ هل يُنالُ الفِرْقَدُ (١)  
ويفاخر عبد الرحمن بن الحكم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بقرشيتسه ،  
فيقول :

لنْ يسلبَ اللهُ أهلَ الدينِ دينَهُمُ ولنْ تعودَ فروعُ الناسِ أنْ نابا  
منّا الرسولُ ومنّا منْ يلاذُ بِسُـمِّهِ ولنْ نزالَ لهذا الدينِ أربابا (٢)  
ويفخر ذو الرمة بمضرا التي ينتمي إليها الرسول صلى الله عليه وسلم  
ويظهر اعتزازه بأنه ابن خليل الله ابراهيم الذي عمر الكعبة المشرفة ،  
والتي جعل الله ولايتها في مضر ، فيقول :

إذا مضرُ الحمراءُ عُبَّ عبابُها فمن يتصدى موجها حين تطهرُ (٣)  
أنا ابنُ النُهيينِ الكرامِ ومنْ دعا أباً غيرَهُمْ لا بدَّ عنْ سوفٍ يقهرُ (٤)  
ألم تعلموا أنّي سموتُ لمنْ دعا له الشيخُ ابراهيمُ والشيخُ يذكرُ  
لياليَ تحتلُّ الأباطحَ جرهمُ وإنْ بأبيننا كعبَةُ اللهِ تعمَرُ  
نبيُّ الهدى منّا وكلُّ خليفةٍ فهلْ مثلُ هذا في البريةِ مفخرُ

- 
- (١) الأغاني ١٦/١٨٩ .  
(٢) الأخبار الموفقيات ص ٢٥٤ .  
(٣) عُبَّ عبابها : ماج موجها .  
(٤) عن سوف : يريد أن سوف .

لنا الناسُ أعطانا هم اللهُ عنوةً ونحنُ لهُ واللهُ أعلى وأكبرُ  
أنا ابنُ معدِّ وابنُ عدنانَ انتمي إلى من لهُ في العزِّ ورثُ ومصدرُ  
لنا موقفُ الداعينَ شعماً عشيةً وحيثُ الهدايا بالمشاعرِ تنحسرُ  
وجمعُ ويطحاءُ البطحِ التي بها لنا مسجدُ اللهِ الحرامُ المطهرُ (١)

وهذه المعاني في الفخر تتردد كثيراً عند شعراء مضر في العصر الأموي.

يقول الفرزدق :

عرفَ القبائلُ أننا أربابُها وأحقُّها بمناسكِ التكبيرِ  
جعلَ الخلافةَ والنبوةَ ربنا فينا وحرمةَ بيتهِ المعمورِ

...

منا النبيُّ محمدٌ يجلي بهُ منا النبيُّ محمدٌ يجلي بهُ  
خيرُ الذين وراءه وأمامه خيرُ الذين وراءه وأمامه  
إن النبوةَ والخلافةَ والهدى إن النبوةَ والخلافةَ والهدى  
ويقول أيضاً يفخر بخندف :

منا الخلافةُ والنبيُّ محمدٌ واليهُمُ ملكُ العبادِ يصيرُ  
أحياءنا خيرُ البريةِ كلِّها وقبورنا ما فوقهنَّ قبورُ  
وإذا رفعتَ لواءَ خندفٍ قصرتُ عنه العيونُ فطرفها مقصورُ  
أبناءِ خندفٍ إن نسيتَ وجدتهم رهطُ النبيِّ لواءهم منصورُ (٢)

(١) الديوان ص ٣٢٣ .

(٢) النقااض ٢/٩١٢ .

(٣) الديوان ١/٢٩٧ .

ويقول جرير بن عرادة يفاخر الزعل الجرمي :

ومنا رسولُ الله أُرسِلَ بالهُدى وأنتَ معَ الجحّارِ سحّارِ بابلِ (١)  
ولم يجعلِ اللهُ النّبوةَ فيكمُ ولا كنتمُ أهلاً لتلكَ الرسائلِ (٢)

ويقول جرير يفاخر الأخطل التغلبي :

كذلكَ أعطى اللهُ قيساً وخندفاً خزائنَ لم يُفتحْ لتغلبَ بابها  
ومنا رسولُ اللهِ حقّاً ولم يزلْ لنا بطنُ بطحاوي منى وقبأبها (٣)

ويتضح من كل ما سبق أن شعر الفخر في العصر الأموي قد ظهرت عليه بعض الملامح الجديدة التي اكتسبها من تأثير الإسلام على شعرائه . أما قلتها فهو أمر حتمي ، حيث إن دواعي الفخر في هذا العصر لم تختلف عنها في العصر الجاهلي ، إذ أن العصبية القبلية كانت هي المحرك لهذا اللون الشعري ، مما كان سبباً في اعتماد الشعراء على المثل القديمة في فخرهم .

- 
- (١) يماني المختار الثقفي .  
(٢) النقائض ١/٣٧٠ .  
(٣) الديوان ٢/٦٧٦ .

٢ - شعر الصعاليك

الصعلوك في اللغة هو "الفقير الذي لا مال له ، زاد الأزهري ولا اعتماد  
وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك ، قال حاتم الطائي :  
غنينا زماناً بالتَّصَعْلِكِ وَالْفِسْنَى فَكَلَّا سَقَانَاهُ بِكَاسِيهِمَا الدَّهْرُ"  
أما في مفهوم الدارسين فهو كل من يتخذ من السطو والنهب وقطع الطريق وسيلة  
يحقق بها عيشه .

والتصعلك ظاهرة قديمة عرفها العصر الجاهلي ، واشتهر من شعرائها  
عروة بن الورد ، وتأبط شراً ، والسليك بن السلكة ، وعمرو بن برة الهمداني  
والشنفري وغيرهم .

وقد كان خلف هذه الظاهرة بعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية  
السائدة آنذاك . إذ كانت الحالة الاقتصادية السيئة لبعض أفراد القبائل  
تدفعهم إلى اتخاذ التصعلك منهجاً لحياتهم ، وذلك في سبيل الوصول إلى  
حياة أفضل في ظل فقدان التكافل الاجتماعي بين أفراد القبيلة الواحدة . كما  
أن بعض القبائل العربية كانت تتخلى عن بعض أبنائها، فيصبحون من طائفة  
الخلعاء والشذان ، مما يجعلهم يتخذون من القوة سبيلاً لتحقيق حياة جديدة  
لهم بعيداً عن قبائلهم . (٢)

(١) لسان العرب مادة صعلك ، ومعنى غنينا أي عشنا .  
(٢) انظر كتاب الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص ٦٣ وما بعدها .

وفي عصر صدر الاسلام هدأت حركة الصعلكة ، وكان للحياة الدينية الجديدة أثر في ذلك . فلقد ألزم الإسلام أتباعه بفروض وواجبات دينية وحارب الظلم والعدوان ، ودعا إلى إزالة الفوارق الاجتماعية التي كانت تشير النزاع والخصومة بين الأفراد والجماعات ، وأرسى بدلها قواعد اجتماعية تقوم على الأخاء والمحبة .

والصعلكة - كما عرفنا - كان من أحد دوافعها في العصر الجاهلي هو الظلم الاجتماعي الذي وقع على بعض أفراد المجتمع ، دون أن يكونوا قادرين على حماية أنفسهم والدفاع عنها . لذا فعندما جاء الإسلام قضى على مثل هذه المشكلة من جذورها بأن جعل الزكاة ركناً من أركان الإسلام الخمسة ، وفرضها وجعلها حقاً معلوماً تؤخذ من مال الغني وتقدم للفقير والمحتاج . وبذلك أصبح للفقراء حق معلوم في أموال الأغنياء ، ولم يكف الإسلام بذلك بل دعا المسلمين وحثهم على الإنفاق في أكثر من موضع ومناسبة في القرآن الكريم (١) .

وبذلك أوجد الإسلام تكافلاً اجتماعياً، ودعا إلى إقامة عدالة اجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم لم يعرفه العصر الجاهلي من قبل .

كما وضع العقوبات التي تردع كل من تسول له نفسه نهج طريق الإجرام لإرضاء رغباته . فأمر بقطع يد السارق " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء

---

(١) انظر مثلاً البقرة ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، إبراهيم ٣١ ، الحديد ٧ ، المنافقون ١٠ .



بما كسبا نكلاً من الله والله عزيز حكيم " (١)، كما شرع القصاص في القتل  
" يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد  
بالعبد والانس بالانس . . . . " (٢). وقد كان الخلفاء الراشدون حريصين  
على تنفيذ هذه العقوبات فيمن يستحقها .

يضاف إلى ذلك أن المسلمين انشغلوا بحركة الفتوح التي أتاحت لكل  
من يرى في نفسه روح الفروسية أن ينطلق مع الفاتحين ليرضي رغباته . خاصة  
وأن هذه الفتوح كانت تعود عليهم بالفنائم الوفيرة التي تكفل لهم حياة  
سعيدة .

وقد عاد الصعاليك إلى الظهور بشكل واضح في العصر الأموي ، وقد  
كان وراء ذلك - كما يرى د . حسين عطوان (٣) - عدد من العوامل يمكن  
تلخيصها فيما يلي :

١ - العامل الاقتصادي : فقد كانت الدولة الأموية تغدق الأموال والعطايا  
على القبائل العربية التي كانت تناصرها ، أما القبائل التي لا تفعل ذلك  
فهي تحرم من هذه العطايا ، بل وكان عمال بني أمية يعاملون  
أفرادها بقسوة ، ويفرضون عليهم الضرائب الباهظة . فكان بعضهم  
يلجأ إلى الشكوى للخلفاء كما فعل الراعي النميري (٤) وغيره ، وكان  
آخرون يتخذون من القوة والتمرد سبيلاً لنيل حقوقهم .

(١) المائدة ٣٨ .

(٢) البقرة ١٧٩ .

(٣) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ص ٣٢ وما بعدها .

(٤) الديوان ص ٦١ .

٢ - العامل الاجتماعي : فقد عادت إلى الحياة العربية في العصر الأموي بعض النزعات القديمة التي أخذت بها القبائل من جديد . وكان من ذلك عادة الخلع التي كانت القبائل تلجأ إليها في سبيل التخلص من المجرمين من أبنائها ، فكان هؤلاء يهيمون بعيداً عن قبائلهم ، وزاد من شقائهم أن الدولة أخذت تطاردهم ، فاتخذوا طريق التصعلك وسيلة يعيشون عليها .

٣ - العامل السياسي : فقد علمنا في التمهيد لهذا البحث أن العصر الأموي لم يكن فترة هادئة من الناحية السياسية ، وإنما كان عصر قلاقل واضطرابات أحدثها تغيير الأمويين لنظام الحكم ، حيث وجدت بعض الأحزاب المعارضة للدولة ، والتي دخلت معها في صراع شديد أدى إلى ظهور بعض الصعاليك السياسيين ، الذين رفضوا الانتماء إلى أحد من الفريقين ، وقرروا تكوين دولة الصعاليك الخاصة بهم .

وقد شهد العصر الأموي عدداً غير قليل من الأسماء الشعرية التي انتمت إلى الصعاليك كمالك بن الربيع (١) ، وعبيد بن أيوب العنبري (٢) وطهمان بن عمرو الكلابي (٣) ، والأهيمر السعدي (٤) ، والقتال الكلابي (٥) وأبو النشاش (٦) ، ويملى الأحول الأزدي (٧) ، وغيرهم .

- 
- (١) الأغاني ٢٢/٢٨٦ ، الشعر والشعراء ١/٣٦٠ ، معجم الشعراء ص ٣٦٤ .
  - (٢) الشعر والشعراء ٢/٧٨٨ ، سمط اللاكي ١/٣٨٤ .
  - (٣) سمط اللاكي ١/٤٧٣ .
  - (٤) المؤلف والمختلف ص ٣٦ ، الشعر والشعراء ٢/٧٩١ .
  - (٥) الأغاني ٢٤/١٦٩ ، الشعر والشعراء ٢/٧٠٩ .
  - (٦) الأغاني ١٢/١٧١ .
  - (٧) نفسه ٢٢/١٤٧ .

والباحث الطم بحياة الصعاليك واللصوص ، والمتفهم لطبيعتها التي تتنافى في مسارها مع تعاليم الإسلام وقيمه التي ترفض اتخاذ السرقة وقطع الطرق وسيلة للعيش ، بل وتوجب إقامة الحد على كل من يفعل ذلك ، قد يستبعد أن يتأثر شعراؤهم بالإسلام ، غير أن الواقع يخالف ذلك . فالنتاج الشعري لهذه الفئة لا يخلو من بعض الومضات الدينية التي تعطى مدلولاً على تأثرهم بفاهيم هذا الدين . وهو أمر يفرضه واقع انتمائهم له .

إن شعر الصعاليك ينسب عن علاقتهم القوية بالله ، فهم لا يترددون عن اللجوء إليه في مختلف أحوالهم . أثناء تصعلكهم ، أو وهم في السجون ، أو عند إعلانهم توبتهم .

فهذا أبو حردبة المازني يرجو من الله أن يشيعه بزمره من الفوارس أمثاله ، يواصل بهم سبيل التصعلك ، قائلاً :

فهل الإله يُشيعُنِي بفوارسٍ لبني أميةٍ في سرارِ جميرٍ (١)

ويلجأ جحدرين معاوية إلى الله بالشكوى وهو يصور الأهوال التي يلقاها في سجن الكوفة ، فكأنما سقر التي أعدها الله لتعذيب العصاة قطعة منه ، فيقول :

---

(١) الحيوان ١٢٨/٥ ، سرار جمير : يسمى الهلال قبل ليلة السرار وهي الليلة الأخيرة في الشهر بليلة ابن جمير .

يَارِبَّ أَبْغَضُ بَيْتٍ عِنْدَ خَالِقِهِ      بَيْتٌ بِكَوْفَانٍ مِنْهُ أَشْعَلَتْ سَقَرُ  
مَثْوَى تَجَمَّعَ فِيهِ النَّاسُ كُلَّهُمْ      شَتَّى الْأُمُورِ فَلَا وَرْدُ وَلَا صَدْرُ  
دَارُ عَلَيْهَا عَفَاءُ الدَّهْرِ مَوْحِشَةٌ      مِنْ كُلِّ أُنْسٍ وَفِيهَا الْبِدْوُ وَالْحَضْرُ (١)

ويدعو الله أن يخلصه من سجن دار ، فيرسل عليه صاعقة تدمره ، وأن يهبيء لبنانيه من يقتله ، قائلاً :

يَارِبَّ دَارٍ أَنْقَذَ أَهْلَهُ عَجَلًا      وَانْقَضَ مَرَاثِرُهُ مِنْ بَعْدِ إِبْرَامِ  
رَبِّ أَرْمِهِ بِخَرَابٍ وَارِمٍ بَانِيكِهِ      بِصَوْلَةٍ مِنْ أَبِي شَبْلِينَ ضَرْغَامِ (٢)

وقد يتوقف الصعلوك عن حياة التصعلك واللصوصية ، ويعلم توبته عن ذلك غير أن نفسه تظل تحدته بالعودة إلى ذلك فيمنعها .

فهذا الأحير السعدي في ظل مجاهدته نفسه يشكو إلى الله من صبره عن حياة التصعلك ، فيقول :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ صَبْرِي عَنْ رَوَاحِلِهِمْ      وَمَا الْأَقْيِ إِذَا مَرُّوا مِنَ الْحَزَنِ  
قَلِّ لِلصَّوْصِ بَنِي الْخِنَاءِ يَحْتَسِبُوا      بَزَّ الْعِرَاقِ وَيَنْسَوُا طُرْفَةَ الْيَمَنِ  
فَرَبِّ ثَوْبٍ كَرِيمٍ كُنْتُ أَخَذُهُ      مِنَ التَّجَارِ بِلَا نَقْدٍ وَلَا ثَمَنِ (٣)

وتزداد علاقة الصعلوك بالله قوة بعد أن يعلن توبته ، وذلك من واقع شعوره وإدراكه بأن حياته السابقة لم تكن على جانب من الالتزام الديني ، بكونها تتخذ طريقاً يرفضه الدين ، وذلك بقيامها على السلب والنهب .

(١) شعراء أمويون ١/١٧٣ .

(٢) نفسه ١/٢٨١ .

(٣) المؤلف والمختلف ص ٣٧ .

أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُ

فهذا عبيد بن أيوب العنبري يبتهل بالدعاء إلى الله يقبل توبته ، مما اقترفته يداه أيام جهله وضلاله ، شاكياً إليه مما يدعيه أعداؤه الذين يحلفون جاهدين بالله أنه من أهل النار . وهو لعق إيمانه بالله ، ولا دراهه بأنه واسع المغفرة ، يرفض ادعاءهم الأعمى ، قائلاً :

يَارِبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا      أَيْمَانَهُمْ أَنَّنِي مِنْ دَاخِلِي النَّارِ  
أِيحْلِفُونَ عَلَى عَمِيَاءٍ وَيَحْمِلُونَ      مَا عَلِمَهُمْ بِعَظِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارِ  
أَنِّي لِأَرْجُو مِنَ الرَّحْمَنِ مَغْفِرَةً      وَمِنَّةً مِنْ قَوَامِ الدِّينِ جَبَّارِ  
وَمَا أَخَافُ هَلَاكَ بَيْنَ عَفْوِهِمَا      وَمَا يَفُوتُهُمَا الْمُسْتَوْهَلُ الشَّارِي  
إِلَيْهِمَا مِنْهُمَا أَنْجُو عَلَى وَجَلِّ      كَمَا نَجَا خَائِفٌ خَاشٍ لِأَثَارِي  
أَنَا الْفَلَامُ عَتِيقُ اللَّهِ مَبْتَهَلٌ      بِتَوْبَةٍ بَعْدَ إِحْلَاءٍ وَامْرَارِ  
خَلَيْتُ بَابَاتِ جَهْلِ كُنْتُ أَتْبَعُهَا      كَمَا يُوَدِّعُ سَفْرَ عُرْصَةِ الدَّارِ  
أَنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّنِي سَوْفَ يَتْرَكُنِي      صَحْبِي رَهِينَةً تَرَبُّ بَيْنَ أَحْجَارِ  
فَرْدًا بَرَابِيئَةً أَوْ وَسْطَ مَقْبَرَةٍ      تُسْفِي عَلَيَّ رِيَّاحُ الْبَارِحِ الذَّارِي (١)  
ويقول - أيضاً - معترفاً إلى الله بذنوبه التي ارتكبها في حياته الماضية ،

راجياً عفوره عنها :

يَارِبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجَلِّ      كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّاسِ مَجْنُونُ  
قَدْ كَانَ قَدَّمَ أَعْمَالًا مَقَارِبَةً      أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ (٢)

(١) شعراء أمويون ١/ ٢١٥ .

(٢) البيان والتبيين ٤/ ٦٢ .

ويقول - أيضاً - معبراً عن خوفه من النار التي إن لم يعف الله عنه، فإنه صائر إليها لا محالة :

وياربِّ إلا تعفْ عني تلقني من النار في بعكوكها المتداني (١)

وهذه النعمة المؤمنة التائبة الزاهدة نلسمها لدى جحدر بن معاوية الذي يدعو الله - في سجنه - عند إحساسه بأن المنية قد دنت ، مستغفراً

إياه من ذنوبه ، ومعبراً عن إيمانه بأن قضاء الله نافذ لا محالة ، فيقول :

إنني دعوتك يا إله محمدٍ دعوى فأولها لي استغفارٌ

لتجيرني من شرِّ ما أنا خائفٌ ربُّ البرية ليس مثلك جارٌ

تقضي ولا يقضي عليك وإنما ربي بعليك تنزل الأقدار (٢)

ويعاتب في قصيدة أخرى نفسه حين أظهرت جزعها وخوفها من المنية ،

فيعبر عن إيمانه بأن لكل نفس أجلها المحتوم الذي لا بد منه ، ويدعوها

إلى الابتغال إلى الله بالدعاء في السر والعلانية ، فيقول :

يا نفس لا تجزعي إنني إلى أمدي وكل نفس إلى يومٍ ومقـُـدارٍ

وما يقرب يومي من مدى ألمي فاقني حياءك ترحالي وتسياري

إنني إلى أجلٍ إن كنتِ عالمةً إليه ما منتهى علمي وآثاري

للو أنتِ فإن يعصمك فاعتصمي وإن كذبت فحسبي الله من جارٍ

ادعيه سرّاً وناديه علانيةً والله يعلم إعلاني وأسْراري

وما السعادة في الدنيا لذي أملٍ إن السعيد الذي ينجو من النارِ

(١) شعراء أمويون ٢٢٦/١

(٢) نفسه ١٧٣/١ .

سُقِيًّا لِسَجْنِكَ مِنْ سَجْنٍ وَسَاكِنِهِ<sup>١</sup> بَدِيمَةً مِنْ زَهَابِ الْمَاءِ مَدْرَارٍ<sup>(١)</sup>  
ويعبر عبید الله بن الحر الجعفي عن ثقته العظيمة بالله ، وإيمانه القوي  
به . فهو لا يسلم عبده لليأس ، فما أنزل به من أمر يكرهه إلا وجعل من  
بعد ذلك الفرج .

يقول عبید الله :

لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ قَلْبِي حِينَ يَنْزِلُ بِي هُمْ تَضِيفَنِي ضَيْقًا وَلَا حَرَجًا  
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِي أَمْرًا فَأَكْرَهُهُ إِلَّا سَيَجْعَلُ لِي مِنْ بَعْدِهِ فَرَجًا<sup>(٢)</sup>  
وبما أن حياة الصعاليك كانت تقوم على السلب والنهب والقتل، فقد كانوا  
مهددين بالموت في أي لحظة ، بسبب طبيعة حياتهم التي تقوم على  
المغامرة والمخاطرة . وقد كان ذلك مدخلًا لأهلهم وأحببتهم للموت  
وتحذيرهم من الاستمرار في هذا الطريق الخطر . وقد استفاد  
عبید الله بن الحر الجعفي من النظرة الإسلامية للموت ، والتي ترى  
أنه أجل محتوم ، محدد بساعة لا يستقدم عنها ولا يستأخر ، فبرر من  
خلاله استمراره في تصملكه ، رغم ما يتهدده من الأخطار ، فهو  
يقول :

يُخَوِّفُنِي بِالْقَتْلِ قَوْمِي وَإِنَّمَا أَمُوتُ إِذَا جَاءَ الْكِتَابُ الْمُجَلَّلُ  
لَعَلَّ الْقَنَا تُدْنِي بِأَطْرَافِهَا الْقَنَا فَنَحْيَا كَرَامًا أَوْ نَمُوتُ فَنَقْتَلُ<sup>(٣)</sup>

(١) شعراء أمويون ١/١٢٥ .

(٢) نفسه ١/٩٩ .

(٣) نفسه ١/١١٠ .

ويقول أيضاً :

وما لا مرئٍ إلا الذي اللهُ سائقٌ إليه وما قد خطَّ في الزبرِ كاتبه<sup>(١)</sup>  
ولما لك بن الرب قصيدة يعبر فيها عن إيمانه العميق بالله . فهو في  
الصحراء الموعظة في الوحشة حيث الوحدة ، يغمض عينيه لشعوره بأن  
الله معه يحفظه حين تغفل كل العيون .

يقول مالك :

أدلتُ في مهمي ما إن أرى أحداً حتى إذا حان تعريسٌ لمن نزلًا  
وضعتُ جنبي وقلتُ اللهُ يَكُونِي مَهْمَا تَمَّ عَنْكَ مِنْ عَيْنٍ فَمَا غَفَلًا<sup>(٢)</sup>  
وهذا الإيمان القوي بالله هو ما تعبر عنه أبياته التي قالها وهو ينطلق  
إلى الجهاد في سبيل الله مع جيش سعيد بن عثمان بن عفان . فهو  
لا يخضع لابنته التي أظهرت له ملامح الجزع والخوف من أن تكون تلك  
رحلته الأخيرة ، وإنما يدعوها أن تسأل الله فهو مجيب الدعوات ،  
وهو الذي إن شاء حقق لها مرادها بعودة أبيها إليها . أما هو  
فإنه يعلن استسلامه لقضاء الله وينطلق في رحلته مجاهداً في سبيل الله .

يقول مالك :

ولقد قلتُ لابنتي وهي تبكي بدخيلِ الهمومِ قلباً كئيباً  
وهي تَدْرِي مِنَ الدموعِ على الخدينِ من لوعةِ الفراقِ غروباً  
عبراتٍ يكْدُنَ يجرحنَ ما جُزْنَ بهِ أويدَ عن فيه ندوباً

(١) شعراء أمويون ١ / ٩٥ .

(٢) نفسه ١ / ٣٦ .



اسْكُتِي قَدْ حَزَزْتَ بِالِدَمِ قَلْبِي      طَالَمَا حَزَّ دَمْعُ الْقُلُوبِ  
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنِّي      رَبِّبًا مَا تَحْذَرِينَ حَتَّى أَوْوِيَا  
لَيْسَ شَيْءٌ يَشَاؤُهُ ذُو الْمَعَالِي      بِمُعْزِزٍ عَلَيْهِ فَأَدْعَى الْمُجِيبَا  
وَدَعَى أَنْ تَقْطَعِي الْآنَ قَلْبِي      أَوْ تُرِينِي فِي رِحْلَتِي تَعْدِيَا  
أَنَا فِي قَبْضَةِ الْإِلَهِ إِذَا كُنْتُ      بَعِيدًا أَوْ كُنْتُ مِنْكَ قَرِيبَا  
كَمْ رَأَيْنَا امْرَأً أَتَى مِنْ بَعِيدٍ      وَمَقِيمًا عَلَى الْفَرَاشِ أُصِيبَا  
فَدَعَانِي مِنْ انْتِحَايِكَ إِنِّي      لَا أَبَالِي إِذَا اعْتَزَمْتُ النَّحِيبَا  
حَسْبِي اللَّهُ ثُمَّ قَرِيتُ لِلسَّيْنِ      رِعْلَةً أَنْجَبَ بِهَا مَرْكُوبَا (١)

وفي قصيدته التي قالها عندما دنا منه الموت، وهو في طريق عودته من جهاده مع سعيد بن عثمان بن عفان . يؤمن مالك بن الربيع نفسه التي استبدلت حياة الضلال الذي كان يعيشه أيام تصعلكه، بحياة الهدى التي انطلق فيها مجاهداً في سبيل الله، فيقول :

أَلَمْ تُرَنِّي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى      وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَانَ غَازِيَا (٢)  
ويقول في أبيات أخرى وكأنه يعتذر لابنته عن عدم عودته ، لأن أجله الذي كتبه الله له حال دون ذلك :

تَسْأَلُ شَهْلَةَ قَالَتْهَا      وَتَسْأَلُ عَنِ مَالِكٍ مَا فَعَلُ  
ثَوَى مَالِكٌ بِيَلَادِ الْعَسَدِ      وَتَسْفَى عَلَيْهِ رِيَا حُ الشَّمْسِ

(١) شعراء أمويون ٢٤/١ ، علاة : أي ناقة مشرفة .

(٢) نفسه ٤٢/١

لذلك شَهْلَةٌ جَهَزْتَنِي وَقَدْ حَالَ دُونَ الْإِيَابِ الْأَجَلُ (١)  
وقد يتحول الصعلوك في فترة من حياته ، ومن خلال تجربته المريرة  
في عالم التصعلك ، إلى حكيم يطرح نظرتة نحو الحياة من خلال الرؤية  
الدينية لها .

وهذا ما نلمسه عند جحد رين معاوية حيث يقول :  
إِذَا انْقَطَعَتْ نَفْسُ الْفَتَى وَأَخْبَسَهُ مِنْ الْأَرْضِ رَمْسٌ نُوْتْرَابٌ وَجُنْدِلِ  
رَأَى إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَإِنَّمَا ثَوَابُ الْفَتَى فِي صَبْرِهِ وَالتَّوَكُّلِ (٢)

وهكذا يتضح أن الإسلام أثر بشكل ملموس على شعر الصعاليك ، فاكسبت  
أبياته بعض الملامح الدينية الجديدة . وهذا بطبيعة الحال امتداد لتأثير  
الإسلام على مختلف الموضوعات الشعرية في العصر الأموي .

---

(١) شعراء أمويون ٣٨/١ .

(٢) نفسه ١٨١/١ .

٣ - شعر الزهد (١)

على الرغم من أن العصر الأموي لم يكن في طابعه العام على صورة من المثالية والالتزام الديني . إذ عادت إلى الحياة العربية فيه بعض الظواهر التي قد لا تعطي صورة جيدة عن المجتمع الإسلامي آنذاك ، وتمثل ذلك في عودة العصبية القبلية المقوتة التي عمل الإسلام على إغائها ، وفي انغماس الناس في حياة اللهو التي انتشرت في بعض الأمصار الإسلامية تحت تأثير الترف الذي أصاب الحياة الاجتماعية حينذاك . إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور حركة مختلفة تتخذ من الزهد في الدنيا طابعاً لها . تلك الحركة التي انتشرت في بعض الأمصار الإسلامية وبخاصة العراق . وأجدني أتفق مع الدكتور شوقي ضيف فيما ذهب إليه من أن الحروب الداخلية التي عاشتها بيئة العراق طـوال العصر الأموي ، كانت أحد العوامل التي ساعدت على انتشار موجة الزهد فيها .

يقول شوقي ضيف : " فإن بعض من خسروا هذه الحروب ولم يستطيعوا اقتناص الدنيا من أيدي الأمويين تحولوا إلى الزهد فيها ، ووضعوا أمانيتهم في الآخرة وما وعد الله به عباده المتقين " (٢)

---

(١) الزهد لغة : " ضد الرغبة والحرص على الدنيا " لسان العرب مادة زهد .

واصطلاحاً : " الكف عن المعصية و عما زاد عن الحاجة ، وترك ما يشغل عن الله " دائرة المعارف الإسلامية . ٤٥١/١٠ .

(٢) التطور والتجديد ص ٥٩ .

يضاف إلى ذلك انتشار اللهو والمجون في بعض الأمصار الإسلامية ، وإقبال الناس على مفريات الحضارة ، مما دفع بعض الأفراد الملتزمين إلى اتخاـذ الزهد سبيلاً لحياتهم هرباً من التأثير بهذا التيار الحضاري الجديد .

وقد كان هؤلاء الزهاد يفعلون ذلك استجابة لآيات القرآن الكريم التي تحث على عدم الانغماس في الحياة الدنيا ، وترغب في الآخرة ، من مثل قوله تعالى " وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون " (١) . وقوله تعالى " وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون " (٢) ، وغير ذلك من الآيات القرآنية التي ليس هنا مجال لحصرها . كما أنهم كانوا يقتدون بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين كانوا مثلاً يحتذى به ، في عفتهم وزهدهم في الدنيا وحطامها ، وإقبالهم على الآخرة ، فحياتهم كلها تقوى وزهد وعبادة . وقد ضرب رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة فقد تفطرت قدامه من العبادة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اعترافاً بفضل الله وشكراً له . كما أن في سيرة صحابته رضوان الله عليهم أجمعين صوراً ناطقة تحكي تقشفهم ورفضهم للدنيا وزخرفها ، وثوكلهم على الله ، وإقبالهم على الآخرة طمعاً في نعيمه الذي أعد له لعباده المتقين .

---

(١) العنكبوت ٦٤ .

(٢) الأنعام ٣٢ .

ويذكر الجاحظ في البيان والتبيين أسماء بعض هؤلاء الزهاد (١) ، كما يذكر بعضاً من مواعظهم . من مثل قول الحسن البصري أشهر شخصياتهم في هذا العصر : " يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تريحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً ، يا ابن آدم ، إننا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، وإننا رأيتهم في الشرف لا تغبطهم به . الشواء هاهنا قليل والبقاء هناك طويل . . . فالوحاء الوحاء ، والنجاء النجاء . . . " (٢) وقوله " يا ابن آدم إن كان لا يفنيك ما يكفيك فليس هاهنا شيء يفنيك ، وإن كان يفنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يفنيك " (٣) ، وقوله : " إن امرأ ليس بينه وبين آدم إلا أب ميت لمعرق في الموت " (٤) .

وقد انعكست هذه المواعظ التي يرددها الحسن البصري وغيره على الشعر الأموي ، فظهرت بعض الأشعار التي تتفق في مضامينها مع ما كان يدعو إليه الزهاد من الإعراض عن الحياة الدنيا ، والتذكير بالموت ، والمصير ، والترغيب في الآخرة . وباستثناء سابق البربري ، وهو أحد الشعراء المجهولين في العصر الأموي ، والذي قصر معظم شعره على هذه الاتجاه الشعري ، حتى عده ببعض الدارسين أستاذاً لأبي العتاهية في فن الزهديات (٥) ، وبالإضافة إلى ما جاء

- 
- (١) البيان والتبيين . ٣٦٣/١ .
  - (٢) نفسه ١٣٢/٣ .
  - (٣) نفسه ١٣٦/٣ .
  - (٤) نفسه ١٧٢/٣ .
  - (٥) ديوان أشعار الموالى ١٧٣/١ .

في شعر الخواج ، فإن تيار الزهد لم يكن يمثل ظاهرة بارزة عند شعراء العصر الأموي الذين تناولوه في شعرهم .

فهذا وضاح اليمن يدعو نفسه إلى الكف عن الانغماس في الغزل ، والركض خلف النساء ، ويحذرهما من الموت الذي ينال النفوس ويقطع آمالها ، ويطلب منها التقرب إلى الله بالصلاة والأعمال الصالحة التي تنجيها في الآخرة ، بعد كل ما ارتكبه من زلل في الدنيا .

يقول وضاح اليمن :

مالك وضاح دائم الفزَلِ      أَلَسْتَ تَخْشَى تَقَارِبَ الْأَجَلِ  
يا موتُ ما إنْ تَزَالُ مُعْتَرِضاً      لَأَمَلٍ دُونَ مُنْتَهَى الْأَمَلِ  
تَنَالُ كَفَاكَ كُلَّ مُسْهَلَةٍ      وَحَوْتٍ بِحَرِّ وَمَعْقِلِ الْوَعِيَلِ  
صَلِّ لَدَى الْعَرْشِ وَاتَّخِذْ قَدَمًا      تُنْجِيكَ بَعْدَ الْمِثَارِ وَالزَّلَلِ (١)

ويدعو أعشى همدان إلى الزهد في الحياة التي لا تبقى للإنسان ، من خلال طرحه لصورة إنسان منعم سعيد ، غرتة الحياة الدنيا فما ليث أن جاءه الموت على غفلة ، فقاده إلى قبره دون أن يتزود مما كان يجمعه في حياته إلا بالحنوط ، والكفن ، وأعواد تشب له . وما أقل ذلك زاداً لإنسان ينطلق لآخرفته . وهو في ذلك ينبه الإنسان الغافل ليستيقظ من غفلته ، وانشغاله بالحياة الدنيا ، وتكالبه على جمع المال فيها ، دون التفكير بالموت ، وبما يصير

إليه في الآخرة . وفي نهاية القصيدة يستغفر الشا عر ربه عن أعماله السابقة  
التي إن لم يغفرها الله له فهو هالك ، قائلاً :

وبينما المرء أمسى ناعماً جندلاً في أهله مُعجباً بالعيشِ ذَا أَنْقِ  
غراً أتيح له من حينه عرضُ فما تلبثَ حستى ماتَ كالصِّقِ  
ثت أضحى ضحى من غبّ ثالثة مقنعاً غيرَ ذي روحٍ ولا رَمَقِ  
يبكى عليه وأدنوه لمظلمة تعلّى جوانبها بالتربّ والفلقِ  
فما تزودَ ما كان يجمعُهُ إلا حنوطاً وما واره من خِرقِ  
وغيرَ نَفحةٍ أعوادٍ تُسبُّ له وقلّ ذلك من زادٍ لمنطلقِ  
استغفرُ اللهَ أعمالي التي سلفت من عثرةٍ إن يعاقبنى بها أبى (١)

ويقف مالك بن دينار أمام القبور متسائلاً عن مصير الذين مضوا وانقطعت

أخبارهم من عظيم أو حقير، داعياً إلى الاعتبار بذلك ، فهو يقول :

أتيتُ القبورَ فنناديتهم من أينَ المعظمُ والمحتقرُ  
وأينَ المدلُّ بسُلطانِهِ وأينَ المزكى إذا ما افتخرُ  
تفانوا جميعاً فما مُخسِرُ وماتوا جميعاً وماتَ الخبِرُ  
تروح وتغدو بناتُ الثرى وتُحسى محاسنُ تلكَ الصُّورُ  
فيا سائلي عن أناسٍ مضوا أمالكَ فيما مضى معتبرُ (٢)

(١) الديوان ص ١٤٦ .

(٢) ديوان أشعار الموالى ٢/٣٥٦ .

ويتمجب عبد الله بن عروة بن الزبير من أناس ضلوا سبيل الهدى ، فأشفلتهم  
الحياة الدنيا بحفرياتها فنسوا العمل لآخرتهم ، استعجالاً لحظهم من الدنيا  
فهم ضالون مضلون .

يقول عبد الله :

يبيكون بالدين للدنيا وهجتها      أربابُ دُنْيَا عليها كُلُّهم صَادِي  
لا يعملون لشيءٍ من معادِهِمُ      تعجلوا حظهم في العاجلِ البَادِي  
لا يهتدون ولا يهدون تابعهم      ضلَّ المقودُ وضلَّ القائدُ الهادي (١)

ويصور الفرزدق المصير الذي ينتظره إن استمر في حياة الضلال ، يهجو الناس  
ويتبع هواه ، وكأنما هو يجهز نفسه للحياة الآخرة ، وشغلها عن طلب الدنيا .

يقول الفرزدق :

لقد خاب من أولادِ دارمَ من سقى      إلى النارِ مشدودَ الخناقةِ أزرَقَا  
إذا جأني يومَ القيامةِ قاعدٌ      عنيفٌ وسواقٌ يسوقُ الفرزدَقَا  
أخافُ وراءَ القبرِ إن لم يعافني      أشدَّ من القبرِ التهاباً وأضيَقَا  
إذا شربوا فيها الصديدَ رأيتهم      يذوبونَ من حرِّ الصديدِ تمزقَا (٢)

ومن الواضح التأثير القرآني في الأبيات السابقة . فالبيت الثاني استمد فيه الشاعر  
صورته الشعرية من قوله تعالى " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد " (٣) أما البيت  
الرابع فقد استقاه الشاعر من قوله تعالى " من وراءه جهنم ويسقى من

(١) جمهرة نسب قریش ١/٢٦٩ .

(٢) الديوان ٢/٣٩ .

(٣) ق ٢١ .



ماء صديد \* (١)

وفي مقدمة قصيدته التي يمدح بها أسد بن عبدالله القسري يدعو الفرزدق نفسه إلى التزود للأخرة بالأعمال الصالحة قبل أن تدركها المنية ، حيث ستدرك في لحظة الموت جدوى ما تقدم من صالح الأعمال ، فيقول :

تزوّدُ فما نفسٌ بعاملةٍ لها      إذا ما أتاها بالمنايا حديدُها  
فيوشكُ نفسٌ أن تكونَ حياتُها      وإن مسّها موتٌ طويلٌ خلودُها  
وسوف تَرى النفسُ التي اكتدحتُ لها      إذا النفسُ لم تنطقُ وماتَ وريدُها (٢)

وينمي عروة بن أذينة على الإنسان إقباله المحموم على الدنيا ، فهو يرتاع إذا شاهد الجنائز غير أن روعته هذه لا تلبث أن تتلاشى ليعود من بعدها إلى حياته اللاهية ، فهو يقول :

نراعُ إذا الجنائزُ قابلتُنَا      ويحزِنُنَا بمكاءُ الباكيَاتِ  
كروعةٍ ثلّةٍ لمفَارِ ذئبٍ      فلَمَّا غابَ عادتُ راتِعَاتِ (٣)

وفي مقدمة قصيدته التي يخاطب بها الحارث بن سريج ، يدعو نصر بن سيار نفسه إلى الزهد في الدنيا والأهل ، ماداموا لا يدومون له إلا أياماً معدودة يقطعها الأجل المحتوم . ويحثها على الإكثار من الأعمال الصالحة والاجتهاد فيها سراً ، فخير الأعمال ما كان خفياً . ثم يصور الحياة وتقلباتها على الإنسان

(١) ابراهيم ١٦ .

(٢) الديوان ١/١٥٠ .

(٣) الديوان ص ٣٠٩ .

فهي حلوة حيناً ، ومرة أحياناً ، ثم يدخل في صلب القصيدة ، فيدعو نفسه إلى  
الجهاد ضد الكافرين ، وكأنه رأى في ذلك تحقيق أمه .  
يقول نصر بن سيار :

دع عنك دنياً وأهلاً أنت تاركهم  
إلا بقية أيام إلى أجل  
أكثر تقى الله في الإسرار مجتهداً  
وأعلم بأنك بالأعمال مرتبهن  
إنني أرى الغبن المردي بصاحبه  
تكون للمرء أطواراً فتمنحه  
بيننا الفتى في نعيم العيش حوله  
تحلوه مرة حتى يسر بهما  
هل غابر من بقايا الدهر تنظره  
فامنح جهادك من لم يرج أخرة  
واقتل مواليتهم منا وناصرهم  
ماخير دنيا وأهل لا يدومونا  
فاطلب من الله أهلاً لا يموتونا  
إن التقى خيره ما كان مكنونا  
فكن لذاك كثير الهم محزوننا  
من كان في هذه الأيام مغبوننا  
يوماً عثراً وطوراً تمنح اللينا  
دهر فأمسى به عن ذاك مزبوننا  
حيناً وتمقره طعماً أحايينا  
إلا كما قد مضى فيما تقضونا  
وكن عدواً لقوم لا يصلوننا  
حيناً تكفرهم والمنهم حيناً (١)

وفي قصيدته التي يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، يتوقف نابغة بني شيان أمام  
الحياة مؤمناً ، وواعظاً .

فهو يعملن إيمانه بالله ، ورضاه بقضائه وقدره مهما يكن ، قائلاً :

(١) الطبري ٧/١٠٠ .

كلُّ ما اختصني به الله ربي  
لو أطيح الشموع أو تعتليني  
وإذا ما ذكرتُ صرفاً المنايا  
كل عيشٍ ولذةٍ ونعيمٍ  
كفني الحلم والمشيبُ وعقلي  
ونهي الله عن سبيل الضلال  
وأرى الفقرَ والفنى بيدِ الله  
وحتفَ النفوسِ في الآجالِ (١)

ثم يتحدث عن حتمية الموت وأنه المصير الذي لا مفر منه لكل كائن حي .  
فلا نسان مهما امتد به العمر وطال به الأجل لا بد صائر إلى ما صار إليه غيره  
فلكل نفس أجلها ولن يبق إلا وجه الله ، وينطلق من ذلك ليدعو إلى تقوى  
الله في السر والعلانية ، فكل إنسان عليه من الله رقيب ، والإنسان صائر إلى  
ربه ، فإما أن يكون فائزاً ينال الخير ، أو شقياً يصاب بالنكال ، قائلاً :

ليس حي يبقى وإن بلغ الكبرة إلا مصيره لزوال  
كل ثاوي يشوي لحين المنايا كجزورٍ حبستها بعقال  
إن تمت أنفس الأنام فإن الله يلقى صالح الأعمال  
كل ساعٍ سمى ليدرك شيئاً سوف يأتي بسعيه ذا الجلال  
فهم بين فائز نال خيراً وشقي أصابه بنكال  
إن من يركب الفواحش سرّاً حين يخلو بسوء غير خال  
كيف يخلو وعنده كاتبها شا هديه وربّه ذو المعال  
فاتق الله ما استطعت وأحسن إن تقوى الإله خير الخلال (٢)

(١) الديوان ص ٦٣ .

(٢) نفسه ص ٦٤ .

وفي قصيدة أخرى يدعو الإنسان للعمل الصالح ، ويذكره بالنشور بعد الموت حيث يجازى كل إنسان بعمله إن كان خيراً أو شراً .

يقول نابغة بني شيبان :

ألا أيها الإنسان هل أنت عاملٌ      فإنك بعد الموت لا بدّ ناشِئُ  
ألم تر أن الخيرَ والشرَّ فتنَةٌ      ذخائرٌ مجزِيٌّ بهسنٌ ذخائرُ  
ومن يعمل الخيراتِ أو يخطِ خالياً      يجازيها أيام تبلى السرائرُ (١)

ويمثل موضوع الزهد الجزء الأكبر مما وصل إلينا من شعر سابق البربري ، هذا الشاعر الأموي المغمور الذي قصر شعره على الزهد والحكمة .

والقارئ لشعر سابق يجد أنه يعتمد فيه إلى التذكير بالموت الذي يؤول إليه الناس جميعاً . فهو يبينه الغافلين السادرين في حياة اللهبو والمتعة ، والذين أنساهم زخرف الدنيا حياتهم الآخرة .

فالموت هو العنصر الأساسي الذي تدور حوله ، قصيدة الزهد عند هذا

الشاعر .

وأجدني اتفق مع محضون المقداد فيما ذهب إليه من " أن شعر سابق البربري كان في مستوى ما كان يدور عليه وعظ الحسن البصري من أفكار في أقواله

---

(١) الديوان ص ١٨ .

الوعظية والحكمية المأثورة عنه ، غير أن سابقاً صاغ ذلك شعراً في حين  
أن الحسن أداها نثراً " (١) .

فهذا سابق يحذر الإنسان من أن يرحل عن الدنيا ويباغته الموت  
دون أن يتزود منها بالزاد المطلوب وهو زاد التقوى الذي ينفعه في آخرته ،  
وذلك لئلا يندم على ما فاته عندما لا ينفع الندم ، فهو يقول :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى      وَوَأَمِيتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا  
نَدِيتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ شَرِكْتَهُ      وَأَرَصَدْتَ قَبْلَ الْمَوْتِ مَا كَانَ أَرَصَدَا (٢)

والصورة الشعرية في البيت الأول أخذها الشاعر من قوله تعالى " وتزودوا  
فإن خير الزاد التقوى " (٣)

ويقف في أبيات أخرى متأملاً أمام الموت الذي يباغت الإنسان في لحظاته  
الآمنة دون أن يملك أمامه إلا الاستسلام ، ليحيل أحلامه إلى سراب تذروه  
الرياح ، فيدفن في لحدّه تاركاً خلفه كل ما جمعه في حياته ، فالموت  
لا يفرق بين غني أو فقير . وهو في ذلك يئس الإنسان ويوقظه من غفلته التي  
قد تسلمه لها مغريات الحياة .

يقول سابق البربري :

وكم من صحيح بات للموت آمناً      أُنْتَهُ الْمَنَايَا بَغْتَةً بَعْدَ مَا هَجَعُ  
فلم يستطع إذ جاءه الموت بَغْتَةً      فَرَاراً وَلَا مِنْهُ بِقُوْتِهِ اِمْتَنَعُ

(١) ديوان أشعار الموالي ١/ ١٧٤ .

(٢) نفسه ١/ ١٧٦ .

(٣) البقرة ١٩٧ .

فأصبح تبيكه النساءُ مقنَّعاً      ولا يسمعُ الداعي      وإنْ صوته رُفِعَ  
وقربَ من لحدٍ فصارَ مقيلَهُ      وفارقَ ما قدْ كانَ بالأمسِ قدْ جَمَعَ  
فلا يتركُ الموتُ الفنىَ لمالِهِ      ولا معدماً في المالِ ذاكَ حاجةً يدَعُ (١)

وفي قصيدته التي كتب بها إلى عمر بن عبد العزيز يعظه ، يدعو الشاعر في بدايتها إلى الصبر على قضاء الله وقدره حتى ولو جاء بما لا يشتهي الإنسان ، فالحياة لا تصفو على ما يسر المرء .

ثم يظهر تعجبه من عدم اتعاض الناس على الرغم مما يسمعونه من مواعظ الواعظين ، وما يرونه من أخذ الموت لأحبائهم .

ويعجب - أيضاً - من إحساسهم بما ينقص من أمور دنياهم ، وغفلتهم عما أصاب حياتهم الدينية من نقص ، وكأنهم يطمعون بالخلود . وهو أمر مستحيل ، فما دام أصلهم وهو آدم قد مات ، فإن الموت لا بد مدركهم .  
يقول سابق البربري :

باسمِ الذي أنزلتْ من عندهِ السورُ      والحمدُ لله أماً بعدُ يا عمُرُ  
إنْ كنتَ تعلمُ ما تأتي وما تذرُ      فكُنْ على حذرٍ قدْ ينفعُ الحذرُ  
واصبرْ على القدرِ المحتومِ وارضِ بهِ      وإنْ أتاكَ بما لا تشتهي القدرُ  
فما صفا لا مريءٍ عيشٌ يسرُّ بهِ      إلا سيَتبعُ يوماً صفوه الكدرُ  
أصبحتمُ جزراً للموتِ يأخذكمُ      كما البهائمُ في الدنيا لكمُ جزرُ

وليس يزجركم ما توعظون به  
ما يشعرون بما في دينهم نقصوا  
والمهم يزرها الراعي فتزجر  
جهلاً وإن نقصوا دنياهم شعروا  
تبقي فروع لأصل حين ينمقرو  
أبعد آدم ترجون الخلود وهل  
لا ينفع الذكر قلباً قاسياً أبداً  
والحبل في الحجر القاسي له أثر (١)

وفي أطول قصائده - ٣٤ بيتاً - يعرّف سابق البربري على نفس النغمة الزاهدة التي تغلب على معظم أشعاره . فهو يبدؤها بالحديث عن الموت الذي لا بد من وقوعه على كل إنسان ، ويتعجب من ذاته الإنسانية التي تنشغل بلهو الحياة رغم إدراكها للموت وخوفها منه ، ويصور ما ينتظر الإنسان في القبر من أهوال ، حيث يمضي إليه مخلفاً وراءه ماله وأهله ، قائلاً :

تأوني هم كثير بلا بلية  
فويحي من الموت الذي هو واقع  
طروقاً فقال النوم عني غوائله  
أيأمن ريب الدهر يانفس واهن  
وللموت باب أنت لا بد داخله  
فلم أر في الدنيا وزو الجهل غافل  
تجيش له بالمفطعات مراجله  
فما باله يفدى من الموت نفسه  
أسيراً يخاف القتل واللهو شاغله  
ولا يفندي من موقف لو رمى الردى  
ويأمن سيف الدهر والدهر قاتله  
وبعد دخول القبر يا نفس كربة  
به جبلاً أضحت سراياً جنايله  
وهول تشيب المرضعين زلازله  
إن الأرض خفت بعد ثقل جبالها  
وخلّى سبيل البحر يا نفس ساحله

فلا يرتجى عوناً على حملِ وزره  
إذا الجسدُ المعمورُ زایل روحه  
وقد كان فيه الروحُ حيناً يزينه  
يزايلني مالي إذا النفسُ حشرجتُ  
سيءٌ وأولى الناسِ بالوزرِ حامله  
خوى وجمالُ البيتِ يا نفسُ أهله  
وما الغمدُ لولا نصله وحمائله  
وأهلى ، وكذحي لازمي لا أزايله (١)

ويعود في خاتمة القصيدة إلى تنبيه الانسان وتحذيره من الاغترار بالدينا ،  
والركض خلف ما فيها من متع زائلة ، ناسياً النعيم الدائم في الآخرة ، مذكراً  
إياه بتقلباتها على الناس ، إذ لا يمكن للمرء أن يأمن لها .

يقول سابق :

.....

فلا تفتكك بعد الهدى عن بصيرة  
وتطلبُ في الدنيا المنازلَ والعلا  
كمن غره كبحُ السرابِ بقيعسة  
وقد خانت الدنيا قروناً تتابعوا  
وتصبحُ فيها آمناً ثم لم تكن  
وقد ختلتنا باللطيفِ من الهوى  
رضينا بما فيها سفاهاً ولم يكن  
وعاقبة اللذاتِ تخشى وإنما  
وإن فرحتُ بالمرءِ يوماً حلائل

كما نكثَ الحبلُ المضاعفَ فاتله  
وتنسى نعيماً دائماً لا تزايله  
فقصر عن وردٍ يجيشُ مناهله  
كما خانَ أعلى البيتِ يوماً أسافله  
لتأمنَ في وادٍ بهِ الخوفُ نازله  
كما يختلُ الوحشيُّ بالشيءِ خاتله  
بييع سمينَ اللحمِ بالفتِّ أكله  
يكدرُ يوماً عاجلُ الأمرِ أجله  
فلا بدَّ يوماً أن ترنَّ حلائله (٢)

(١) ديوان أشعار الموالى ١/ ١٨٣ .

(٢) نفسه ١/ ١٨٥ .



والزهد - كما سبقت الإشارة - ظاهرة واضحة في شعر الخواج . ويحاول إحسان سر كيمس تفسير وجود هذه الظاهرة لديهم بقوله " وحيثما تتعثر بعض الحركات التاريخية التي تأتي في غير أوانها أو التي يماند الواقع سعيها ، فلا بد من ارتكاس نفسي لدى أفرادها وشعور بالفرة عن الحياة وبالتالي الزهد فيها " (١)

وعلى الرغم مما في هذا التفسير من المنطقية ، فإننا يمكن أن نضيف إليه تفسيراً آخر يبدو أكثر إقناعاً ، ونعني به دور طبقة القراء التي كانت تمثل نسبة غير قليلة منهم ، والتي كان لها تأثيرها في حياتهم عامة ، وفي شعرهم بوجه خاص . ويمزج الزهد عند الخواج بين رغبتهم في الموت في سبيل مبادئهم تطلعاً للحياة الآخرة وما أعدّه الله لهم في جنات النعيم ، وبين الخوف من النار وما فيها من عذاب أليم . أو بين التهوين من قيمة الحياة الدنيا ، وبين نقد من يفترون بها .

فالرهبين بن سهم المرادي يرفض الحياة الدنيا الغانية طمعاً في الحياة الباقية ، ويسأل الله أن يستشهد ليلحق برفيقه حرقوس في جنة الفردوس، قائلاً :

يا نفسُ قد طالَ في الدنيا مُراوغتي      لا تأمنين لأصرفِ الدهرِ تنغيصا  
إنِّي لبائعٌ ما يَفْنَى لباقيةٍ      إنْ لمْ يَعُقْنِي رجاءُ العيشِ تربيصا

(١) الظاهرة الأدبية ص ٢٩٦ .

أخشى فُجَاءَةَ قَوْمٍ أَنْ تُعَاجِلَنِي      ولم أُردْ بطوالِ العُمُرِ تنقيصاً  
وأَسْأَلُ اللهَ بَيْعَ النَّفْسِ مُحْتَسِباً      حتى الأُقي في الفردوسِ حرقوصاً  
وابنِ المنيحِ ومرداساً وإخوتَهُ      إن فارقوا زهرةَ الدنيا مَحَامِيساً (١)

وهذه المعاني في رفض الدنيا المنقطعة ، والرغبة في الشهادة التي يتحقق من خلالها الهدف الأسمى للإنسان الخارجي وهو الوصول إلى الجنة ، هو

ما تعبر عنه أبيات أحد شعراء الخوارج ، حيث يقول :

يا نفسُ من طولِ الحياةِ مِلِّي  
وعيشِك المنقطعِ المولِّي  
عليّ ألقى عاصماً لعلِّي  
في جنَّةٍ عاليةٍ وظلِّ  
وبيهساً وكهمسِ المصلي (٢)

ويعجب الطرماح بن حكيم ممن يجمع المال في الدنيا ويباهى به ، ويشغله ذلك عن القيام بالواجبات الدينية تجاه ربه ، ودون أن يتذكر مصيره فسي

الآخرة حيث لا تنفع قرابة ولا مودة ، فهو يقول :

كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدةَ العُمُرِ ومودٍ إذا انقضى عدده  
عجباً ما عجتُ من جامعِ المالِ يُباهى بهُ ويرتفدهُ  
ويضيعُ الذي يصيره اللهُ إليه فليسَ يعتقدهُ

(١) شعر الخوارج ص ٧٦ .

(٢) نفسه ص ٢٢١ .

يومَ لا يَنفَعُ المَخوْلُ ذَا الشُّرُوْةِ خِلاَنُهُ ولا وَلَدُهُ  
ثمَّ يُؤْتَى بِهِ وَخِصْمَاهُ وَسَطَ الجَنِّ وَالْإِنْسِ رِجْلُهُ وَيَدُهُ  
خَاشِعَ الطَّرْفِ لَيْسَ يَنْفَعُهُ ثُمَّ أَمَانِيَّتهُ ولا لِسَدْرُهُ  
قل لباكي الأموات لا يبيك للناس ولا يستنع به فندة .  
إنما الناسُ مثل نابتةِ الزرعِ متى يَأْنِ يَأْتِ محتصدُهُ (١)

ومن الواضح التأثير القرآني في الأبيات السابقة . فالبيت الرابع يستمده الشاعر من قوله تعالى " يوم لا ينفع مال ولا بنون " (٢) أما الصورة في البيت الخامس فمصدرها قوله تعالى " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون " (٣)

وبعد . . فمن خلال النماذج السابقة التي تدعو إلى الزهد في الدنيا وتنتقد المغترين بها ، والتي تذكر بالموت ، وترغب في الحياة الآخرة . يتضح للدارس بصورة أكيدة أن شعر الزهد قد شهد مولده الحقيقي في العصر الأموي ، ثم تطور بعد ذلك حتى أصبح ظاهرة في العصر العباسي . وهو شعر يستقى أفكاره من الإسلام بما يدعو إليه من مثل سامية وقيم رفيعة .

(١) الديوان ١٩٧ .

(٢) الشعراء ٨٨ .

(٣) النور ٢٤ .

٤ - الوصف

الوصف كما عرفه أحد النقاد القدامى \* هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات \* (١) . وهو أحد الموضوعات الشعرية التي شغلت حيزاً كبيراً من النتاج الشعري عبر عصور الشعر العربي المختلفة . على الرغم من أنه لا يعمد في كثير من الأوقات موضوعاً منفرداً بذاته ، وإنما يتخلل الموضوعات الشعرية على اختلافها ، فقد تجده في مقدمة القصيدة أو بين ثناياها .

وقد توقف الشاعر العربي القديم أمام الطبيعة من حوله ، فراح يصف أغلب ما تقع عليه عيناه . من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وأرض ، وسماء ، وأطلال ، ورياح ، وأمطار . فكان هناك من الشعراء من تفوق في وصف الخيل أو الإبل ، أو الصيد والطرود وغير ذلك . (٢)

ومن خلال قراءة نتاج العصر الأموي في هذا اللون الشعري ، لا يعدم الباحث أن يجد بعض الأبيات التي تحمل شيئاً من الملامح الجديدة التي تعطي انطباعاً جيداً عن تأثر شعرائه بالإسلام .

لقد كان من عادة الشاعر العربي القديم في العصر الجاهلي أن يقف على أطلال الديار ليصف ما بقي من آثار أهلها ، وقد سار الشعراء الأمويون على

(١) نقد الشعر ص ١١٨ .

(٢) انظر العمدة ٢/٢٩٦ .

نهج سابقهم في الوقوف على الأطلال ، ويسترعى الباحث أن يجد  
بعض الشعراء قد عنوا بإضافة معلم جديد جاء مع الإسلام . هذا المعلم  
يرتبط بحياة الإنسان المسلم ارتباطاً وثيقاً ، وليس هناك ديار إسلامية تخلو  
منه . إنه المسجد مركز العبادة الدينية ، فهم يشيرون إليه ويذكرونه باسمه  
عند حديثهم عن مشاهدهم الظلمية .

فهذا الراعي النميري يقف أمام منازل حي من أحياء العرب ، فلا يلح  
من آثارهم إلا المسجد ، ومربط الدواب .  
يقول الراعي النميري :

ظللنا سراً اليوم من حُبِّ أهلها      نسائلُ آناً لها وأثافيها  
بذي الرِّضَم سار الحيُّ منها فماترى      بها العينُ إلا سجداً وأواريا (١)

ويقول في وقفة ظلمية أخرى :

تُشيرُ وتبدي عن ديارِ بنجوةٍ      أضربها من ذي البطاحِ خليجُ  
علامتها أعضاء نؤي ومَسجدُ      ييابُ ومضروبُ القذالِ شجيجُ (٢)

ويبدأ طريح بن يسار قصيدته التي يمدح بها الوليد بن يزيد بمقدمة ظلمية  
فيصف ديار حبيته التي خلت فلم يبق فيها من المعالم إلا الرماد ، والوتد  
والمسجد ، ومجلس القوم ، قائلاً :

(١) الديوان ص ١٠٩ .

(٢) نفسه ص ١٢٣ .

أَقْرَمَنْ يَحْلُهُ السَّنْدُ فَاَلْمَنْحَى فَاَلْمَعْيَقُ فَاَلْجَمْدُ  
لَمْ يَبْقَ فِيهَا مِنْ الْمَعَارِفِ بَعْدَ الْحَيِّ إِلَّا الرَّمَادُ وَالْوَتْدُ  
وَعَرَصَةٌ نَكَّرَتْ مَعَالِمَهَا الرِّيحُ بِهَا مَسْجِدٌ وَمُنْتَضِدٌ (١)  
وهذا المشهد الطللي يتكرر عند أمية بن أبي عائذ الذي يقول في إحدى  
قصائده :

فِيهَا رَسُومٌ كَالْوَشُومِ بِأَقْدَحِ النَّمُتِ زَيْدِينَ تَخَاطَرُ الْأَشْقَاصِ  
لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ مِنْ آيَاتِهَا إِلَّا سَطُورَ مَسَاجِدٍ وَعِرَاصِ (٢)  
فالمسجد الذي لا تخلو منه المنازل الإسلامية صار عند هؤلاء الشعراء جزءاً  
لا يتجزأ من المشهد الطللي لديهم .

وفي وصفه للصحراء تستوقف الطرماح بن حكيم بعض الصور الإسلامية  
الجديدة .

فهو في أحد أبياته يذكر من الآثار التي رآها ضربة كف تيمم صاحبها  
بتراب الصحراء لفقدانه الماء ، فهو يقول :

وَضِبْثَةٌ كَفٌّ بَاشَرَتْ بِنَانِهَا صَعِيداً كَهَاها فَقَدْ مَاءِ الْمَصَافِنِ (٣)

(١) شعراء أمويون ٢٩٧/٣ .

(٢) شرح أشعار الهذليين ٤٨٨/٢ ، الشقص : الشىء اليسير .

(٣) الديوان ص ٤٩٥ ، ضبثة : ضربة ، المصافن : الذي يصفان الماء ، أي  
يقسمه ، والمصافنة اقتسام الماء على حصة يلقونها في إناء ، ويصبون فيه  
من الماء بقدر ما يفر الحصة .

وفي بيت آخر يصف آثار رجل يصلي . فقد ارتسم على التراب موضع ركبتيه  
وأثر سجوده ، قائلاً :

وموضع مثنى ركبتين وسجدةٍ  
توخى بها ركنَ الحَيطِ الميَّمينِ (١)  
وقد تجلّى التأثير الإسلامي على شعر الوصف في صورة أخرى أكثر أهمية ، وتمثل  
ذلك في تلك الصور الفنية التي استمدتها الشعراء من الحياة الإسلامية  
الجديدة . ومعلوم أن الصورة الفنية تمثل ركيزة أساسية في هذا اللون  
الشعري .

فالطرماح بن حكيم يصف الآثار في أحد المواضع ، فيشبهها بخط المصحف الدقيق ،  
فيقول :

أهاجك بالملاءِ ومن عوافي  
كخط الكفِّ بالآي العجافِ (٢)  
وفي قصيدة أخرى يشبه الثور الوحشي وهو يسرع هارباً من الكلاب بالنجم الذي  
يرجم به الشيطان ، قائلاً :

وولّى كنجم الرجم بعد عدايه  
يُضيفُ وأشقى النفر نفا المعايين (٣)  
وهو يستوحي الصورة من قوله تعالى " وجعلناها رجوماً للشياطين " (٤)

- 
- (١) الديوان ص ٤٩٦ .  
(٢) نفسه ص ٣١٩ ، الملا : اسم موضع ، العجاف : جمع اعجف وهو الضميف  
الهزيل .  
(٣) نفسه ص ٥٠٨ ، العداد : الوقت والموعِد ، يضيف : يشفق ويحذر من  
الخوف . النفر : النفور والفرار . وأشقى النفر للنفس نفا الذي يعاين الخطر .  
(٤) الملك ٥ .

ويشبهه - في إحدى قصائده - حفيف شجر الأُرطى الذي يحدثه هبوب

الريح بتنادي الحجيج وأصواتهم المختلطة ، فيقول :

بمُسترجفِ الأُرطى كأنَّ جروسَهْ    تداعي حجيجٍ رجعه غيرُ مُفصحِ (١)

ويصور الغرزدق في قصيدته التي يرثي بها عبد العزيز بن مروان مدى الحزن

الذي أصاب أهله لفقده ، فهم يقبلون التراب الذي دفن تحته ، ويستحضر

لرسم صورته صورة أخرى تحمل طابعاً دينياً . وهي صورة تقبيل الحجيج للحجر

الأسود أثناء طوافها بالكعبة ، قائلاً :

ظلّوا على قبره يستغفرون له    وقد يقولون تارات لنا العبرُ

يقبلون تراباً فوق أعظميه    كما يقبل في المحجوجة الحجرُ (٢)

ويصف الأحوص سرعة ناقته ، فهي قد قطعت المسافة بين مكة والبرك في وقت

قصير ، ويشبه قصره بنومة المتهدد الذي لا يغفو إلا قليلاً من الوقت استعداداً

منه لقيام الليل .

يقول الأحوص :

فما جعلت ما بين مكة ناقتي    إلى البرك إلا نومة المتهددِ (٣)

وعلى الرغم من نصرانيته ، فإننا لا نعدم أن نجد في شعر الوصف عند الأخطل

بعض الملامح الإسلامية .

---

(١) الديوان ص ١١٢ ، الأُرطى : شجر ينبت بالرمل ، ومسترجف الأُرطى :

المكان الذي يسترجف فيه الأُرطى من الرياح ، جروسه : حفيفه الذي يحدث

من هبوب الريح ، غير مفصح : غير مفهوم .

(٢) الديوان ١/١٨٦ .

(٣) الديوان ص ٢١٩ .



فهو يصور الحرياء وهو منتصب تجاه الشمس مدة طويلة ، فيشبهه بمصل يقسراً  
طوال السور ، قائلاً :

إِنْ لَا تَجْهَمُنِي أَرْضُ الْعَدُوِّ وَلَا      عَسْفُ الْبَلَاءِ إِذَا حَرِيَاءُهَا جَدَّ لَا  
يَظَلُّ مُرْتَبِعًا لِلشَّمْسِ تَصْهَرُهُ      إِذَا رَأَى الشَّمْسَ مَالَتْ جَانِبًا عَدَّ لَا  
كَأَنَّهُ حِينَ يَمْتَدُّ النَّهَارُ لَهُ      إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانٍ يَقْسِرُ الطَّوَلَا (١)

ويقول من قصيدة أخرى :

أَجَزْتُ إِذَا الْحَرِيَاءُ أَوْفَى كَأَنَّهُ      مَصَلٍ يَمَانٍ أَوْ أُسَيْرٌ مَكْبَل (٢)

ويصور في إحدى قصائده الثور الوحشي وقد لجأ إلى أرطاة ليستظل بها من  
المطر ، وقد تتداني من الأرض ، فكأنه ساجد يسبح لله ويبتهل ، قائلاً :

فَبَاتَ فِي حِقْفِ أَرطَاةٍ يَلُونُ بِهَا      إِذَا أَحْسَّ بِسَبِيلِ تَحْتَهُ انْتَقَلَا  
كَأَنَّهُ سَاجِدٌ مِنْ نَضْحِ دَيْمَتِهِ      مَسِيحٌ قَامَ بَعْضَ اللَّيْلِ فَابْتَهَلَا (٣)

ويشبه العرجي نزول محبوبته ورفيقاتها في أحد المواضع بنزول الحجيج في منى  
لرمى الجمار ، قائلاً :

حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ وَقَارَبُوا      زُرْقًا وَأَسْهَلَ لِلْمَنِيخِ جَنَابُهُ  
نَزَلُوا كَمَا نَزَلَ الْحَجِيجُ بِأَبْطَحٍ      ضَمَّتْهُمْ عِنْدَ الْجَمَارِ حَصَابُهُ (٤)

- 
- (١) الديوان ص ١٥٤ ، مرتباً : المشرف على رابية يرقب . عدل : مال .  
الحرياء : دويبة تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيفما دارت .  
(٢) نفسه ص ٢٢ .  
(٣) نفسه ص ١٥١ ، الحقف : الكتيب من الرمل إذا تقوس . والأرطاة شجرة  
لا تنبت إلا في الرمل .  
(٤) الديوان ص ٣٠ .

ويصور العرجي في قصيدة أخرى انقراض الناس عليه وعلى رفيقه الحصين بن غرير الحميري الذي قبض عليه معه ، فيلتقط للتعبير عن ذلك صورة قرآنية هي فزع الناس من نفخة البوق ، قائلاً :

والناس شطرانٍ من ذي يَفْضَةِ حَنِيقٍ      ومن مَفِيظٍ بدمع العينِ مَخْنُوقِ  
هووا لنا زمرًا من كلِّ ناحِيَةٍ      كأنما فَزَعُوا من نفخةِ البوقِ (١)

ويشبه الراعي النميري خدي محبوبته بمصحفين خطهما واضح أزهر ، قائلاً :

تَقَلَّبُ خَدَّيْنِ كالمصْحَفَيْنِ خَطُّهُمَا      واضحٌ أَزْهَرُ (٢)

ويشبه جميل بثينة ريق النساء بالطهور ، وذلك في قوله :

إلى رَجَحِ الأَكْفَالِ هَيْفِ خُصُورُهَا      عذابِ الثنايا رِيْقُهُنَّ طَهْرُورُ (٣)

ومن خلال الأمثلة السابقة ، وبالإضافة إلى ما يربو على خمسة عشر مثالا في شعر

ذي الرمة (٤) ، يتضح للباحث أن موضوع الوصف قد تأثر هو الآخر بالإسلام ، وانعكست

على أبياته بعض الملامح الإسلامية الجديدة . كما هو الحال في مختلف موضوعات الشعر

الأموي التي ظهر واضحا تأثرها بهذا الدين .

(١) الديوان ص ١٣٨ .

(٢) الديوان ص ٢٠٨ .

(٣) الديوان ص ٩٣ .

(٤) إن إغفال هذه الدراسة لقصيدة الوصف عند ذي الرمة ، على الرغم من مكانته

بين شعراء هذا اللون الشعري في العصر الأموي ، جاء نابعا من اطلاعنا على

تلك الدراسة الفريدة والقيمة التي قام بها د . يوسف خليف حول " ذوالرمة

شاعر الحب والصحراء " والتي أفرد جزءا منها لدراسة أثر الإسلام في شعره

تحت عنوان " تيار جديد " وقد أعطى خليف الموضوع حقه تماما ، بحيث لم يتح

لنا مجالاً للزيادة عليه . انظر كتاب ذوالرمة شاعر الحب والصحراء ص ٣٩١ وما

بعدها .

## الباب الثالث

# أثر الثقافة الإسلامية في الشعر الأموي

- الفصل الأول : العقيدة والعبادات  
والأخلاق الإسلامية
- الفصل الثاني : الأحكام الفقهية  
والحدود الشرعية
- الفصل الثالث : القصص القرآني

” ” أثر الثقافة الإسلامية في الشعر الأموي ” ”

في الفصول السابقة تحدثنا عن الأثر الذي تركه الإسلام في موضوعات الشعر الأموي ، حيث ظهرت لنا المضامين الإسلامية الجديدة التي دخلت على مختلف الموضوعات الشعرية من مديح ، وغزل ، وهجاء ، وفخسر ، ووصف ، ورثاء . . . . . الخ .

وسنحاول هنا من خلال قراءة أخرى لشعر تلك الفترة الوقوف على الألوان والعناصر الإسلامية التي ميزت ثقافة الشاعر الأموي الدينية . وهي ثقافة - دون شك - تعتمد على منابع الإسلام الحقيقية التي تتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي ، كما تعتمد على نشأة الشاعر في بيئة إسلامية .

أما القرآن الكريم فباعتباره دستور الإسلام الخالد ، وكتابه المقدس الذي " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (١) . وهو معجزة الإسلام الكبرى . الذي تحدى العرب وهم أرباب الفصاحة وأهل البيان ، وأمعن في تحديهم ، وطالبهم بالإتيان بسورة من مثله . ووقفوا عاجزين أمامه ، واعترفوا ببلاغة نظمه وقوة حجته وبيانه ، فقد كان

---

(١) فصلت (٤٢) .

أقوى من أي فصاحة وبيان عرفوها من قبل . وقد نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر يحتل منزلة كبيرة في نفوسهم ، لذا أحرصت الألسن بعد نزوله ، ونزل الشعر مرتبة ثانية بعد القرآن ، وانشغل المسلمون بل انصرفوا إلى دراسته وتدبر آياته ومعانيه مما قلل اهتمامهم بالشعر . وقد امتد ذلك التأثير إلى الشعراء أنفسهم فتوقف بعضهم عن قول الشعر ، وأقبل على القرآن يقرأه ، وينهل من معينه الصافي كما فعل لبيد ابن ربيعة<sup>(١)</sup> . وأخذ بعضهم في محاكاته ، وذلك بالاعتباس من آياته ، وتضمينها أشعارهم .

وقد مر بنا أن تأثير القرآن على لغة الشعر في عصر صدر الإسلام هي أبرز ملامح التأثير الإسلامي آنذاك .

وأما الحديث النبوي وهو " كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم ، من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي " .<sup>(٢)</sup> فتأتي أهميته في كونه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، كما أنه يفصل ما أجمله القرآن ويفسره . فالصلاة - على سبيل المثال - لا نجد في القرآن إلا الدعوة إلى إقامتها ، فجاء الحديث ليبين عدد ركعاتها وأركانها وهيئتها .

ولاشك أن نشأة الشاعر في بيئة إسلامية تتخذ من الدين الإسلامي

(١) الشعر والشعراء ٢٨١/١ ، طبقات فحول الشعراء ١/١٣٥ .

(٢) السنة قبل التدوين ص ١٦ .

عقيدة لها ومنهج حياة ، قد ساعد على نمو ثقافته الإسلامية وذلك من خلال تفاعله مع واقعه الاجتماعي ، ومن واقع ما يسمعه أو يراه من التزام بأداء الواجبات الدينية ، وتطبيق لأحكام الشريعة الإسلامية ، وفي ظل ارتياده للمجالس الدينية كما كان يفعل الفرزدق وجريير .<sup>(١)</sup>

كل هذه الأمور وغيرها أسهمت في تكوين الثقافة الإسلامية لدى

الشاعر الأموي .

---

(١) العقد الفريد ٣٨٣/٥ .

"" الفصل الأول ""

---

"" العقيدة والعبادات والأخلاق الإسلامية ""

---

أولاً : العقيدة :

تقوم العقيدة الإسلامية على بعض المفاهيم الأساسية التي تتمثل في أصول الإيمان الستة الوارد ذكرها في قوله تعالى " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین . . " البقرة ( ١٧٧ ) ، وقوله تعالى " إنا كل شيء خلقناه بقدر . . " القمر ( ٤٩ ) ، وكما جاء في الحديث الصحيح " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . . " (١)

وفي الشعر الأموي تطالعنا العديد من الشواهد الشعرية الدالة على معرفة بأصول الإيمان ، والتي تنبئ عن عقيدة سليمة كانت تستقر في صدورهم ، وأجدني اتفق مع الدكتور مصطفى عبد الواحد الذي يرى " أن الشعر الأموي قد برى من التفلسف والتزندق . . الذي عرف في بعض شعراء العصر العباسي ، الشعوبيين والماجنين . . الذين أصابتهم الفتنة باتصالهم بأصحاب المذاهب الفاسدة ، وجاهليات الحضارات الوافدة .. وكانوا يتظرفون بذلك . . . . . " (٢)

( ١ ) توحيد الله :

أساس العقيدة الإسلامية هو توحيد الله عز وجل بإفراده بالعبادة .

( ١ ) صحيح مسلم ١ / ٣٧٠ .

( ٢ ) أثر الاسلام في شعر الفرزدق ص ١٥ .



قال تعالى " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ،

لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

وقد عبر أكثر من شاعر أموي عن فكرة التوحيد في شعره .

يقول جرير مخاطباً زوجته :

ثقي بالله ليس له شريك\*  
(١) ومن عند الخليفة بالنجاح

ويقول عبد الله بن الحجاج :

نجانسي الله فرداً لا شريك له\*  
(٢) بالقريتين ونفس صلبة العود

ويقول ثابت قطنة :

فلولا الله ليس له شريك\*  
وضربي قونس الملك الهمام  
(٣) أمام الترك بادية الخدام

ويقول نابغة بني شيبان :

ولولا الله ليس له شريك\*  
(٤) إله الناس ذو ملك وعرش

ومن تمام الإيمان بالله التوكل عليه في جميع الأمور ، وهو أمر حث القرآن

المؤمنين على الالتزام به ، قال تعالى " والله وليهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون " آل عمران ١٢٢ .

(١) الديوان ٨٩/١

(٢) الأغاني ١٣/١٢٤

(٣) ديوان اشعار الموالي ٣٩/١ ، الطبري ٦/٦١١

(٤) الديوان ص ٢٢

ويعبر الفرزدق عن هذه الفكرة في قوله :

وإنّ الذي يغترّ بالله ضائعٌ<sup>(١)</sup> ولكنّ سينجّي الله من يتوكّل

ويعبر عنها جميل بن معمر ، قائلاً :

كلوا اليوم من رزقِ الإله وابشروا فإنّ على الرحمن رزقكم غداً<sup>(٢)</sup>

ويقول جحدر بن معاوية :

إذا انقطعت نفسُ الفتى وأخبه من الأرض رمسٌ ذو ترابٍ وجندلٍ  
رأى إنّما الدنيا غرورٌ وإنّما ثوابُ الفتى في صبره والتوكّل<sup>(٣)</sup>

ووصف الشاعر للدنيا بالغرور اقتبس من قوله تعالى " وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور " الحديد ٢٠ .

ويقول ابو الأسود الدؤلي يدعو إلى التوكّل على الله :

إذا كنتَ معنياً بأمرٍ تريدهُ فما للمضاءِ والتوكّلِ من مثلي  
توكّل وحملُ أمرِك الله إنّ ما يرادُ له أتيك أنت له مخلص  
فلا تحسبنّ السيرَ أقربَ للردى من الخفضِ في دارِ المقامةِ والثمل<sup>(٤)</sup>

وامتداداً لإيمانهم بالله وتوحيده ، فقد عبر الشعراء عن تمجيدهم وتعظيمهم له ، وذلك بثبات الصفات التي تليق بجلال الله وعظمته ، والتي أثبتتها لنفسه في كتابه العزيز .

(١) الديوان ٢/ ٧٩ .

(٢) الديوان ص ٧٨ .

(٣) شعراء أمويون ١/ ١٨١ .

(٤) الديوان ص ٣٥ ، مغل : أي خلولا شئ يحول بينه وبينك ، الثمل : العيش .

فهو عالم الغيب ، قال تعالى " ولله غيب السموات والأرض وإليه

يرجع الأمر كله " هود ١٢٣ .

يقول الراعي النميري :

وإنني لداعيك الحلال وعاصماً<sup>(١)</sup> أباك وعند الله علم المغيب<sup>(١)</sup>

ويقول عبيد بن أيوب العنبري :

أنستُ بها لمابدتُ وألفتها<sup>(٢)</sup> وحتى دنتُ والله بالغيب أبصر<sup>(٢)</sup>

ويقول الفرزدق :

ملكٌ به قِصمُ الملوكُ وعندهُ<sup>(٣)</sup> علمُ الغيوبِ ووقتُ كلِّ حِمَامٍ<sup>(٣)</sup>

وهو سبحانه وتعالى يعلم ما تخفيه الصدور ، قال تعالى " يعلم

خائنة الأعين وما تخفي الصدور " غافر ١٩ .

يقول قيس بن الملوح :

دعوتُ إلهي دعوةً ما جهلتها<sup>(٤)</sup> وربِّي بما تخفي الصدورُ بصير<sup>(٤)</sup>

وهو الذي خلق السموات والأرض ، قال تعالى " الحمد لله الذي خلق

السموات والأرض " الأنعام ١ .

يقول الفرزدق :

وهو الذي ابتدَعَ السماءَ وأرضها<sup>(٥)</sup> ورسولهُ وخليفةَ الآنامِ<sup>(٥)</sup>

(١) الديوان ص ١٨٨ .

(٢) شعراء أمويون ٢١٢/١ .

(٣) الديوان ٢٨٤/٢ .

(٤) الديوان ص ١٤٠ .

(٥) الديوان ٢٨٤/٢ .

وهو رب العرش ، قال تعالى " فسبحان الله رب العرش عـمـا

يصفون " الأنبياء ٢٢ .

يقول العدّيل العجلي :

أعطاك ذ والعرش ما أعطى كرامتهُ ربُّ الرسولِ له سُيما وتسويمٌ<sup>(١)</sup>

ويقول جرير :

ذ والعرشِ قد ر أن تكونَ خليفةُ مُلكت فأعل على المنابر واسلم<sup>(٢)</sup>

ويقول الجعد بن ضمام الدوسي :

دعوا خصمهم بالمحكّماتِ فبيّنوا ضلالتهم واللهُ ذ والعرشِ يسمع<sup>(٣)</sup>

وهو في هذا البيت يثبت صفة السمع لله عز وجل والتي أثبتتها لنفسه

في قوله تعالى " واتقوا الله إن الله سميع عليم " الحجرات ١ .

ويقول الفرزدق مثبناً صفة السمع لله عز وجل :

دعوا ليستخلف الرحمنُ خيرهمُ واللهُ يسمعُ دعوى كلِّ مكروبٍ<sup>(٤)</sup>

ويقول جرير :

ودعا الخليفةُ فاستجيب دعاهُ واللهُ يسمعُ دعوةَ الأجنادِ<sup>(٥)</sup>

---

(١) شعراء أمويون ١ / ٣١٨ .

(٢) الديوان ١ / ٧٠ .

(٣) شعر الخواج ص ١٩٧ .

(٤) الديوان ١ / ٢٤ .

(٥) الديوان ١ / ٥٠٧ .

ومن صفاته التي تليق بجلالته وعظمته العفو والمغفرة، قال تعالى

" فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا " . النساء ٩٩

يقول عمر بن أبي ربيعة :

فديتك اطلقي حبلي وجودي      فَإِنَّ اللَّهَ ذُو عَفْوٍ غَفُورٍ<sup>(١)</sup>

ويقول محارب بن دثار يرثي :

على جميلة صلوات الأبرار  
ومطراً فاغفر له يا غفار<sup>(٢)</sup>

(٢) الإيمان بالملائكة :

المراد بالإيمان بالملائكة هو "التصديق بوجودهم ، وأنهم كما وصفهم الله تعالى عباد مكرمون"<sup>(٣)</sup> ، قال تعالى " الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً " فاطر ١ .

وفي قصيدته التي يرثي بها زوجه يدعو جريير لها بالصلوات من

الملائكة ، د الأعلى إيمانه بهم ، قائلاً :

صلى الملائكة الذين تُخَيَّرُوا      والصالحون عليك والأبرارُ  
وعليك من صلوات ربك كلما      نصب الحجيج ملبدين وغاروا<sup>(٤)</sup>

(١) الديوان ص ١٥٨ .

(٢) شعر الخواج ص ٢٠٩ .

(٣) فتح الباري ١ / ٢٥٠ .

(٤) الديوان ٢ / ٨٦٤ ، وانظر ٢ / ١٠١٥ .

وهو يستوحى ذلك من قوله تعالى " إن الله وملائكته يصلون على النبي  
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً " الأحزاب ٥٦ .  
ويقول أيوب بن خولي البجلي يرثي :

كفى حزناً أنّي تذكرتُ جابراً      على جابرٍ صلّت خيارُ الملائكِ<sup>(١)</sup>

وفكرة انزال الملائكة لنصرة المسلمين في غزوة بدر ذكرها القرآن الكريم في  
قوله تعالى " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة  
مردفين . . . . إذ يوحى ربك إلى الملائكة إنى معكم فثبتوا الذين آمنوا  
الأنفال ٩ - ١٢ .

وقد استلهم جرير هذه الآيات في قوله يمجّد انتصارات الحجاج :

صبرت النفس يا بن أبي عقيل      محافظةً فكيف ترى الثوابا  
ولو لم يرض ربك لم ينزل      مع النصر الملائكة الغضابا<sup>(٢)</sup>

وتتكرر هذه الصورة التي تدور حول انزال الملائكة لنصرة المؤمنين عند  
الفرزدق في قصيدة يمدح بها الحجاج قائلاً :

دعوا ودعا الحجاج والخيلُ بينها      مدى النيلِ في سامي العجاجة أكد را  
إلى باعث الموتى لينزل نصره      فأنزل للحجاج نصراً مـؤزراً

(١) شعر الخواج ص ٢١٦، وانظر ديوان الأحوص ص ١٥٧، وديوان  
الوليد بن يزيد ص ٢٩ .

(٢) الديوان ١/٢٤٤، وانظر أيضاً ٢/٧٤٣ .

ملائكةً من يجعلُ اللهُ نصرَهُم      لهُ يَكُ أعلى في القتالِ وأصبراً  
رأوا جبرئيلَ فيهمُ إذ لقوهمُ      وأمثالُه من ذي جناحينَ أظهرًا<sup>(١)</sup>

(٣) الإيمان بالكتب :

الإيمان بالكتب السماوية يقتضي الاعتقاد بأنها من كلام الله عز وجل  
وأن ما ورد فيها حق .  
وفي الشعر الأموي هناك ما يدل على معرفة الشعراء بالكتب السماوية  
السابقة للقرآن .

يقول الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك :

أنتَ الذي نعتَ الكتابُ لنا      في ناطقِ التوراةِ والزبورِ  
كم كانَ من قسٍّ يخبرنا      بخلافةِ المهديِّ أو حابرِ  
جعلَ الإلهُ لنا خلافتَهُ      برء القروحِ وعصمةِ الجبرِ<sup>(٢)</sup>

ويقول جرير يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك :

اللهُ أعطاكم من عليهِ بكمُ      حكماً وما بعدَ حكمِ اللهِ تعقيبُ  
أنتَ الخليفةُ للرحمنِ يعرفهُ      أهلُ الزبورِ وفي التوراةِ مكتوبُ<sup>(٣)</sup>

أما القرآن وهو الكتاب السماوي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم

(١) الديوان ٢٤٢/١ .

(٢) الديوان ٢٦٤/١ .

(٣) الديوان ٣٤٩/١ .

فإن ذكره يتردد كثيراً في شعر هذا العصر، مما يؤكد على إدراك الشعراء  
لما يمثله هذا الكتاب الجليل من قيمة كبيرة في حياة المسلمين .

فهذا أحد الخواج الذين اضطروهم عبيد الله بن زياد إلى ترك  
مجالسة إخوانه ، يظهر تحسره على انغماسه في الأحاديث اللاهية  
بعد أن اعتاد على تلاوة القرآن ، قائلاً :

ما زال بي صرفُ الزمان وريبه      حتى رفضتُ مجالسَ الفتيانِ  
وألفتُ أقواماً لغير مودةٍ      وهجرتُ غير مفارقٍ إخواني  
وأفضتُ في لهو الحديثِ وهجره      بعد اعتيادِ تلاوةِ القرآنِ (١)

ويمدح جرير عمر بن عبد العزيز ، فيثنى على قيامه الليل في قراءة سور  
القرآن ، فيقول :

أنت المباركُ والمهدى سيرته      تعصى الهوى وتقوم الليل بالسورِ (٢)

ويقول عبد الله بن همام السلولى مخاطباً النعمان بن بشير :

زيادتنا نعمانُ لا تحبسنها      خف اللهَ فينا والكتابُ الذي تتلو (٣)

(٤) الإيمان بالرسول :

المراد من الإيمان بالرسول " التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به

(١) شعر الخواج ص ٦٢ .

(٢) الديوان ٤١٦/١ .

(٣) الأغاني ٣١/١٦ .



عن الله". (١)

والشعر الأموي حافل بالشواهد الشعرية التي تدل على إيمان شعراء العصر بالرسالة المحمدية .

فهذا جرير يهجو بني تغلب ، فيعيرهم بتكذيبهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدعو الخليفة إلى أخذ الجزية منهم عقوبة لهم ، قائلاً :

فعليكَ جزيةٌ معشر لم يشهدوا      لله أنَّ محمداً لرسول<sup>(٢)</sup>

ويقول- أيضاً- من قصيدة أخرى :

أتصدقونَ بما سرَّجَسَ وابنهُ      وتكذبونَ محمداً الفرقان<sup>(٣)</sup>

والإيمان بالرسالة المحمدية يعبر عنه عبید الله بن قيس الرقيات في قصيدته الهزمية ، حيث يقول مفتخراً بقريش :

نحنُ منّا النبيُّ الأميُّ والصدِّيقُ منّا التقيُّ والخلفاءُ<sup>(٤)</sup>

ويقول الفرزدق مفتخراً بالتقاء نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مضر :

أبي مضرٌ منه الرسولُ الذي هدى      به اللهُ من صليِّ بغربٍ ومشرق<sup>(٥)</sup>

أما إيمان الشعراء بالرسالات الأخرى ، فهو موضوع سيتضح لنا من خلال

(١) فتح الباري ١/٢٦٠ .

(٢) الديوان ١/٩٥ .

(٣) نفسه ٢/١٠١٥ .

(٤) الديوان ص ٨٩ .

(٥) الديوان ٢/٣٨ وأنظر أيضاً ٢/٣٠٩ ، ١/٢٩٧ .

دراستنا لأثر القصص القرآني في شعرهم .

(٥) الإيمان باليوم الآخر :

المراد من الإيمان باليوم الآخر هو " التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار" (١) ، وهو أصل من أصول الإيمان التي يلزم الإنسان المسلم الاعتقاد بها ، فعند البعث يلقي جزاءه إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرأ . قال تعالى " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل يلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير" التغابن ٧٠ .  
وقد عبر شعراء العصر الاموي عن رسوخ هذه العقيدة الدينية فسي نفوسهم ، فتحدثوا عن البعث في الآخرة ، وصوروا ما يحدث عقب البعث من حساب ، وذلك في مختلف الأغراض الشعرية .

يقول أبو بلال الخارجي :

إنى امرؤٌ باعثي ربى لموعده      إذا القلوب هوت من خوف أهوال  
وأدت الأرض منى مثل ما أخذت      وقربت لحساب القسط أعمالى (٢)

ويقول قطري بن الفجاءة :

ألم تر أن الموت لاشك نازلٌ      ولا بعث إلا للآلي في المقابر

(١) فتح الباري ١/٢٦٠ .

(٢) شعر الخواج ص ٦٤ ، وانظر شرح أشعار الهذليين ٢/٩١٩ .

حفاةُ عِراءُ<sup>(١)</sup> والثوابُ لربهم فمن بينِ ذي ريجٍ وآخر خاسرٍ<sup>(١)</sup>  
ويصف ذو الرمة مدحه بالعفاف والحياة وتذكره للقاء الله في الآخرة،  
قائلاً :

يعفُ ويستحيي ويعلمُ أنه ملاقِ الذي فوقَ السماءِ فسائله<sup>(٢)</sup>

ويعلن قيس بن ذريح عن كتمان سر لبنى حتى يلقي الله ، فيقول :

ولكن سألقى اللهَ والنفسُ لم تبجُ بسركِ والمستخبرونَ كثيرٌ<sup>(٣)</sup>

وتصور آيات القرآن خروج الناس من قبورهم عند البعث خاشعين فيقول  
عز وجل " خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجدات كأنهم جراد منتشر " القمر ٧٠ .  
ويقتبس عمرو بن الحصين العنبري هذه الصورة القرآنية في رثائه  
لبعض الخوارج وهو يتحدث عن مآثرهم ، وأنهم كانوا خاشعين عند سماع  
الذكر خشوع الخارجين من الأجدات ، فهو يقول :

تلقاهم إلا كأنهم لخشوعهم صدروا عن الحشر<sup>(٤)</sup>

ويوم البعث هو يوم القيامة قال تعالى " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم  
عمياً وكماً وصماً " الاسراء ٩٧ .

يقول جرير يفخر على الأخطل ، ذاكراً يوم القيامة :

(١) شعر الخوارج ص ١٣٤ .

(٢) الديوان ص ٥٦١ .

(٣) قيس ولبنى شعر ودراسة ص ٩١ .

(٤) شعر الخوارج ص ٢٤٨ .

لنا الفضلُ في الدنيا وأنفكُ راغمٌ ونحنُ لكم يومَ القيامةِ أفضلُ (١)

ويقول الفرزدق :

أجلُّ عليٍّ مرزئةٌ وأدنى إلى يومِ القيامةِ والنشورِ (٢)

والحشر الذي يحدث في ذلك اليوم ، والذي أشارت إليه الآية السابقة ، ذكره الشعراء في قصائد هم .

يقول جميل بن معمر العذري :

فلا نعمتٌ بعدي ولا عشتُ بعدها ودامتُ لنا الدنيا إلى ملتقى الحشرِ (٣)

ويقول المجنون منتظراً لقاء محبوبته في يوم الحشر :

وياحبِّها زدنِي جوى كل ليلةٍ وباسلوةِ الأيامِ موعدُك الحشرِ (٤)

ويقول اسماعيل بن يسار يرثي :

وعلمتُ أني لن ألقىه في الناسٍ حتى ملتقى الحشرِ (٥)

وفي يوم القيامة يحاسب الله الإنسان على ما قدم من عمل في الحياة الدنيا قال تعالى " إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا

يوم الحساب " ص ٢٦ .

---

(١) الديوان ١/١٤٣ .

(٢) الديوان ١/٢١٩ .

(٣) الديوان ص ١٠٥ ، وانظر أيضاً ص ١٠٤ .

(٤) الديوان ص ١٣٠ .

(٥) شعر اسماعيل بن يسار ص ٣٩ ، وانظر أيضاً الأغاني ٨/٨١٦ ، ديوان

الفرزدق ١/٢٦٣ .

ويقول ذو الرمة ذاكراً يوم الحساب :

ولا زلتُما في حَبْرَةٍ مابقيتُما      ولا قيتُما يومَ الحسابِ محمّداً<sup>(١)</sup>

ويقول المجنون :

أحبك حتى يبعثَ اللهُ خلقَه      ولى منك في يومِ الحسابِ حسيب<sup>(٢)</sup>

ويقول يزيد بن الطثرية

فلا تحملي ذنبي وأنتِ ضعيفةٌ      فحملُ دمي يومَ الحسابِ ثقيل<sup>(٣)</sup>

وفي ذلك اليوم تبلى السرائر أي تختبر قال تعالى " إنه على رجهه لقادر ،

يوم تبلى السرائر، فماله من قوة ولا ناصر" الطارق ٨ - ١٠ .

ويقول محمد بن بشير الخارجي يرثي :

فلقاه ربُّ يَغْفِرُ الذنوبَ رحمةً      إذا بليتُ يومَ الحسابِ السرائر<sup>(٤)</sup>

ويقول الأحوص معلناً تمسكه بوجد محبوبته :

ستبقى لها في مضمِرِ القلبِ والحشا      سريرةً ودَّ يومَ تبلى السرائر<sup>(٥)</sup>

وهو يوم التغابن ، قال تعالى " يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن .."

الآية التغابن ٩ .

يقول يزيد بن ضببة :

---

(١) الديوان ١٦٧ .

(٢) الديوان ص ٥٥ .

(٣) الديون ص ٩٨ .

(٤) شعراء أمويون ١٨١/٣ ، وانظر الأغاني ١٦/٥٣ .

(٥) الديوان ص ١١٨ .

اثنُ بعثُ حظي منك يوماً بغيره لبئس إذا يومَ التغابنِ ما بعث<sup>(١)</sup>

ويقول عبد الرحمن بن حسان :

الا أبلغُ معاويةَ بنَ صخرٍ أميرَ المؤمنين نثا كلامي  
فإنَّا صابرونَ ومنظروكم إلى يومِ التغابنِ والخصامِ<sup>(٢)</sup>

والجنة والنارهما المصير النهائي لكل البشر . فالجنة هي دار الخلد التي وعد الله بها عباده المتقين ، وهياً لهم فيها كل ما تشتهيهِ النفوس من نعيم . وآيات القرآن تتحدث كثيراً عن الجنة ، ومن ذلك قوله تعالى " تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً " مريم ٦٣ .

ويتردد ذكر الجنة ومراد فاتها كالفردوس وعدن كثيراً في الشعر الأموي في أغراض مختلفة ، وبخاصة في شعر الرثاء ، حيث يتمنى الشاعر لمن يرثيهم دخول الجنة ، أو يتوقع لهم ذلك جزاءً عملهم ، إذ ماتوا شهداء في سبيل الله ، أو متمسكين بدينه .

يقول أبو بلال الخارجي :

نرجو الجنان إذا صارتُ جماجمنا تحتَ العجاجِ كمثلِ الحنظلِ البالي<sup>(٣)</sup>

ويقول كعب بن عميرة يرثي أبا بلال الخارجي :

---

(١) رغبة الأمل ٦٣/٧ .

(٢) الديوان ص ٥٤ .

(٣) شعر الخوارج ص ٦٤ .

شرى ابن حدير نفسه الله فاحتوى جناناً من الفردوس جمعاً نعيمها<sup>(١)</sup>

ويقول جرير يمدح العباس بن الوليد بن عبد الملك :

أعطيت من جنة الفردوس مرتفقاً من فاز يومئذ فيها فقد خلدا<sup>(٢)</sup>

ويقول ذو الرمة :

يا صاحبي انظرا آواكما درج عالٍ وظلٌّ من الفردوسٍ ممدود<sup>(٣)</sup>

ويقول عمران بن حطان :

ويجعل الله ربُّ الناس نزلهم ظللاً وجناتٍ عدنٍ ماؤها غل<sup>(٤)</sup>

وقد اقتبس الشعراء في وصفهم للجنة وما فيها من النعيم ، بعض الصور القرآنية التي صورت ذلك .

يقول الفرزدق يرثي من مات من الخلفاء قبل سليمان بن عبد الملك :

تبعوا رسولهم بسنته حتى لقوه وهم على قدر<sup>(٥)</sup>  
رفقاء متكئين في غرف فرحين فوق أسرة خضر

أما ذكره للغرف فقد أخذه من قوله تعالى " والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين " العنكبوت ٥٨ ، أما ذكره للأسرة فقد أخذه من قوله تعالى

(١) نفسه ص ٧٥ .

(٢) الديوان ١/٣٩٦ .

(٣) الديوان ص ١٨٢ .

(٤) شعر الخواج ص ١٦٨ ، وانظر ديوان أشعار الموالى ٢/٣٣١ .

(٥) الديوان ١/٢٦٦ .

" متكئين على سرر مصفوفة " الطور ٢٠ ، أما وصفه لها بأنها خضـر  
ففيه أثر قوله تعالى " متكئين على رفرف خضر، " الرحمن ٧٦ ، وهكذا  
فقد جمع الشاعر في أبياته بين أكثر من صورة .  
ويشير إلى الغرف الأصم الضبي الخارجي في قوله يرثي الخـواج

الذين قتلوا عند الجوسق :  
ساروا الى الله حتى أنزلوا غرماً من الأرائك في بيت من الذهب .<sup>(١)</sup>  
وذكره للأرائك أخذه من قوله تعالى " على الأرائك ينظرون ، تعرف فسي  
وجوههم نضرة النعيم " المطففين ٢٤ .

ويشير حبيب بن خدره إلى تلك الغرف في رثائه قتلى الخواج مع  
الجوسق حيث يقول :

أبكي الذين تبوءوا الغرف العلى فجرت لهم من تحتها الأنهارُ  
أبكي لنفسى لا لهم أبكيهمُ لا صبرَ حيث تعارف الأبرارُ<sup>(٢)</sup>  
وفي قصيدته التي يمدح بها هشام بن عبد الملك ، يصف جرير الحدائق  
التي أحدثها شق نهر الهني ، فيظهر تأثير الصور القرآنية حول الجنة  
واضحاً في أبياتها ، فهو يقول :

بلغت من الهني فقلت شكراً هناك وسهل الجبل الصلودُ

(١) شعر الخواج ص ١٣٩ .

(٢) نفسه ص ٢٢٩ .



بها الزيتونُ في غلِّ ومالتُ  
عناقيدُ الكرومِ فهنَّ سودُ  
فتمَّتْ في الهنيءِ جنانُ دنيا  
فقال الحاسدُ ونَ هي الخلودُ  
يعضون الأناملَ أن رأوها  
بساتيناً يوازرها الحصيدُ  
ومن أزواجٍ فاكهةٍ ونخلٍ  
يكونُ لحمُه طلعُ نضيدُ<sup>(١)</sup>  
والنار هي التي توعد الله جل وعلا بها من عصاه واتبع سبل الشيطان  
قال تعالى " إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم  
خالدين فيها " البينة ٦ .

وذكر النار ومراد فاتها كسقر وجهنم ، يتردد في شعر العصر الأموي  
وخاصة في شعر الزهد والتوبة ، وأحياناً في الهجاء .

يقول عبيد بن أيوب العنبري :

ياربُّ قد حلفَ الأعداءُ واجتهدوا  
أيمانهم إنني من داخلِ النارِ  
أيحلفون على عمياءٍ ويحهممُ  
ماعلمهم بعظيمِ العفوِ غفَّارِ<sup>(٢)</sup>

ويقول عبد الله بن أبي الحوساء الكلابي :

وقد علمتُ وخيرُ القولِ أنفعُهُ  
أن السعيدَ الذي ينجو من النارِ<sup>(٣)</sup>

ويقول كثير عزة :

فقلتُ لها والله لو كانَ دونكمُ  
جهنمُ مارعتُ فؤادي جهنمُ<sup>(٤)</sup>

(١) الديوان ١/٢٩١ .

(٢) شعراء أمويون ١/٢١٥ .

(٣) شعر الخواج ص ٥٥ .

(٤) الديوان ص ٣٦٦ .

ويقول جرير :

وما رضيتم لأجسادٍ تحرقهمُ      في النارِ إذ حرقتُ أرواحهم سقر<sup>(١)</sup>  
ويصف عمران بن حطان النار فيستلهم في ذلك التصوير القرآني لها ، فهو  
يقول :

فيها شرابٌ لهم يشوي وجوههم      من الحميم ويروي شربها المهل<sup>(٢)</sup>  
وقد أخذ ذلك من قوله تعالى " وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي  
الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا " الكهف ٢٩ .  
ويقول أيضاً :

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهمُ      بمثل الجمالِ الصُّفرِ نزاعةُ الشوى<sup>(٣)</sup>  
وهذه صورة قرآنية واضحة أخذها الشاعر من قوله تعالى " إنها ترمي  
بشرر كالقصر ، كأنه جمالة صفر " المرسلات ٣٢ ، وقوله تعالى " كلا إنها  
لظى ، نزاعة للشوى " المعارج ١٥ ، ١٦ .

ويقول يزيد بن مفرغ الحميري :

أيها المالكُ المرهبُ بالقتلِ      بلغت النكالَ كلَّ النكالِ  
فأخشَ ناراً تشوى الوجوهَ ويوماً      يقذفُ الناسَ بالدَّواهي الثقالِ<sup>(٤)</sup>

(١) الديوان ١/١٥٣ .

(٢) شعر الخواج ص ١٦٩ .

(٣) نفسه ص ١٢٤ .

(٤) الديوان ص ١٨٧ .

وفي القصيدة - التي تنسب إليه - يتحدث عمران بن حطان عن مصير  
الناس في الآخرة ، فيصف الجنة والنار ، قائلاً :

أَمْ مَنْ تَلَطَّى عَلَيْهِ مَوْقِدَةُ النَّارِ مَحِيطٌ بِهِمْ سَرَادِقُهَا  
أَمْ أَسْكَنُ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْأَبْرَارُ مَصْفُوفَةً نَمَارِقُهَا  
لَا يَسْتَوِي الْمَنْزِلَانِ وَلَا الْأَعْمَالُ لَا تَسْتَوِي طَرَائِقُهَا  
هُمَا فَرِيقَانِ فَرَقَةٌ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَفَّتْ بِهِمْ حَدَائِقُهَا  
وَفَرَقَةٌ مِنْهُمْ قَدْ أَدْخَلَتْ النَّارَ فَشَانَتْهُمْ مَرَاغِقُهَا (١)

ومن الواضح اقتباس الشاعر لصورة من القرآن ، فالبيت الأول أخذه من  
قوله تعالى " إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " الكهف ٢٩ ،  
أما البيت الثاني فقد اقتبسه من قوله تعالى " وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ "  
الغاشية ١٥ ، وأما البيت الخامس فهو مقتبس من قوله تعالى " بِئْسَ  
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا " الكهف ٢٩ ، ويرسم الفرزدق بعض الصور الفنية ،  
التي يعبر من خلالها عن بعض أفكاره الشعرية وذلك من خلال استيحائه  
للتصوير القرآني للنار .

فهو يقول ها جيئاً جرير :

فإنَّكَ مِنْ هَجَاءِ بَنِي نُعْمِرٍ      كَأَهْلِ النَّارِ إِذْ وَجَدُوا الْعَذَابَا  
رَجَوا مِنْ حَرِّهَا أَنْ يَسْتَرْيَحُوا      وَقَدْ كَانَ الصِّدِيدُ لَهُمْ شَرَابَا (٢)

(١) شعر الخواج ص ١٨٨ ، وهو منسوب إليه .

(٢) الديوان ١/١٠٢ .

ويصور الفرزدق وقع هجائه على بعض من يهجوهم ، فيجعلهم يتلاعنون بسبب هجائه كما يفعل أهل النار عند دخولهم فيها ، فيقول :

فمازلت عن سعدٍ لدنٌ أن هجوتُها أخصُّ وتاراتٍ أعمُّ فأجمعُ  
جُعِلتُ على سعدٍ عذاباً فأصبحتُ تلاعنُ سعدٌ في عذابي وتقمعُ  
تلاعنُ أهلِ النارِ إذ يركبونَهَا وإذ هي تغشى المجرمينَ وتسفعُ<sup>(١)</sup>

وهذه الصورة مستمدة من قوله تعالى " قال ادخلوا في أم قد خلست من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها . . . . " الآية الأعراف ٣٨ .

ويصور - في أبيات أخرى- ما كان يعانيه مع امرأة طلقها ، فيتخيله كعذاب جهنم ، فيقول :

ومازلتُ حتى فرّق اللهُ بيننا لهُ الحمدُ منها في أذى وجهادِ  
تجددُ لي ذكرى عذابِ جهنمٍ ثلاثاً تمسّيني بها وتغّادي<sup>(٢)</sup>

(٦) الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة التي يجب على الإنسان المسلم أن يلتزم بها ، وذلك بأن يكون على يقين بأن كل ما أصابه قد خط في اللوح المحفوظ ، وأن ليس هناك مناص من وقوعه .

قال تعالى " سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً

(١) نفسه ١ / ٤٠٥ .

(٢) نفسه ١ / ١٨٠ .

مقدورا " الأحزاب ٣٨ .

وفي الشعر الأموي تقابلنا شواهد شعرية تدل على إيمان شعرائه

بالقدر .

يقول عبید الله بن الحر الجعفي :

وما لأمرئٍ إلا الذي الله سائقٌ إليه وما قد خطَّ في الزبرِ كاتبه<sup>(١)</sup>

ويقول الأحموس الأنصاري :

ليس امرؤ كان في عيش يسرُّ به يوماً بأخلدَ من عادٍ ومن إرم  
يهوى الخلودَ وقد خُطَّتْ منيتهُ ولا مردّ لأمرٍ خطَّ بالقلسم<sup>(٢)</sup>

ويقول ثابت قطنه :

وما قضى الله من أمرٍ فليس له ردٌّ وما يقض من أمرٍ يكنُ رشداً<sup>(٣)</sup>

ويقول طريح بن إسماعيل الثقفي :

ياصلت إن أباك رهنٌ منيةٍ مكتوبةٍ لا بد أن يلقاها<sup>(٤)</sup>

و الإيمان بقضاء الله وقد ره يقتضي الصبر على المصائب ابتغاء الأجر والثواب

من عند الله عز وجل . قال تعالى " والصابرين في الباساء والضراء وحين

البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " البقرة ١٧٧ .

(١) شعراء أمويون ١ / ٩٥ .

(٢) الديوان ص ٢٠٠ .

(٣) الأغاني ١٤ / ٢٧٠ .

(٤) شعراء أمويون ٣ / ٣١٤ .

وهذا وضاح اليمن يقول حين ورد عليه نعي أبيه وأخيه يرثيهما :

سأصبرُ للقضاءِ فكلُّ حيٍّ سيلقى سكرة الموتِ المذوقِ

فما الدنيا بقائمةٍ وفيها من الأحياءِ ذو عينٍ رموقِ

وللأحياءِ أيامٌ يقضّى تلفُ ختامها سوقاً بسوقِ (١)

وقد اقتبس الصورة في البيت الأول من قوله تعالى " كل نفس ذائقة الموت "

الموت " العنكبوت ٥٧ ، كما أخذ الصورة في البيت الثالث من قوله

تعالى " والتفت الساق بالساق " القيامة ٢٩ ، كما نجد مليكة الشيبانيسة

ترثي الضحاك بن قيس الخارجي فتقول :

قولِي مليكُ عليكِ بالصبرِ تستوجبينَ فضائلَ الأجرِ (٢)

ويقول سابق البربري :

وأصبرُ على القدرِ المحتومِ وارضِ بهِ وإن أتاكِ بما لا تشتهي القدرُ (٣)

ويقول المجنون :

أبى اللهُ أن تبقى لحيٍّ بشاشةٍ فصبراً على ما شاءهُ اللهُ لي صبراً (٤)

ويقول البعيث المجاشعي :

أرسلَ بكراً مالِكٌ يستحثُّنا يحاذرُ من ريبِ المنونِ فلم يقلُ

(١) الأغاني ٢٢٩/٦ .

(٢) شعر الخواج ص ٢٣٨ .

(٣) ديوان أشعار الموالى ١/١٧٧ .

(٤) الديوان ص ١٧١ .

أما لكُ مهما يقضه اللهُ تلقَهُ وإن حانَ ريثُ من رفيقِك أوعجلُ<sup>(١)</sup>

ومن دلائل الصبر على ما قضاه الله وقدره الاسترجاع عند حلول المصائب قال تعالى " وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون " البقرة ١٥٥ ، ١٥٦ .

قال جرير في إحدى نقائضه مع الفرزدق :

أتعدُلُ أحساباً كراماً حماتها بأحسابِكُم إنِّي إلي اللهُ راجعُ<sup>(٢)</sup>

كما نجد هذه الفكرة عند شعراء الغزل :

يقول قيس بن ذريح : فوأكبدني من شدة الشوق والجوى ووأكبدني إنى إلى الله راجع<sup>(٣)</sup>

ويقول العرجي :

لذي لطفٍ من صحبتي هو دونهمُ أقاتلتي إنى إلى الله راجع<sup>(٤)</sup>

والموت هو النهاية الحتمية لكل إنسان وقد حدده الله سبحانه وتعالى بوقت لا يتجاوزها الإنسان . قال تعالى " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " الأعراف ٣٤ .

ويورد قطري بن الفجاءة هذا المعنى في شعره فيقول وهو يخاطب نفسه ويدعوها إلى اقتحام سبل الموت لأنه لا يأتي إلا بأجل :

فانك لو سألت بقاءً يــــومٍ عن الأجلِ الذي لك لم تُطاعي

(١) الشعر والشعراء ١/٥٠٥ .

(٢) الديوان ٢/٩٢٤ ، وانظر ديوان الفرزدق ١/٤٢٠ .

(٣) قيس ولبنى شعر ودراسة ص ١٠٥ .

(٤) الديوان ص ٤٧ .

- فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً<sup>(١)</sup> فما نيلُ الخلودِ بمستطاعِ<sup>(١)</sup>  
ويقول - أيضاً - في قصيدة أخرى :  
ولستُ أرى نفساً تموتُ وإن دنتُ  
ويقول عبد الله بن خليفة يرثي :  
وبك على الخلان لما تحزّموا  
دعتهم مناياهم ومن حان يومه  
ويقول المتوكل الليثي :  
لما رأته أني لا بدّ منطلقُ  
قامت تکرهني غزوي وتخبرني  
هل المنيةُ إلا طالبُ ظفرُ  
وقال ذو الرمة في رجزه :  
فقلت لا والمبديء المعيدِ  
ما دونَ وقتِ الأجلِ المعدِ  
والله أهلُ الحمدِ والتحميدِ  
نقصٌ وما في الطمّ من مزيدِ<sup>(٥)</sup>  
والموتُ يلقى أنفَسَ الشهودِ<sup>(٥)</sup>

(١) شعر الخواج ص ١٢٢ .  
(٢) نفسه ص ١٢٥ .  
(٣) الطبري ٥ / ٢٨٢ .  
(٤) شعر المتوكل الليثي ٢١٢ .  
(٥) الديوان ص ٢٢٥ .



ثانياً : العبادات :

تمثل العبادات الجانب العملي للإيمان ، فهي الدليل على حقيقة إيمان صاحبها وصدقه . ولأهمية العبادات في حياة الإنسان المسلم فإن الشعر الأموي يحفل بالكثير من الشواهد الشعرية التي تشير إلى العبادات الإسلامية وهو ما يتضح فيما يلي :

( ١ ) الصلاة :

عمود الدين ، والركن الثاني من أركان الإسلام ، حث القرآن المسلمين على أدائها لما تمثله من قيمة روحية في حياتهم ، وحذرهم من التهاون فيها . قال تعالى " قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة . . . . . " إبراهيم ٣١ .  
والفرزدق يشير إلى قيمة الصلاة في حياة الإنسان المسلم في قوله :

لقد دلّتهني عن صلاتي وإنه ليدعو إلى الخير الكثير إقامها<sup>(١)</sup>  
وكأنه يستوحى في بيته قوله تعالى " وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " العنكبوت ٤٥ .  
ويهجو جرير الفرزدق بعدم أدائه الصلاة مع المسلمين ، قائلاً :

---

( ١ ) الديوان ( طبعة الصاوي ) ٢ / ٧٨٣ .

ما كان يشهدُ في المِجامِعِ مشهداً فيه صلاةُ ذوى التَّقَى مشهوداً<sup>(١)</sup>  
ويمدح نابغة بني شيبان الوليد بن عبد الملك لهدمه الكنيسة وتحويلها  
إلى مسجد تقام فيه الصلاة ، فيقول :

فاليومَ فيه صلاةُ الحقِّ ظاهرةٌ وصادقٌ من كتابِ اللهِ معروفٌ<sup>(٢)</sup>

وترتبط الصلاة - كما ذكرنا - بالمسجد ، وهو المكان الذي يلتقي فيه  
المسلمون لأدائها ، وهو معلم مهم في المجتمعات الإسلامية ، لعب  
دوراً كبيراً في حياة المسلمين الأوائل ، إذ كانت تقام فيه حلقات الدروس  
وتعقد فيه المعاهدات في السلم والحرب .

يقول جرير مفتخراً على الأخطل :

فيما المساجدُ والإمامُ ولا ترى في آل تغلبَ مسجداً معموراً<sup>(٣)</sup>

وقد مر بنا في دراستنا لأثر الإسلام في شعر الوهف أن المسجد أصبح  
أحد المعالم الجديدة التي دخلت على المقدمة الطللية في الشعر  
الأموي .

والوضوء بالماء شرط لصحة الصلاة ، فإن لم يوجد جاز التيمم ، وهو  
رخصة شرعية عند عدم وجود الماء ، قال تعالى " . . . وإن كنتم مرضى

أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء

- (١) الديوان ١/٣٤٠ .  
(٢) الديوان ص ٣٥ ، وانظر أيضاً ديوان جرير ١/٤٨١ ، ٢/٨٢٩ ، ديوان  
ذي الرمق ص ٢٨١ ، ديوان أشعار الموالى ١/٢٤٦ .  
(٣) الديوان ٢/١٠٣٠ ، وانظر أيضاً ٢/٦٠٤ ، ١٠٢٧ ، ديوان الأخطل  
٢/٥٠٨ ، ٧٣٠ ، ديوان الفرزدق ١/٣٩٤ ، ٢/٢١٩ ، ديوان الراعي  
النميري ص ٢٤٨ ، شعراء أمويون ٢/٤٧٤ .

فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم . إن الله كان عفواً غفورا " النساء ٤٣ .

ويشير ذو الرمة إلى هذه الرخصة الشرعية في شعره، فيقول واصفاً قوماً على سفر:

حتى استحلوا قسمة السجود<sup>(١)</sup> والمسح بالأيدي على الصعيد<sup>(٢)</sup>

ويقول هاجياً قبيلة امريء القيس :

إذا مرثيات حللن ببلد ق<sup>(٣)</sup> من الأرض لم يصلح طهوراً صعيداً<sup>(٤)</sup>

ويقول الطرماح بن حكيم واصفاً :

وضبثة كف باشرت بينانها<sup>(٥)</sup> صعيداً كفاها فقد ماء المصافن<sup>(٦)</sup>

وقد أباح الإسلام قصر الصلاة للمسافر، قال تعالى " وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة . . . " النساء ١٠١، وإلى ذلك يشير ذو الرمة حين يقول :

ومغنى فتى حلت له فوق رحل<sup>(٧)</sup> ثمانية جرداً صلاة المسافر<sup>(٨)</sup>

ويقول الفرزدق :

فإن تصحبينا يانوارتنا صفي<sup>(٩)</sup> صلاتك في فيف تكرر حواجله<sup>(١٠)</sup>

(١) الديوان ص ٢١٩ .

(٢) نفسه ص ٢٢٢ .

(٣) الديوان ص ٩٥ .

(٤) الديوان ص ٣٨٣، وانظر ص ٣٠٣ .

(٥) الديوان ٢ / ٨٨ .

(٢) الزكاة :

أحد أركان الإسلام ، وضعها الخالق لتحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين . يقول جل وعز (( والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنوتهم أجراً عظيماً " النساء ١٦٢ والراعي النميري في قصيدته التي يمدح بها عبد الملك بن مروان ، ويشكو فيها السعاة ، يعلن عن اعترافه وقومه بحق الزكاة في أموالهم ، قائلاً :

أوليَّ أمرِ اللهِ إنا معشرٌ      حنفاءُ نسجدُ بكرةً وأصيلاً  
عربٌ نرى لله في أموالنا      حقَّ الزكاةِ منزلاً تنزيلاً  
قومٌ على الإسلامِ لما يمنَعوا      ماعونهم ويضيَعوا التهليلاً (١)

ويقول الفرزدق :

فلم يبقَ إلَّا من يؤدِّي زكاتهُ      إلينا ومعطٍ جزيةً حينَ حلتِ (٢)

(٣) الصوم :

أحد أركان الإسلام الخمسة ، قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " البقرة ١٨٣ وفي الشعر الأُموي نجد بعض الشواهد الشعرية التي تذكر الصوم .

(١) الديوان ص ٥٦ ، وانظر أيضاً ص ٩٠ .

(٢) الديوان ١/ ١١٥ ، وانظر ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ص ١٨٦ .

فهذا عمرو بن القنا التميمي يمدح رفاقه من الخواج ، فيصفهم  
بكثرة الصوم ، حتى إن ذلك ظهر على جسمهم ، قائلاً :

معي كلُّ أواهٍ يرى الصومُ جسمهُ      ففي الجسمِ منهُ نهكٌ وشحوبٌ<sup>(١)</sup>

ويقول العرجي هاجياً :

يظلُّ يرأني بالصيامِ نهارهُ      ويلبس في الظلماءِ سِمطِي قرنفل<sup>(٢)</sup>

ويقول خلف بن خليفة :

فياربَّ أخرجها فإنك مخرجٌ      من الميتِ حياً مُفصِحاً بكلامِ  
فتعلمُ ما شكُري إذا ما قبضتَها      وكيف صلاتي عندها وصيامي<sup>(٣)</sup>

(٤) الحج :

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، قال تعالى " ولله على  
الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن  
العالمين " آل عمران ٩٧ ، وقال صلى الله عليه وسلم " إن الإسلام  
بني على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة  
وصيام رمضان ، وحج البيت " .<sup>(٤)</sup>

وفي الشعر الأموي يتردد ذكر الحج ومناسكه في شعر الغزل بوجه  
خاص ، حيث عمد الغزلون في الحجاز إلى الركن خلف الحاجات والمعتمرات

(١) شعر الخواج ص ١٠٣ .

(٢) الديوان ص ١٨٩ .

(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٧١٩ .

(٤) صحيح مسلم ١ / ٤٥ .

فى كل مشاعر الحج ، استلهاماً لقصائد هم الغزلية .

يقول محمد النميري :

أعان الذي فوق السماوات عرشه  
مررن بفتح ثم رحن عشيقة  
يخبئن أطراف البنان من التقى  
وليست كأخرى أوسعت جنب درعها  
وغالت ببان المسك وحفاً مرجلاً  
وقامت تراءى بين جمع فافتنست  
مواشي بالبطحاء مؤتجرات  
يلبّين للرحمن معتمرات  
ويقتلن بالأحاطة مقتدرات  
وأبدت بنان الكف للجمرات  
على مثل بدر لاج بالظلمات  
برؤيتها من راح من عرفات (١)

ويقول عمر بن أبي ربيعة :

إنّي ومن أحرم الحيج له  
والبيت ذي الأبطح العتيق وما  
والأشعث الطائف المهلّ وما  
وزمزم والجمار إذ رميت  
ماخنت عهد القتول إذ شحطت  
وموقف الهدى بعد واليدن  
جالل من حرّ عصب ذي اليمن  
بين الصفا والمقام والركن  
والجمرتين اللتين بالبطن  
ولو أتوها به لتصرمني (٢)

ويقول العرجي :

عوجي علي فسلمي جبرم  
فيم الصدود وأنتم سفسر

(١) شعراء أمويون ٣ / ١٢٤ .

(٢) الديوان ص ٢٩٧ .

ما نلتقي إلا ثلاثَ مَنِيٍّ      حتى يفرقَ بيننا النَفْسُ  
الحوْلُ ثم الشهرُ يتبعه      ما الدهرُ إلا الحَوْلُ والشهرُ (١)

### ثالثاً : المثل والأخلاق الإسلامية :

جاء الإسلام يحمل معه مجموعة من المثل والأخلاق الإسلامية التي أراد لها أن تحكم حياة المجتمع الإسلامي وعلاقات أفرادها فيما بينهم . وقد تعرضنا في دراستنا لأثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي، إلى كثير من هذه المثل كالعدل والتقى والصلاح والزهد والعفة وغيرها . وسنعرض هنا لبعض المثل التي لم نتعرض لها من قبل .

#### ١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ميز الله الإنسان المسلم وفضله على غيره بهذه الصفة التي أراد لها أن ترتبط بحياته ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . . . " آل عمران ٦٥ . ومليكة الشيبانية في رثائها لعمها تجعل الأمر بالمعروف أحد مآثره ، فتقول :

أصبرتُ عن عمي الذي قد كان بالمعروفِ أمرٌ<sup>(١)</sup>

كما تضيف هذه الصفة المثالية على الضحاك بن قيس الخارجي في قولها  
ترثيه :

ذهبَ الذي قد كان يأمرنا بالخوفِ والمعروفِ والذكرِ<sup>(٢)</sup>

(١) شعر الخواج ص ٢٣٩ .

(٢) نفسه ص ٢٣٨ .



ويقول حارثة بن بدر يرثي زياد بن أبيه :

أبا المفيرة والدنيا مفعجةٌ <sup>(١)</sup> وإنَّ من غرت الدنيا لمغرورٌ  
قد كانَ عندكَ بالمعروفِ معرفةٌ <sup>(٢)</sup> وكانَ عندكَ للنكراءِ تنكيرٌ <sup>(١)</sup>

وفي رثائه لحجر بن عدي يقول عبد الله بن خليفة :

فنبعم أجوا لإسلامِ كنتَ وإنَّني لأطمعُ أنْ توتى الخلودَ وتُحبرا  
وقد كنتَ تُعطي السيفَ في الحربِ حقَّه <sup>(٢)</sup> وتعرفُ معروفاً وتُنكر منكرًا <sup>(٢)</sup>

٢- بر الوالدين :

دعا الإسلام في محكم التنزيل إلى بر الوالدين والإحسان إليهما  
قال تعالى " ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا " الأحقاف ١٥ . وهذا  
المعنى يعبر عنه أعشى همدان في قوله :

نحنُ ولدناك فلا تجفنا <sup>(٣)</sup> واللهُ قد وصَّاك بالوالدِ

٣- صلة الأرحام :

من الأمور التي حث الإسلام عليها وحذر من قطعها صلة الأرحام،  
قال تعالى ، " فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا  
أرحامكم " محمد ٢٢ ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " من قطع رحماً ،

(١) شعراء أمويون ٢/٣٤٦ .

(٢) الطبري ٥/٢٨٢ .

(٣) الديوان ص ١١٠ .

أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت<sup>(١)</sup> ،  
والفرزدق يحذر في أحد أبياته من قطع الأرحام ، وماتجره من  
الذنوب ، قائلاً :

فلا تقطعوا الأرحامَ منافئها      ذنوبٌ من الأعمالِ يُخشى إثمها<sup>(٢)</sup>  
ويعاتب الأحموس الأنصاري عمر بن عبد العزيز حين جفاه وأعرض عنه ،  
فيدعوه إلى صلة الأرحام التي هي من علامات التقى ، قائلاً :  
ألست أبا حفصٍ هُديت مخبري      أفي الحق أن أقصى ويدني ابن أسلما  
ألا صلة الأرحام أدنى إلى التقى      وأظهر في أكفائه لو تكرر<sup>(٣)</sup>  
ويعاتب عبيد الله بن قيس الرقيات قوم حبيته ، فيتهمهم بقطع الأرحام ،  
فيقول :

فله عينا من رأى مثل قومها      غداة غد وا كانوا أعق وأفجرا  
وأقطع للأرحام لم يرقبوا بها      من الله إلا يوم ذاك وأبصرا<sup>(٤)</sup>

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ١١٤ .

(٢) الديوان ٢/ ٢٤١ .

(٣) الديوان ص ١٩٧ .

(٤) الديوان ص ١٣٩ .

” الفصل الثاني ”

” ” الأحكام الفقهية والحدود الشرعية ” ”

الشعر - كما هو معلوم - تعبير عن العواطف والأحاسيس التي تختلج داخل قلب الشاعر في لحظات انفعاله ، ومن هنا فهو ليس مجالاً لذكر الأحكام الفقهية أو الحدود الشرعية ، وإلا تحول في حقيقته إلى نظم ، وفرق بين الشعر والنظم ، إذ أن الأخير لا يلتقي مع الشعر إلا في الوزن والقافية ، وما كل موزون مقفى يعد شعراً . غير أننا لانعدم من خلال استعراض الشعر الأموي أن نجد خلاله بعض الشواهد الشعرية التي تشير إلى بعض الأحكام الفقهية ، أو بعض الحدود الشرعية التي تدل على معرفة الشعراء بها . وهي في الغالب تجيء من خلال هجاء الشاعر لخصومه بمخالفة الشريعة الإسلامية . ولعل من البديهي القول بقلة أو ندرة أمثال هذه الشواهد باعتبار ما ذكرناه من حقيقة الشعر .

#### (١) الأحكام الفقهية :

لقد مر بنا في مواضع مختلفة من هذا البحث ذكر بعض الشواهد الشعرية التي تدل على بعض الأحكام الفقهية كتحرим الزنا ، والخمر ، وكجواز التيمم عند عدم وجود الماء ، وجواز قصر الصلاة في السفر ، وفرض الجزية على النصارى وغير ذلك ، وسنورد هنا بعض الإضافات الجديدة القليلة التي لم يتيسر لنا ذكرها من قبل .

فالعرجي يظهر معرفته بأحكام القضاء في الإسلام ، فهو يذكر وجوب وجود الشهود أو أداء اليمين للفصل في القضايا ، فيقول في إحدى غزلياته :

فاجعلي بيننا وبينك عدلاً لا تحيفي ولا يحيف علينا  
واعلمي أن في القضاء شهوداً أو يميناً فاحضري شاهدينا (١)

ويذكر جميل بن معمر وجوب كون الشاهد عدلاً ، فيقول :

فما لك لما خبر الناس إنني أسأت بظهر الغيب لم تسليني  
فأبلي عذراً أو أجيء بشاهدٍ من الناس عدلٍ أنهم ظلموني (٢)

ويشير عمر بن أبي ربيعة إلى وجوب أن يدلي الإنسان بشهادته ، فيقول :

صدقت ومن يعلم فيكتم شهادةً على نفسه أو غيره فهو أظلم (٣)

وفي قصيدته التي يمدح بها الوليد بن عبد الملك ، ويشكو فيها من العمال ، يشير الفرزدق - ضمناً - إلى تحريم الربا ، وذلك بذكر المصير الذي ينتظر المرابين ، قائلاً :

إذا وضع السياطُ لنا نهارةً أخذنا بالربا سرق الحرير  
فأدخلنا جهنم ما أخذنا من الإرباء من دون الظهور (٤)

ويستفيد ذو الرمة من أحكام الدية في الفقه الإسلامي ، مما يقرره الفقهاء من أن حوار الناقة لا يعد فيها ، فيقول ساخراً من بني أمية القيس :

يعدُّ الناسبون إلى تميم بيوت العزّ أربعة كبارا  
يعدّون الرباب لهم وعمراً وسعداً ثم حنظلة الخيارا

(١) الديوان ص ١٩٤ .

(٢) الديوان ٢٨٤ .

(٣) الديوان ص ٢١٥ .

(٤) الديوان ٢٨٥ / ١ .

ويهلكُ بينها المرثي لغواً كما أُلغيتَ في الديةِ الحِواراً<sup>(١)</sup>  
وعاني وضاح اليمن من بخل حبيبته بالقبلة أو ماشابها ، فيذكر لها  
فتوى الترخيص في اللمم ، وكأنه يستوحى قوله تعالى " ولله ما في  
السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين  
أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم . . . . "

الآية ، النجم ، ٣١ ، ٣٢ .

يقول وضاح اليمن :

إذا قلتُ يوماً نولينِي تبسّمتُ وقالتَ معاذَ الله من فعلٍ ما حرمُ  
فما نولتُ حتى تضرعتُ عندها وأعلمتها ما رخصَ اللهُ في اللمم<sup>(٢)</sup>  
ويحرم ابن شيخان مولى المغيرة بن شعبة على نفسه ود بني مطيع ،  
ويستمد للتعبير عن ذلك صورة فقهية تتمثل في تحريم الدهن للرجل  
المحرم ، قائلاً :

حرامٌ كنتي مني بسوءٍ وأذكرُ صاحبي أبداً بدام  
لقد أحرمتُ ودَّ بني مطيعٍ حرامَ الدهنِ للرجلِ الحرامِ<sup>(٣)</sup>  
ويعير جرير قوم تغلب بإثيان النساء في المحيض ، وهو ما يحرمه الشرع ،  
فيقول :

(١) الديوان ص ٢٧٦ .

(٢) الأغاني ٦ / ٢٢٨ .

(٣) ديوان أشعار الموالى ٢ / ١٩٤ .

فإنَّ البريةَ لو جُمِعَتْ      لألْفيتَ تغلبَ أشرارها  
فما يتَّقونَ محيضَ النساءِ      ولا يستحِينونَ أطهارها (١)

كما يعير نساء بني تميم بعدم الغسل من الجنابة ، فيقول :

فما اغتسلت تيميةً من جنابةٍ      ولا غسلت ميتاً بماءٍ ولا سدرٍ (٢)

وقد حرم الله عز وجل قتل النفس بغير الحق ، وقد نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى " ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون " الأنعام ١٥١ .

وقد ترددت هذه الفكرة كثيراً في شعر الغزل في العصر الأموي،

فمن ذلك قول جرير:

عوجي علينا وأربعى ربةَ البغلِ      ولا تقتليني لا يحلُّ لكم قتلي (٣)

ويقول عمر بن أبي ربيعة :

لا تقتليني ياعثيمُ فإنَّني      أخشى عليكِ عقابَ ربِّك في دمي  
إن لم يكنْ لك رحمةٌ وتعطفٌ      فتحرّجي من قتلنا أن تأثمِّي (٤)

ويقول يزيد بن الطثيرة :

سلي هلَّ أحلَّ الله من قتلِ مسلمٍ      بغيرِ دمٍ أو هلَّ عليّ قتيلٌ (٥)

(١) الديوان ٢٦٣/١ .

(٢) نفسه ٥٩٨/٣ .

(٣) الديوان ٩٤٨/١ .

(٤) الديوان ص ٢٢٩ .

(٥) الديوان ص ٩٨ .

ويقول الفرزدق :

يا ويحَ أخت بني كنانة إنها لبخيلةٌ بشفاهُ من لم يُجْرِمِ  
فلئن سفكتِ دماً بغير جريرةٍ لتخلدنَّ مع العذابِ الآلمِ (١)

(٢) الحدود الشرعية :

ليس في الشعر الأموي في هذا المجال إلا بعض الشواهد الشعرية  
القليلة التي تتناثر هنا وهناك ، وجريراً يمتاز في شعره - من بين الشعراء  
الأمويين - بالمامه بالحدود الشرعية الإسلامية .

فهو يدعو إلى تنفيذ حد الرجم في الفرزدق ، وهو الحد الذي

وضعه الشاعر للزاني المحصن .

يقول جرير :

فإن ترجمُ فقد وجبت حدٌ وحلٌ عليك ما لقيت ثمود (٢)

ويطالب بتنفيذ هذا الحد الشرعي في إحدى النساء ، قائلاً :

قاد الفرزدقُ يا حميدُ اليكم حوطاً وكان حدٌ ودك الأجارا (٣)

ويقول أيضاً :

لا تتركوا الحدَّ في ليلى فلكم من شأن ليلى وشأن القين مرتاب (٤)

ولعل جميل بن معمر كان على وعي عميق بوجوب إقامة الحد على من

(١) الديوان ٢/٢٢٧ .

(٢) الديوان ١/٣١٩ .

(٣) نفسه ٢/٥٢٩ .

(٤) نفسه ١/١٩٥ .



يرتكب فاحشة الزنا ، فهو يستبعد أن يكون حبه لبثينة واقعاً تحت طائلة الحد الإسلامي؛ لأنه حب عفيف ظاهر ، إلا إن كان الحب ذاته يوجب الحد .

يقول جميل :

لئن كان في حبِّ الحبيبِ حبيبهُ      حدُّ ودٍّ لقد حلتَّ عليَّ حدُّ ودٍّ<sup>(١)</sup>  
ويدل جريرو على معرفته بالحكم الإسلامي في شارب الخمر. وهو الحد جزاءً رادعاً له ، ولهذا فهو يسمي الخمر بشراب الحد في قوله يهجو الفرزدق :

خرجتَ من العراقِ وأنت رجسٌ      تلبسُ في الظلامِ ثيابَ غولٍ  
وما يخفى عليك شرابُ حدٍّ      ولا ورهاً غائبة الحليل<sup>(٢)</sup>

ويذكر في شعره حكم الإسلام في السارق وهو قطع يده ، والذي دل عليه قوله تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم " المائدة ٣٨ . فهو يهجو العباس بن يزيد الكندي، فيتهمه بسرقة الحجاج ، ويرى أن عقوبته هي قطع يمينه ، فهو يقول :

إذا مر الحجيحُ على قنيعٍ      دبيتَ الليلَ تسترقُ العيابا  
فقد حلتَ يمينك إن إمامٌ      أقامَ الحدَّ واتبعَ الكتابا<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان ص ٦٧ .

(٢) الديوان ٦٤٣/٢ .

(٣) نفسه ٦٥١/٢ .

ويقول - أيضاً - يهجو المرار بن منقذ البرجمي وقومه :

بني منقذٍ ما شأنُ منحة جارِكُم      تدفن أظلافُ لها وقرونُ  
ولو نزلوا بالبيتِ ما بات آمنأ      حمامٌ لدى البيتِ الحرامِ قُتونُ  
ولو يعلمُ السلطانُ ما تفعلونهُ      لبانتُ يمينُ منكم ويمينُ<sup>(٣)</sup>

وفي غزل جرير نجده يشير إلى الحكم الشرعي في القتل وهو القود أو الدية،

فهو يقول :

فلا ديةٌ - سقيت - وديت أهلي      ولا قوداً بقتلي مُستفاداً<sup>(٢)</sup>

ويقول أيضاً :

هل في الغواني لمن قتلن من قودٍ      أو من دياتٍ لقتلى الأعينِ الحورِ<sup>(٣)</sup>

---

(١) نفسه ٥٦٣/٢ .

(٢) نفسه ١١٧/١ .

(٣) نفسه ١٤٥/١ ، وانظر أيضاً ٣٩٤/١ .

« الفصل الثالث »

((( القصص القرآني )))

## " القصص القرآني "

ساق القرآن الكريم بين آياته كثيراً من القصص التي تدور حول الأنبياء والأمم القديمة ، وكان الهدف منها أخذ العظة والاعتبار بها ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى " لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب<sup>(١)</sup> كما كانت تهدف إلى تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تبين له أن ما يلقاه من عناء في سبيل الدعوة الإسلامية قد لقيه قبله الأنبياء فلا ييأس ولا يحزن . وقد استفاد الشعر الاموي من هذه القصص استفادة كبيرة ، حيث عمد الشعراء إلى توظيف بعض شخصياتها ، أو جانب من جوانبها في تكوين الصور الفنية التي تخدم أفكارهم الشعرية ، وهو ما يتضح فيما يلي :

### قصة آدم :

أشار القرآن الكريم في عدة مواضع منه إلى قصة آدم وخروجه وزوجه من الجنة بعد أن أغواهما إبليس فأطاعاه ، ومن ذلك قوله تعالى " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين "

البقرة ٣٥ - ٣٦ .

(١) يوسف ١١١ .

والفرزدق الذي يعد واحداً من أكثر شعراء العصر تأثراً بالقرآن يربط في أبياته - التي قالها بعد طلاقه للنوار زوجته - بين حالته بعد الطلاق ، وحالة آدم بعد خروجه من الجنة ، ليصور الحالة النفسية التي يعيشها ، فهو يقول :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا      غَدْتُ مِنِّي مُطْلَقَةً نِسَاوُ  
وكانت جنّتي فخرجتُ منها      كَأَدَمَ حِينَ لَجَّ بِهِ الضَّرَارُ<sup>(١)</sup>

وفي قصيدته التي يهجو بها إبليس يشير الفرزدق - أيضاً - إلى قصة خروج آدم ، وذلك حين أخذ يستعرض مخازي إبليس مع من أغواهم . يقول الفرزدق :

وَأَدَمَ قَدْ أَخْرَجْتَهُ وَهُوَ سَاكِنٌ      وَزَوْجَتَهُ مِنْ خَيْرِ دَارٍ مَقَامِ  
وَاقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ أَنْكَ نَاصِحٌ      لَهُ وَلِهَا إِقْسَامٌ غَيْرُ إِثَامِ  
فظلاً يخيطن الوراقَ عليهما      بأيدٍ يهما من أكلِ شرطعامِ<sup>(٢)</sup>

إبليس :

أن شخصية إبليس التي تعد إحدى شخصيات قصة آدم القرآنية هي أنموذج للإغواء والضلال ، وقد اقترنت بهذه الصفة عند شعراء العصر الأموي .

يقول العرجي يهجو امرأة :

وزيرٌ لها إبليسُ في كل حاجةٍ      لها عند ما تهوي له يتمثل<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان ١ / ٢٩٤ .

(٢) الديوان ٢ / ٢١٤ .

(٣) الديوان ص ١٥٢ .

ويقول جرير مفتخرًا :

نحنُ الذين ضربنا الناسَ عن عَرْضٍ حتى استقاموا وهم أتباعُ إبليسِ (١)

ويقول الفرزدق مادحًا :

لقد ضربَ الحجاجُ ضربةَ حازمٍ كبا جندُ إبليسِ لها وتضعضوا (٢)

ويهجو شاعر من شعراء الأَنْصار زيد بن علي بقوله :

ألا يا ناقضَ الميثاقِ أبشرْ بالذي ساكنا

نقضتَ العهدَ والميثاقَ قَدْمًا كان قد ماكنا

لقد أخلفَ إبليسُ الذي قد كان منّا كما (٣)

قصة يوسف :

يعد يوسف عليه السلام أنموذجاً للإنسان المؤمن الصابر المتمسك بقيمه الدينية رغم كل الصعوبات التي يلقاها، والتي تحاول زحزحته عن مبادئه، كما أنه يعد أنموذجاً للإنسان المتسامح الذي يقابل الإساءة بالإحسان، إذ يعفو عن أخوته رغم كل ما لقيه من إساءة منهم .

وهذه الجزئية من قصة يوسف القرآنية والتي جاءت في قوله تعالى " قالوا تالله لقد اترك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " يوسف ٩١ ، ٩٢ ، يشير إليها جرير في

(١) الديوان ١ / ١٢٩ .

(٢) الديوان ١ / ٤١٧ ، وأنظر أيضاً ١ / ٣٩٩ .

(٣) الطبري ٧ / ١٩٠ .

قصيده التي يمدح بها سليمان بن عبد الملك وذلك حين يقول :

كونوا كيوسفَ لما جاء إخوته واستعرفوا قال ما في اليوم تثريبُ  
الله فضلهُ والله وفقَّههُ توفيقَ يوسفَ إذ وصَّاه يعقوبُ (١)

ويشير الفرزدق إلى ذلك في قوله يخاطب يزيد بن عبد الملك :

كُنْ مِثْلَ يَوْسُفَ لَمَّا كَادَ إِخْوَتُهُ سَلَّ الضَّغَائِنَ حَتَّى مَاتَتِ الْحِقْدُ (٢)

قوم لوط :

كان قوم لوط كما ذكر القرآن يأتون الذكور دون الأنثى، ويصرون على إتيان هذه الفاحشة ، ولم يرتدعوا عن ذلك عندما نهاهم الله عن ذلك على لسان نبيه لوط، فحلَّ عليهم العذاب . قال تعالى " ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ، ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون " النمل ٤٥ ، ه ه وفي هجائه لعزادة النميري رواية الراعي يقرنه جرير بقوم لوط، قائلاً :

عرادة من بقية قوم لوطٍ أَلَا تَبَّأَ لَمَّا عَمِلُوا تَبَابًا (٣)

قصة يونس :

أشار القرآن الكريم إلى قصة يونس مع الحوت في قول تعالى " فأصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ، لولا أن تداركه

(١) الديوان ١/٣٤٩ .

(٢) الديوان ١/١٣٩ .

(٣) الديوان ٢/٨١٩ .

نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم " القلم ٤٨ ، ٤٩ وإلى ذلك يشير  
الفرزدق في قوله :

لَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ سَدَّ ظَهْرُهَا      ولم تر إلا بطنها لك مخرجاً  
دَعْوَتِ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَ مَا      شَوَى فِي ثَلَاثِ مَظْلَمَاتٍ ففَرَجَا<sup>(١)</sup>  
وفي قوله أيضاً :-

ولكن ربِّي ربُّ يُونُسَ إِذْ دَعَا      من الحوتِ في موجٍ من البحرِ سائلِ  
دَعَا رَبَّهُ وَاللَّهُ أَرْحَمُ مِنْ دَعَا      وأدناه من داعٍ دعا مُتَضَائِلِ<sup>(٢)</sup>

قصة نوح :

لقد وردت قصة نوح في كتاب الله في أكثر من موضع ، ومنه قوله تعالى  
" ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني أركب معنا ولا تكن مع الكافرين  
قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله  
إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين " هود ٤٣ .

وفي قصيدته التي يمدح بها سليمان بن عبد الملك ويهجو الحجاج  
يقول الفرزدق مصوراً طغيان الحجاج ومصيره :

فلما عتا الجحّادُ حينَ طغى به      غنىَّ قال إنِّي مرتقٍ في السّلامِ  
فكانَ كما قالَ ابنُ نوحٍ سأرتقي      إلى جبلٍ من خشيةِ الماءِ عاصمِ  
رمى اللهُ في جثمانِهِ مثلما رمسى      عن القبلةِ البيضاءِ ذاتِ المحارمِ

(١) الديوان ١١٧/١ .

(٢) نفسه ١٣٩/٢ .



جنوداً تسوقُ الفيلَ حتى أعادَها هباءً وكانوا مطرِخمي الطراخِمِ  
نُصرتَ كنصرِ البيتِ إذ ساقَ فيلَهُ إلىهِ عظيمُ المشركينَ الأعاجِمِ (١)  
والأبيات الثلاثة الأخيرة تشير إلى قصة أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم  
الكعبة، والتي أوردها القرآن في سورة الفيل .

ويشير الفرزدق إلى غرق قوم نوح بالطوفان حين يقول :

وكم عصَى الله من قومٍ فأهلكهم بالريحِ أو غرقاً بالماءِ طوفاناً (٢)  
والبيت يشير أيضاً إلى قصة عاد التي أهلكها الله بالريح العاتية .

كما يشير جرير إلى دعاء نوح ، واستجابة الله له في مديحه للحجاج ،

وذلك حين يقول :

دعا الحجاجُ مثلَ دعاءِ نوحٍ فأسمعَ ذا المعارجِ فاستجابا (٣)

وعندما مدح مسلمة بن عبد الملك، أشاد جرير بقيادته للجيش وشبهه  
بنوح في قيادته للسفينة ، فقال :

مسلم جَرَّارُ الجيوشِ إلى العِدَا كما قَادَ أصحابَ السفينَةِ نوحُ (٤)

والقرآن يذكر أن نوحاً عاش في قومه خمسين سنة وتسعمائة قال تعالى  
" ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم  
الطوفان وهم ظالمون " العنكبوت ١٤ . فهو بذلك أنموذج للإنسان

(١) نفسه ٣٠٩ / ٢ .

(٢) نفسه ٣٢٨ / ٢ .

(٣) الديوان ١ / ٢٤٤ ، وانظر ديوان الفرزدق ٢ / ٧٠ .

(٤) نفسه ٧٨٨ / ٢ .

المعمر . ومن هنا نجد القحيف العجلي عند ما تنزل بامرأة تدعى خرقاء، رأى أنها تزداد ملاحه في عينيه حتى ولو تجاوزت عمر نوح المديد ، فهو يقول :

وخرقاءُ لا تزدادُ إلا ملاحَةً      ولو عمّرتَ تعميرَ نوحٍ وجلّتَ (١)  
وعمر بن أبي ربيعة يرضى بالصمت عمر نوح، إذا كان ذلك مطلب محبوبته، فيقول :

ولو أقسمتَ لا يكلمُ حتى      عمّر نوحٍ بعيشِهِ ماعصاكَا (٢)

قصة سليمان :

ذكر القرآن أن الله سخر لسليمان الريح ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى " فسخر ناله الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب " ص ٣٦ . والفرزدق يشير إلى ذلك في قوله :

ومن سمك السماء له فقامتُ      وسخر لابن داود الشمالَا (٣)

ويشبه يزيد بن الحكم سليمان بن عبد الملك بسليمان بن داود في عدله وفضله ، فيقول :

سُميت باسمِ امرئٍ أشبهتَ شيمتهُ      عدلاً وفضلاً سليمان بن داودا  
أحمدُ به في الورى الماضينَ من ملكٍ      وأنتَ أصبحتَ في الباقيين محموداً (٤)

(١) الأغاني ٢٤ / ٨٥ .

(٢) الديوان ص ٤٠٠ .

(٣) الديوان ٢ / ٧٠ .

(٤) شعراء أمويون ٣ / ٢٥٨ .

وفي قصيدته التي يمدح بها الوليد بن عبد الملك ، ويشيد بتحويله  
الكنيسة إلى مسجد ، يستفيد الفرزدق من جانب من جوانب قصة سليمان  
وذلك في قوله :

فُهِّمَتْ تَحْوِيلَهَا عَنْهُمْ كَمَا فَهَمَّا      إِذْ يَحْكُمَانِ لَهَا فِي الْحَرْثِ وَالْغَنَمِ  
دَاوُدُ وَالْمَلِكُ الْمَهْدِيُّ إِذْ حَكَمَا      أَوْلَادَهَا وَاجْتِزَا الصَّوْفَ بِالْجَلَمِ  
فَهَمَّكَ اللَّهُ تَحْوِيلًا لِبَيْعَتِهِمْ      عَنْ مَسْجِدٍ فِيهِ يُتْلَى طَيِّبُ الْكَلِمِ (١)

وقد اقتبس ذلك من قوله تعالى " وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث  
إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلاً  
أتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين"  
الأنبياء ٧٨ ، ٧٩ .

قصة موسى :

أشار الشعر الأموي إلى عدد من الجوانب التي تعرض لها القرآن  
الكريم في قصة موسى عليه السلام .

فإلى غرق فرعون الذي أشار إليه القرآن في أكثر من موضع من ذلك  
قوله تعالى " وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين ، فتولّى  
بركته وقال ساحراً أو مجنوناً ، فأخذناه و جنوده فنبدناهم في اليم وهو مليم"  
الذاريات ٣٨ - ٤٠ ، يشير الفرزدق في قصيدته التي يهجو بها إبليس

إذ يقول :

فقلت له هلاً أخيك أخرجت      يمينك من خضر البحور طوامي  
رمىته به في اليم لما رأيتك      كفرقة طودي يذبل وشممام  
فلما تلاقى فوقه الموج طامياً      نكصت ولم تحتل له بمـرام<sup>(١)</sup>

ويشبه كل من جرير والفرزدق الآخر بأنه السامري .

فيقول جرير هاجياً الفرزدق :

ولما دعوت العنبري ببلدة      إلى غير ماءٍ لا قريبٍ ولا أهلٍ  
ضلت ضلال السامري وقوميه      دعاهم فظلوا عاكفين على عجلٍ  
فلما رأى أن الصحاري دونه      ومعتلج الأنقاء من شج الرملٍ  
بلعت نسي العنبري كأنما      ترى بنسي العنبري جنى النحل<sup>(٢)</sup>

ويقول الفرزدق هاجياً جرير :

ولقد ضلت أباك تطلب دارماً      كضلال ملتصق طريق وبارٍ  
لا يهتدي أبداً ولو نعت له      بسبيل واردة ولا إصدارٍ  
قالوا عليك الشمس فاقصد نحوها      والشمس نائية عن السفارٍ  
لما تكسع في الرمال هدت له      عرفاء هادية بكل وجارٍ  
كالسامري يقول إن حركته      دعني فليس علي غير إزاري<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان ٢/ ٢١٣، وانظر شعر عمر بن لجأ التيمي ص ١٠٨ .

(٢) الديوان ٢/ ٩٥٢ .

(٣) الديوان ١/ ٣٦٠ .

ويشبه جرير سراقه البارقي بالسامري فيقول :

يا آل بارق لو تقدم ناصحٌ      للبارقيِّ فإنه مغرورٌ  
كالسامريِّ غداة ضلَّ بقومِهِ      والعجلُ يُعكفُ حوله ويخورُ<sup>(١)</sup>

ويذكر أبو دهيل الجمحي عبادة قوم موسى للعجل في قوله :

يدعون مروان كيما يستجيب لهم      وعند مروان خار القوم أوردوا  
قد كان في قوم موسى قبلهم جسدٌ      عجلٌ إذا خارفهم خورسجدوا<sup>(٢)</sup>

وقصة السامري ورد ذكرها في القرآن في سورة طه ، الآيات ٨٥-٩٥ .

ويذكر القرآن ( القصص ٧٦-٨٢ ) قصة قارون ، وهو رجل من قوم موسى  
كان يملك كنوزاً كثيرة .

والشمردل بن شريك يهجو هلال بن أحوز المازني فيسخر منه قائلاً :  
ولو قيلَ مثلاً كنزِ قارونَ عندهُ      وقيل التمس موعودَه لا أعاودُه<sup>(٣)</sup>

وسخر يحيى بن نوفل من عصا الحكم بن عبدل التي كان يكتب عليها حاجته ،  
ويبعث بها مع رسله ، فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، فيشبهها  
بعصا موسى التي كانت له آية عند فرعون .

يقول يحيى بن نوفل :

(١) الديوان ١/٣٦٦ .

(٢) الديوان ص ٨٠ .

(٣) الأغاني ١٣/٣٥٨ .

عَصَا حَكَمٍ فِي الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ      وَنَحْنُ عَلَى الأَبْوَابِ نُقْصَى وَنُحْجَبُ  
وَكَانَتْ عَصَا مُوسَى لِفِرْعَوْنَ آيَةً      وَهَذَا لِعَمْرِ اللّهِ أَدْهَى وَأَعْجَبُ  
تَطَاعَ فَلَا تُعْصَى وَيُحْذَرُ سُخْطُهَا      وَيُرْغَبُ فِي المَرْضَاةِ مِنْهَا وَتُرْهَبُ<sup>(١)</sup>

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ :

ضمن قصة ذي القرنين يشير القرآن إلى قصة يأجوج ومأجوج في قوله تعالى " قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً " الكهف ٩٤ ، كما أشار إليهم في قوله عز وجل " حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون " الانبياء ٩٦ .

والفرزدق يستوحي كثرة هذه الجماعة ، فيقول في قصيدته التي يمدح

بها العذافر بن يزيد التيمي :

ولو ضافه الدجال يلتبس القرى      وحلّ على خبازه بالعساكر  
بعدة يأجوج ومأجوج جوعاً      لأشبعهم شهراً غداً العذافر<sup>(٢)</sup>

عاد وثمود :

عاد وثمود من الأمم الضالة التي كذبت بأنبيائها فأنزل بها الله

عذابه جزاء ما عملت ، وقد ذكر القرآن قصتهم في عدة مواضع منه .

(١) نفسه ٤٠٤ / ٢ .

(٢) الديوان ٣١٨ / ١ ، وانظر أيضاً ٣٤٨ / ١ ، وديوان عروة بن أذينة

فأما عاد، فقد أهلكهم الله بالريح العاتية، قال تعالى " فأما عاد  
فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى  
القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية" الحاقة ٦-٨  
ويصور جرير جيوش أمير المؤمنين وكونها وبالاً على عباد الجحافي - أحد  
خوارج اليمن - بالريح التي كانت نحساً على قوم عاد ، فيقول :

لا قوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح إذ بعثت نحساً على عاد<sup>(١)</sup>

ويشبهه جرير - ذاته - بني تغلب بقوم عاد . وذلك في قوله :

كانت بنو تغلب لا يعجل جدُّهم كالمهلكين بذى الأحقاف إذ مروا  
صبت عليهم عقيم ما تناظرهم حتى أصابهم بالحاصب القدر<sup>(٢)</sup>

ويشير الفرزدق إلى مصرع عاد بالريح في قوله :

وكم عصى الله من قوم فأهلكهم بالريح أو غرقاً بالماء طوفانا<sup>(٣)</sup>

ويقول القطامي :

نرجو البقاء وما من أمة خلقت إلا سيهلكها ما أهلك الأمم  
أما سمعت بأنّ الريح مرسلّة في الدهر كانت هلاك الحي من إرما<sup>(٤)</sup>

(١) الديوان ٧٤٣/٢ .

(٢) الديوان ١٥٨/١ .

(٣) الديوان ٣٢٨/٢ .

(٤) الديوان ص ١٠٠ ، وانظر ديوان أبي دهب الجمحي ص ٦١ ،

ديوان العرجي ص ١٩٢ .

وقصة ثمود وردت في القرآن في أكثر من موضع. ومن ذلك قوله تعالى  
" كذبت ثمود بطغواها ، إذ انبعث أشقاها ، فقال لهم رسول الله ناقة  
الله وسقياها ، فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ،  
ولا يخاف عقباها " الشمس ١١ - ١٥ . وفي قصيدته التي يهجو بها  
إبليس ، يشير الفرزدق إلى هذه القصة بقوله :

ألم تأت أهل الحجر والحجر أهلهُ      بأنعم عيشٍ في بيوتٍ رخامٍ  
فقلت أعقروا هذي اللقوح فإنها      لكم أو تنيخوها لقوق غرامٍ  
فلما أناخوها تبرأت منهم      وكنت نكوصاً عند كلِّ ذمامٍ (١)  
ولما قرر عمر بن عبد العزيز إخراج الفرزدق من المدينة ، أجله ثلاثاً ، فإن  
وجده بعدها نكل به ، فخرج الفرزدق وهو يقول :

فأجلني وواعدني ثلاثاً      كما وعدت لمهلكها ثمود (٢)  
وهو يربط في ذلك بين قصته ، وبين قوله تعالى " فقال تمتعوا فسي  
داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب " هود ٦٥ .  
وقد أصبحت ناقة صالح مضرب المثل في كل من يجلب البلاء على قومه .  
يقول الفرزدق يهجو جريراً :

وكان جريراً على قوميه      كبكرِ ثمودٍ لها الأكد

(١) الديوان ٢/٢١٤ ، وانظر ديوان جرير ١/٢٩٠، ٣١٩ .

(٢) الأغاني ٢١/٤٠٢ .



رغا رغوّةً بمناياهم فصاروا رماداً مع الرّمْدِ (١)

من كل هذا يتضح أن الشعر الأموي يدل على ثقافة إسلامية عميقة ، اكتسبها شعراؤه بفضل نشأتهم الإسلامية ، ومعرفتهم بالقرآن الكريم والحديث النبوي ، وتمثل ذلك في إبداعهم لأمر العقيدة والعبادات ، والمأمم بالأحكام الفقهية والحدود الشرعية ، واستلهاهم القصص القرآني . وقد شمل ذلك مختلف الموضوعات الشعرية من مدح وهجاء وغزل وورثاء ووصف وغير ذلك . وإن كان الدارس يشعر بتفوق المدح والهجاء والغزل من حيث الكم الشعري الذي تتضح فيه هذه الثقافة ، وهو أمر طبيعي ، باعتبار هذه الثلاثة هي الموضوعات الكبرى للشعر في تلك الفترة . وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من الشعراء قد ظهر تأثرها بالثقافة الإسلامية ، إلا أن هناك بعض الأسماء الشعرية كجربير والفرزدق فاق الأثر عندها سواها ، وهذا في اعتقادي يرجع إلى أن النتاج الشعري لهذه المواهب الغذة كان كبيرا ، ووصل إلينا الجزء الأكبر منه ، إن لم يكن كله .

---

(١) الديوان ١/١٧٦ ، وانظر أيضاً ١/٢٦٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٩ ، ٢/١١٧ .

الخاتمة

## " الخاتمة "

—————

وبعد . . . . وقد انتهت فصول هذا البحث كما أردنا لها ، فلا بد من وقفه نستخلص فيها بعض القضايا التي تعرضنا لها ، والنتائج التي توصلنا إليها .

ففي التمهيد درست المتغيرات السياسية التي طرأت على الحياة العربية في ذلك العصر ، والتي تمثلت في : تغيير نظام الحكم من الخلافة التي تقوم على الشورى إلى الملك الوراثي ، وفي انتشار الترف في الأمصار الإسلامية وخاصة الحجاز ، وفي عودة العصبية القبلية إلى الظهور مرة أخرى بعد ما هدأت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر وعمر رضی الله عنهما .

وقد حاولت من خلال ذلك أن أعطي صورة واضحة عن الحركة الشعرية في العصر الأموي ، ومدى ما كان لهذه المتغيرات من مساهمة ليس فسيحي تنشيط الحركة الشعرية فحسب ، وإنما في تحديد مساراتها ، حيث تفوقت بعض الموضوعات الأخرى ، وغطت على واجهة الشعر العربي آنذاك .

وأما الباب الأول والذي جعلته في فصلين ، فقد أبرزت في بدايته الفصل الأول منه بعض الملامح التي تؤكد ظهور أثر الإسلام في الشعر الأموي بشكل يفوق ذلك الذي يللمسه الباحث في عصر صدر الإسلام .

ثم حاولت أن أبرز العوامل التي ساعدت على ذلك ، والتي تتمثل في نشأة الشعراء نشأة إسلامية وتربيتهم في ضوء تعاليم هـذا الدين الحنيف ، مما أتاح لمفاهيمه

أن تمتزج في نفوسهم وتختمر فيها مما ساعد على ظهور العناصر الدينية في شعرهم . كما أن معرفتهم بالقرآن الكريم بما يحتويه من التعاليم والقيم ، إضافة إلى كونهم عاشوا في بيئة إسلامية اتخذت الإسلام منهجاً لحياتها ، كل ذلك كان سبباً مهماً ساعد الشعراء على إبراز المفاهيم الجديدة التي جاء بها هذا الدين في ثنايا قصائدهم .

كما كان للحياة الدينية دورها الفعال في ذلك ، حيث انتشرت في بعض الحواضر الإسلامية حركة زهد ونسك وتكشف ووعظ، وكان لها تأثيرها على الشعراء من خلال ارتيادهم لبعض المجالس الدينية . أما العامل الأخير فهو يتجلى في الصراع السياسي الدائر في هذا العصر بين الأمويين وأحزاب المعارضة السياسية ، إذ ساهم - هو أيضاً - في بروز العناصر الدينية في الشعر . فقد كان يدور حول قضية دينية هي الخلافة الإسلامية التي وجدت في ظل هذا الدين ، ومن واقع إدراك الشعراء لهذه الحقيقة فقد كانوا حريصين على توظيف العناصر الإسلامية في التعبير عن فكرهم الحزبي ، أو في تأييد وجهة نظر حزبهم في الخلافة .

وقد ذكرت في نهاية الفصل أن بروز الطابع الجاهلي ، وسيطرته على بعض القصائد الشعرية التي تعود للعصر الأموي يرجع إلى أن شعراءها قد اطلعوا بشكل أو بآخر على تجارب سابقين من الجاهليين والمخضرمين الذين يمثلون بالنسبة لهم المثل الذي يحتذى في عالم

الشعر ، ومن هنا استمرت لديهم بعض المفاهيم القديمة ، إضافة إلى أن طابع العصر الأموي لم يكن على صورة من المثالية والالتزام الديني ، وإنما كان في بعض جوانبه ترسيخاً لبعض المفاهيم الجاهلية .

أما في الفصل الثاني فقد حاولت أن أبرز التطور الكبير الذي طرأ على القصيدة العربية في العصر الأموي على هدي الإسلام ، وذلك من خلال دراسة ثلاث قصائد شعرية مختلفة الموضوعات غلب عليها المضمون الإسلامي إن لم يكن سادها .

أما الباب الثاني وهو "أثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي" فقد انقسم إلى أربعة فصول ، خصصت الفصل الأول منه للشعر السياسي ، وهو لونه امتاز بكثرة العناصر الإسلامية فيه وغلبتها على المضمون الشعري دون غيره من الموضوعات الأخرى ، فقد كان شعراء الأحزاب المختلفة ممن أمويين ، وزبيريين ، وشيعة ، وخوارج يعتمدون إلى إضفاء الصفات الدينية على رجال الأحزاب منهم لما يتطلبه هذا المنصب الديني من صفات معينة يلزم اتصاف صاحبها بها ، كما أنهم كانوا يستعملون في هجاء خصومهم السياسيين بعض الألفاظ ذات المدلول الديني كالنفاق والشرك والإلحاد والكفر . وقد اتضح أن شعراء الأمويين - دون شعراء الأحزاب السياسية الأخرى - كانوا يلجأون إلى المبالغة في تصوير التزام مدحهم الديني ، وذلك يعود - كما بينت - إلى أن جلهم من المحترفين الذين ينصب اهتمامهم على الحصول على مزيد من العطايا والهبات دون اهتمام

بجانب الصدق والواقعية .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الغزل بلونيه العذري والصريح، وتوقفت في بدايته عند قضية رأيت أنها جديرة بالمناقشة ، وهي تتمثل في نشأة الغزل العذري ودور الإسلام في ذلك . وتوصلت من خلال مناقشتي للتفسيرات العديدة التي طرحها الدارسون حول الموضوع ، إلى أن للإسلام الدور الأكبر والأهم في ذلك . حيث غرس في النفوس بعض القيم والتعاليم التي تنظم العلاقة الجنسية في المجتمع الإسلامي ، والتي تهذب النفوس بدعوتها إلى العفة ، وتردع كل من تسول له نفسه مخالفة هذا النظام . وقد انعكس هذا كله على الغزل العذري الذي جاء عفيفاً ينم عن نفوس مومنة نقية استعلت على أهوائها، ولم تستسلم لشهواتها إذعانا لأوامر الله .

ثم بينت الملامح الإسلامية التي ظهرت في شعر الغزل بلونيه العذري والصريح ، وهي ملامح تدل على تغلغل الإسلام في نفوس شعرائه على الرغم مما يتسم به الغزل من مخالفة للإسلام الذي يدعو إلى كبح الشهوات ، وعدم الركض خلف أهواء النفس .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته لشعر الهجاء ، وقد كشفت فيه أن قصيدة الهجاء في العصر الأموي إلى جانب تمسكها بالمثل الجاهلية القديمة بحكم دوافعها التي تتمثل في العصبية القبلية والنزعات

الفردية، كانت تحمل بعض العناصر الإسلامية الجديدة ، التي استلهمها الشعراء مما جاء به الإسلام من قيم وتعاليم . وتجلى ذلك في تعبيرهم بالنصرانية ، وبسخريتهم من طقوسها الدينية ، وهجائهم بارتكاب المعاصي من زنا ، وشرب خمر ، وترك للصلاة ، وتهاون في أداء الفرائض الدينية ، كما تمثل في تناولهم لبعض الظواهر السلبية في المجتمع الإسلامي من نفاق و رياء وما إليها . وأوضحت في نهاية الفصل أن جزءاً من هذا الهجاء المتأثر بالدين ليس إلا مقطوعات قصيرة سادها المضمون الديني مما يعطي دلالة على مدى وضوح هذا التأثير على هذا الموضوع الشعري .

أما الفصل الرابع والأخير في هذا الباب ، فقد درست فيه بعض الموضوعات الأخرى التي لم يتيسر المجال للتعرض لها من قبل ، أو أُلِّمت بها إماماً بسيطاً .

وقد بدأت بقصيدة الفخر التي عاودت نشاطها على الساحة الشعرية في هذا العصر ، نتيجة لعودة العصبية القبلية ، وقد ظهر لي أن هذا اللون الشعري قد بدت عليه - كسائر موضوعات الشعر الأموي - بعض الملامح الجديدة التي ترجع إلى الإسلام ، إذ أظهر شعراؤه فخرهم بهذا الدين والانتماء إليه ، كما كانوا يفخرون بالأدوار الهامة أو المواقف التاريخية التي قامت بها قبائلهم أو أحد أفرادها في خدمته ، بالإضافة

إلى فخرهم بالانتماء إلى قبيلة تلتقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم في النسب .

أما الموضوع الثاني فتناولت فيه شعر الصعاليك وهم تلك الفئة من البشر التي عادت إلى الحياة العربية في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها المجتمع العربي في العصر الأموي . وعلى الرغم من أن الباحث الملم بحياة الصعاليك والمتفهم لطبيعتها التي تتنافى مع تعاليم الإسلام وقيمه قد يستبعد أن يتأثر شعراؤهم بالإسلام ، فإن دراسة شعرهم أكدت تأثرهم بهذا الدين ، إذ ظهرت فيه بعض العناصر المستمدة من الإسلام ، والتي تتجلى في إيمانهم العميق بالله ، وقوة علاقتهم به ، حيث يلجأون إليه بالدعاء فيما يواجههم من أزمات ، وهو دليل على تمكن الإسلام من نفوسهم .

والموضوع الثالث الذي تحدثت عنه في هذا الفصل هو شعر الزهد وقد أشرت في البداية إلى بعض العوامل التي ساعدت على انتشار موجة الزهد في العصر الأموي ، والتي تتلخص في أن بعض الذين خسروا الحروب الداخلية في العراق ، وعجزوا عن اقتناص الخلافة من الأمويين تحولوا إلى الزهد في الحياة وجعلوا أمانيتهم في الآخرة ، كما أن انتشار اللهو والمجون في بعض الأمصار الإسلامية ، وإقبال الناس على مغريات الحضارة دفع ببعض الأفراد الملتزمين إلى اتخاذ الزهد سبيلاً لحياتهم هرباً من التأثر بهذا التيار الحضاري الجديد .



وقد كشفت من خلال النماذج العديدة التي طرحتها الدراسة والتي تدعو إلى الزهد في الحياة الدنيا ، وتنتقد المغترين بها ، وتذكر بالموت ، وترغب في الحياة الآخرة ، أن شعر الزهد قد شهد مولده الحقيقي في العصر الأموي ، ثم تطور بعد ذلك حتى أصبح ظاهرة في العصر العباسي .

وأما الموضوع الأخير فقد كان شعر الوصف . ومن خلال الشواهد الشعرية التي ذكرتها اتضح أن موضوع الوصف قد تأثر هو الآخر بالإسلام ، وانعكست على أبياته بعض الملامح الإسلامية .

وأما الباب الأخير فقد خصصته لدراسة " أثر الثقافة الإسلامية في الشعر الأموي " ، وقد كشفت فصوله الثلاثة عن ثقافة إسلامية عميقة كان يمتلكها شعراء العصر الأموي ، وتجلي ذلك في إداكهم التام لأموور العقيدة الإسلامية من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، ومعرفتهم بالعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وفهمهم للمثل والأخلاق الإسلامية هذا أولاً ، وثانياً في إلمامهم بالأحكام الفقهية والحدود الشرعية ، وثالثاً في استفادتهم من القصص القرآني استفادة كبيرة في رسم صورهم الفنية .

وأخيراً ، فإنني أرجو أن أكون بهذه الدراسة قد أسهمت بجهـد متواضع في سد نقص في مجال الدراسات الأدبية ، مع يقيني بأن هذا

الموضوع قابل لأن يكون مجالاً للمزيد من الدراسات ، لأنه يتناول عـصراً  
من أغنى العصور الأدبية العربية إن من حيث غزارة الإنتاج وكثـرة  
الشعراء، أو من حيث تعدد الموضوعات.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. ،،،

—————  
—————

الصداق والهدية

"المصادر والمراجع"

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الأمدي ، الحسن بن بشر ( ت ٣٧٠هـ ) .  
المؤتلف والمختلف ، تحقيق د . ف . كركو ، الطبعة الثانية ،  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٣- الأحوص ، عبد الله بن محمد الأنصاري ( ت // ١٠١ - ١٠٥ هـ )  
شعر الأحوص الأنصاري ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٠هـ .
- ٤- الأخطل ، غياث بن غوث التغلبي ( ت ٩٢هـ ) .  
شعر الأخطل ، تحقيق د . فخر الدين قباوة ، الطبعة الثانية ،  
دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- ٥- الأصبهاني ، علي بن الحسين ( ت ٣٥٦هـ ) .  
الأغاني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .
- ٦- الأسدي ، عبد الله بن الزبير ( ت ٧٥هـ ) .  
ديوان عبد الله بن الزبير الأسدي ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري  
وزارة الاعلام ، العراق ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ٧- الأسدي ، الكميث بن زيد ( ت ١٢٦هـ ) .  
أ - شرح القصائد الهاشميات ( ضمن كتاب الروضة المختارة ) ،  
مؤسسة النعمان ، بيروت ، ١٩٧٩م .

ب - شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وتحقيق د . داود سلوم  
مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٦٩ م .

٨ - الأعجم ، زياد

شعر زياد الأعجم ، جمع وتحقيق د . يوسف حسين بكار ، الطبعة  
الأولى .

٩ - الأعشى ، ميمون بن قيس بن جندل .

أ - ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق د . محمد محمد حسين  
مكتبة الآداب بالجماميز ، مصر .

ب - الصبح المنير في شعر أبي بصير .

مطبعة أدلف هلزهوسون ، بيانه ، ١٩٢٧ م .

١٠ - أعشى همدان ، عبد الرحمن بن الحارث بن نظام ( ت // ٨٣ هـ )

ديوان أعشى همدان واخباره ، تحقيق د . حسن عيسى ابوياسين  
دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١١ - الألباني ، محمد ناصر الدين .

سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الطبعة الأولى ، دار السلفية ،

الكويت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٢ - أمين ، أحمد .

فجر الاسلام ، الطبعة الحادية عشرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،  
١٩٧٩ م .

- ١٣- الأنصاري ، عبد الرحمن بن حسان ( ت ١٠٤ هـ ) .  
شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ، جمع وتحقيق د . سامي  
مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧١ م .
- ١٤- بروكلمان ، كارل .  
تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحلیم النجار ، الطبعة الرابعة  
دار المعارف بمصر .
- ١٥- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ( ت ١٠٩٣ هـ ) .  
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد  
هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- ١٦- البكري ، عبد الله بن عبد العزيز ( ت ٤٨٧ هـ ) .  
سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ،  
الطبعة الثانية ، دار الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .
- ١٧- ابن بكار ، الزبير ( ت ٢٥٦ هـ ) .  
أ - الأخبار الموفقيات ، تحقيق د . سامي مكي العاني ، رئاسة  
ديوان الأوقاف ، بغداد ، ١٩٧٢ م .  
ب - جمهرة نسب قریش ، شرح وتحقيق محمود محمد شاکر ، مكتبة  
دار العروبة ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ .
- ١٨- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ( ت ٢٧٩ هـ )  
أنساب الأشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد .

- ١٩- البهيتي ، نجيب محمد .  
تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، دار الثقافة  
المغرب ، ١٩٨٢م .
- ٢٠- التيمي ، عمر بن لجأ .  
شعر عمر بن لجأ التيمي ، تحقيق د . يحيى الجبوري ، الطبعة الثانية  
دار القلم ، الكويت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٢١- التيمي ، معمر بن المثنى ( ت ٢١٠هـ ) .  
كتاب النقائص ( نقائص جرير والفرزدق ) ، اغتناء المستشرق بيغان  
نسخة مصورة عن طبعة ليدن سنة ١٩٠٥م .
- ٢٢- ابن ثابت ، حسان .  
ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د . سيد حنفي حسنين .  
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
- ٢٣- الجاحظ ، عمرو بن بحر ( ت ٢٥٥هـ ) .  
أ - البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة  
الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٥م .  
ب - الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، مكتبة  
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ٢٤- الجبوري ، د . يحيى وهيب .  
أ - الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة

- الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ب - شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، الطبعة الثانية ، مؤسسة  
الرسالة، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٢٥- ابن جعفر ، قدامة ( ت // ٣٣٧هـ )  
نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ،  
القاهرة .
- ٢٦- الجمحي ، وهب بن زمعة بن أسيد ( ت // ١٢٦هـ ) .  
ديوان أبي دهيل الجمحي ، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ،  
الطبعة الأولى ، مطبعة القضاء ، النجف الأشرف ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٢٧- الجمحي ، محمد بن سلام ( ت ٢٣١هـ ) .  
طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ،  
١٩٧٤م .
- ٢٨- ابن جني ، عثمان ( ت ٣٩٢هـ ) .  
الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الكتب  
المصرية ، القاهرة ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ٢٩- الجوارى ، أحمد عبد الستار .  
الحب العذري نشأته وتطوره ، دار الكتاب العربي بمصر ، ١٣٦٧هـ -  
١٩٤٨م .



- ٣٠- حسن ، د . حسن ابراهيم .  
تاريخ الإسلام ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،  
١٩٦٤ م .
- ٣١- حسين ، طه .  
حديث الأربعاء ، الطبعة الثالثة عشرة ، دار المعارف بمصر .
- ٣٢- حسين ، د . محمد محمد .  
الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة  
العربية ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٣٣- حميد الله ، محمد .  
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، الطبعة  
الثالثة ، دار الارشاد ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٣٤- الحميري ، يزيد بن مفرغ ( ت ٦٩ هـ ) .  
ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ، جمع وتحقيق د . عبد القدوس ابو  
صالح ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٣٥- الحوفي ، د . أحمد محمد .  
أدب السياسة في العصر الأموي ، الطبعة الخامسة ، دار نهضة  
مصر للطباعة والنشر .
- ٣٦- الخزاعي ، كثير بن عبد الرحمن ( ت ١٠٥ هـ ) .  
ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ،  
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

- ٣٧- الخطفي ، جرير بن عطية ( ت ١١٤هـ ) .  
ديوان جرير ، تحقيق د . نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف  
بمصر .
- ٣٨- الخطيب ، محمد عجاج .  
السنة قبل التدوين ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،  
١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .
- ٣٩- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ( ت ٨٠٨هـ ) .  
المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٤٠- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ( ت ٦٨١هـ ) .  
وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ،  
بيروت .
- ٤١- خليف ، يوسف .  
أ - حياة الشعر في الكوفة ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،  
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .  
ب - ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ، دار المعارف ، ١٩٧٠م .  
ج - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، الطبعة الثانية ،  
دار المعارف بمصر .

- ٤٢- الدارمي ، مسكين ( ت // ٨٩ هـ ) .  
ديوان مسكين الدارمي ، جمع وتحقيق عبد الله الجبوري ، وخايل  
ابراهيم عطية ، مطبعة دار البصري ، بغداد ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٤٣- الدهان ، د . محمد سامي .  
الهجاء ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر .
- ٤٤- الدؤلي ، ظالم بن عمرو بن سفيان ( ت // ٦٧ هـ ) ديوان أبي  
الأسود الدؤلي ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، الطبعة الأولى ،  
دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٤ م .
- ٤٥- ابن ذريح ، قيس .  
قيس ولبنى شعر ودراسة ، جمع وتحقيق د . حسين نصار ، مكتبة  
مصر القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ٤٦- ذو الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي ( ت ١١٧ هـ ) .  
ديوان ذي الرمة ، تحقيق مطيع بيلي ، الطبعة الثانية ، المكتب  
الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٤٧- الراعي النميري ، عبيد بن حصين بن معاوية ( ت نحو ٩٠ هـ ) .  
شعر الراعي النميري ، دراسة وتحقيق د . نوري حمودي القيسي  
وهلال ناجي ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٠ هـ -  
١٩٨٠ م .

- ٤٨- ابن أبي ربيعة ، عمـر .  
ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد  
دار الأندلس .
- ٤٩- ابن رشيق القيرواني ، الحسن . ( ت ٤٥٦ هـ )  
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين  
عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، دار الجيل ، بيروت .
- ٥٠- ابن الرقيات ، عبيد الله بن قيس ( ت ٧٥ هـ ) .  
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق محمد يوسف نجم ،  
دار صادر ، بيروت .
- ٥١- سرکيس ، إحسان .  
الظاهرة الأدبية في صدر الاسلام والدولة الأموية ، الطبعة الأولى ،  
دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- ٥٢- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ( ت ٢٣٠ هـ ) .  
الطبقات الكبرى ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٧ هـ .
- ٥٣- سعد ، محمد علي .  
الأحوص بن محمد الأنصاري حياته وشعره ، الطبعة الأولى ، دار  
الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٥٤- السكري ، الحسن بن الحسين . ( ت / / ٢٧٥ هـ )  
شرح اشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، مكتبة دار العروبة .
- ٥٥- الشايب ، أحمد .  
تاريخ الشعر السياسي ، الطبعة الخامسة دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٦ م .

- ٥٦ - الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم ( ت ٥٤٨ هـ ) .  
العلل والنحل ، صححه وعلق عليه الشيخ أحمد فهمي محمد ، الطبعة  
الاولى ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٨ م .
- ٥٧ - ضيف ، شوقى .  
أ - التطور والتجديد في الشعر الأموي ، الطبعة السادسة ،  
دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧ م .  
ب - الشعر والغناء في المدينة ومكة في عصر بني أمية ، الطبعة  
الرابعة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ م .  
ج - العصر الاسلامي ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر .
- ٥٨ - الطائي ، أبو تمام حبيب بن أوس ( ت ٢٣١ هـ ) .  
الحماسة ، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان ، جامعة الإمام محمد  
ابن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٥٩ - الطائي ، الطرماح بن حكيم ( ت نحو ١٠٥ هـ ) .  
ديوان الطرماح ، تحقيق عزة حسن ، مديرية احياء التراث القديم  
دمشق ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٦٠ - الطبري ، محمد بن جزير ( ت ٣١٠ هـ ) .  
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة  
الرابعة ، دار المعارف بمصر .

- ٦١- ابن الطثرية ، يزيد ( ت ١٢٦ هـ ) .  
شعريزيد بن الطثرية ، جمع وتحقيق ناصر الرشيد ، دار الوثيقة ،  
دمشق .
- ٦٢- عباس ، د . إحسان .  
شعر الخواج ، جمع وتحقيق إحسان عباس ، الطبعة الرابعة ، دار  
الشروق ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٦٣- عبد بني الحساس ، سحيم  
ديوان سحيم ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، الطبعة الأولى ، دار  
الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- ٦٤- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ( ت ٣٢٧ هـ ) .  
العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، الطبعة الثانية ، لجنة  
التأليف والترجمة والنشر .
- ٦٥- عبد الرحمن ، نصرت .  
في النقد الحديث ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأقصى ، عمان ١٣٩٩ هـ -  
١٩٧٩ م .
- ٦٦- عبد الواحد ، د . مصطفى .  
أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، الطبعة الأولى ، دار الإصلاح ، الدمام  
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- ٦٧- العذري ، جميل بن معمر ( ت // ٨٢ هـ ) .  
ديوان جميل ، جمع وتحقيق د . حسين نصار ، مكتبة مصر ، ١٩٧٩ م .
- ٦٨- العرجي ، عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ( ت ١٢٠ هـ )  
ديوان العرجي ، شرح وتحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ،  
الشركة الإسلامية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٣٧٥ هـ .
- ٦٩- عروة بن أذينة ، يحيى بن مالك بن الحارث ( ت // ١٣٠ ) .  
شعر عروة بن أذينة ، تحقيق د . يحيى الجبورى ، الطبعة الثالثة ،  
دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٧٠- العسقلاني ، أحمد بن على بن حجر ، ( ت ٨٥٢ هـ ) .  
أ - تهذيب التهذيب ، نسخة مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف ،  
النظامية بحيدرآباد الدكن .  
ب - فتح الباري بشرح البخاري ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده  
بمصر ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٧١- عطوان ، د . حسين .  
الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ م .
- ٧٢- الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة ( ت ١١٤ هـ ) .  
أ - ديوان الفرزدق ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .  
ب - ديوان الفرزدق ، عني بجمعه والتعليق عليه عبد الله الصاوي  
المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

- ٧٣- فيصل ، د . شكري .  
تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، الطبعة الخامسة ، دارالعلم  
للملايين .
- ٧٤- القاضي ، النعمان عبد المتعال .  
أ - شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، الدار القومية للطباعة  
والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .  
ب - الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف بمصر .
- ٧٥- القالي ، على اسماعيل بن القاسم ( ت ٣٥٦هـ ) .  
الأمالي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م .
- ٧٦- قباوة ، د . فخر الدين .  
الأطل الكبير حياته وشخصيته وقيمه الفنية ، الطبعة الثانية ، دار  
الآفاق الجديدة ببيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٧٧- ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ( ت ٢٧٦هـ ) .  
أ - الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، الطبعة  
الثالثة ، دار التراث العربي ، ١٩٧٧م .  
ب - عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م .  
ج - المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دارالمعارف بمصر .



- ٧٨- القطامي، عمير بن شيعم بن عمرو بن عباد (ت / / ١٠١ هـ) .  
ديوان القطامي ، تحقيق د . ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ،  
الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ٧٩- القط ، د . عبد القادر .  
في الشعر الإسلامي والأموي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م .
- ٨٠- القلماوي ، سهير .  
أدب الخواج ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٥ م .
- ٨١- القيرواني ، عبد الكريم النهشلي (ت ٤٠٣ هـ) .  
الممتع في علم الشعر وعمله ، تحقيق د . منجي الكعبي ، دار العربية  
للكتاب ، ١٩٧٧ م .
- ٨٢- القيسي ، نوري حمودي .  
شعراء أمويون ، جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي .  
أ - الجزء الأول ، جامعة الموصل ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .  
ب - الجزء الثاني ، جامعة بغداد ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .  
ج - الجزء الثالث ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ،  
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٨٣- الكفراوي ، د . محمد عبد العزيز .  
تاريخ الشعر العربي عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية ، دار نهضة  
مصر للطبع والنشر .

- ٨٤- الميثي، المتوكل .  
شعر المتوكل الميثي ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري ، مكتبة  
الأندلس ، بغداد ، ١٩٧١ م .
- ٨٥- المبرد ، محمد بن يزيد ( ت ٢٨٥ هـ ) .  
الكامل ، علق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطباعة  
والنشر .
- ٨٦- المخزومي ، الحارث بن خالد ( ت // ٨٤ - ٨٥ هـ ) .  
شعر الحارث بن خالد المخزومي ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري ،  
الطبعة الثانية ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٨٧- مردم بك ، خليل .  
الشعراء الشاميون ، تحقيق عدنان مردم بك ، دار صادر ، بيروت .
- ٨٨- المرزباني ، محمد بن عمران بن موسى ( ت ٣٨٤ هـ ) .  
أ - معجم الشعراء ، تحقيق د . ف. كرنكو ، الطبعة الثانية ، دار  
الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .  
ب - الموشح مأخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق علي محمد البجاوي  
دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ٨٩- المسعودي ، علي بن الحسين ( ت ٣٤٦ هـ ) .  
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد  
الطبعة الرابعة ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .

- ٩٠- المرصفي ، سيد بن علي .  
رغبة الآمل من كتاب الكامل ، الطبعة الثانية ، مكتبة دار البيان ،  
بغداد ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- ٩١- المقداد ، محمود .  
ديوان أشعار الموالي ، جمع وتحقيق محمود المقداد ، ملحق رسالة  
ماجستير ، دمشق ، ١٩٨٢م . مخطوط .
- ٩٢- ابن الملوح ، قيس .  
ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق أحمد عبد الستار فراج ، مكتبة  
مصر ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
- ٩٣- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ( ت ٧١١هـ ) .  
لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
- ٩٤- المنقري ، نصر بن مزاحم . ( ت ٢١٢هـ )  
وقعة صفين ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ،  
المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .
- ٩٥- نابغة بني شيبان ، عبد الله بن المخارق بن سليم . ( ت نحو ١٢٧هـ )  
ديوان نابغة بني شيبان ، تقديم أحمد نسيم ، الطبعة الأولى دار  
الكتب المصرية ، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .

- ٩٦- النابغة الجعدي ، قيس بن عبد الله بن عدس .  
شعر النابغة الجعدي ، تحقيق عبد العزيز رباح ، الطبعة الأولى  
المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٩٧- النص ، إحسان .  
العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، دار اليقظة العربية .
- ٩٨- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري ( ت ٢٦١ هـ ) .  
صحيح مسلم ، طبع وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ،  
دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٧٤ هـ .
- ٩٩- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ( ت ٢١٨ هـ ) .  
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الثانية ، مكتبة  
مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ١٠٠- هلال ، محمد غنيمي .  
الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، الطبعة الثانية ، دار نهضة  
مصر ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- ١٠١- الهلالي ، حميد بن ثور .  
ديوان حميد بن ثور الهلالي ، صنعة عبد العزيز الميمني ، الطبعة  
الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م .
- ١٠٢- ابن يزيد ، الوليد ( ت ١٢٦ هـ ) .  
ديوان الوليد بن يزيد ، جمعه وحققه غابريلي ، دار الكتاب الجديد ،  
١٩٦٧ م .

١٠٣ - ابن يسار، اسماعيل

شعر اسماعيل بن يسار، جمع وتحقيق د . يوسف حسين بكار .  
الطبعة الأولى ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

الموسوعات :

=====

١- دائرة المعارف الإسلامية ، صدرها أحمد الشنتناوي وغيره .

الجزء العاشر .

الدوريات :

=====

١- مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات

الإسلامية ، مكة المكرمة ، العدد الخامس ، ١٤٠٢ هـ .

=====

" فهرس الموضوعات "

الصفحة	الموضوع
أ - هـ	المقدمة
	التمهيد : المتغيرات السياسية والاجتماعية وأثرها على الشعر الأموي .
١	الحركة الشعرية قبل العصر الأموي
٩	المتغيرات السياسية
	المتغيرات الاجتماعية
٣٢	أ - الترف
٣٩	ب - عودة العصبية القبلية .
	الباب الأول : أثر الإسلام في الشعر الأموي
	الفصل الأول : العوامل المؤثرة
٥٣	أثر الإسلام في شعر صدر الإسلام
٦٤	أثر الإسلام في الشعر الأموي
٦٦	العوامل المؤثرة
	الفصل الثاني : تطور القصيدة العربية في العصر الأموي على هدي الإسلام
٧٨	١ - المديح
٨٣	٢ - الرثاء
٩١	٣ - الهجاء

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
	الباب الثانى : أثر الإسلام فى موضوعات الشعر الأموي
١٠١	الفصل الأول : الشعر السياسي
١٠٣	١- شعر الأمويين
١١٧	٢- شعر الزبيريين
١٢٢	٣- شعر الشيعة
١٣٠	٤- شعر الخوارج
	الفصل الثانى : الغزل
١٤٤	١- الغزل العذري
١٤٥	أ - دور الإسلام فى نشأة الغزل العذري
١٥٨	ب - أثر الإسلام فى الغزل العذري
١٦٩	٢- الغزل الصريح
	الفصل الثالث : الهجاء
١٨٤	ازدهار الهجاء فى العصر الأموي
١٨٩	ملامح الهجاء الديني
	الفصل الرابع : موضوعات أخرى
٢١٥	١- الفخر
٢٢٩	٢- شعر الصعاليك
٢٤١	٣- شعر الزهد
٢٥٨	٤- الوصف

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٦٥	الباب الثالث : أثر الثقافة الإسلامية في الشعر الأموي
	الفصل الأول : العقيدة والعبادات والأخلاق الإسلامية
٢٧٠	١- العقيدة
٢٩٥	٢- العبادات
٣٠٢	٣- المثل والأخلاق الإسلامية
	الفصل الثاني : الأحكام الفقهية والحدود الشرعية
٣٠٦	١- الأحكام الفقهية
٣١٠	٢- الحدود الشرعية
٣١٣	الفصل الثالث : القصص القرآني
٣٢٨	الخاتمة
٣٣٧	المصادر والمراجع